

الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

العدد الرابع: رجب الأصم ١٤٣٠ هـ ق



كلمة التحرير

المجتمع الإسلامي والتمهيد للظهور

الدكتور أحمد عبدالرحيم الساج

اهداف الدولة الممهدة للظهور

مريم كريمي تبار

سوق المهدوية في عصر الغيبة و تبعيته لحوار منهج الحداثة في قوانين الطبيعة

الدكتور محمد جواد جاويد

التجربة السياسية في ايران والافق المهدوي الموعود دراسة فلسفية سياسية

عبداللّوى محمد

الأردهار والافتتاح والانجازات الكبرى في النورة العالمية للامام المهدي

الدكتور محمد رضا جواهرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية

العدد الرابع

رجب الأصب ١٤٣٠ هـ. ق

تصدر عن:

مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:

مسعود بورسيد آقايي

مدير التحرير:

رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:

آية الله سامي البدري، الدكتور جاسم حسين، الدكتور تيجاني السماوي، الدكتور نسيم الخوري، الدكتور ادريس هاني، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمي، الدكتور محمد صابر جعفري، الدكتور فرامرز سهرابي، الدكتور مسعود بورسيد آقايي، الدكتور رضى موسوي الجيلاني

المترجم:

ضياء الدين خزر جي

مدير الترجمة:

ابوالفضل نور محمد بور

تصميم والكرافيك:

رسول محمدي، علي قنبري

فهرس النلوجات

كلمة التحرير..... ٣

المجتمع الإسلامي والتمهيد للظهر..... ٨

الدكتور احمد عبدالرحيم السايح

أهداف الدولة الممهدة للظهر..... ٤٢

مريم كريمي تبار

سوق المهدوية في عصر الغيبة و تبعيته لحوار منهج الحداثة في قوانين الطبيعة..... ٩٩

الدكتور محمد جواد جاويد

التجربة السياسية في إيران والأفق المهدوي الموعود دراسة فلسفية سياسية..... ١٣٤

عبداللاوي محمد

الازدهار و الانفتاح و الانجازات الكبرى في الثورة العالمية للامام المهدي عليه السلام..... ١٧٦

الدكتور محمد رضا جواهرى

كلمة التحرير

إن حركة العالم باتجاه توحيد السياسة، الاقتصاد و الثقافة، هو بشارة يومية و عصرية لتحرير الانسان و تخليصه من برائث التبعية و العبودية، و إنقاذه من تشتت الأهداف و الفوضى في مناهج الحياة، و أساليبها المتنوعة، و تفسير لهوية الانسان في أجواء نفسية آمنة و مطمئنة. و قد اعتبرت فكرة انتظار المنجى و المخلص أسّ عناصر صنع الوحدة و التلاحم في الأمة، و تلائم الفكر البشرى المعاصر، و تشجيع على التحرر من تحديدات و قيود الأنظمة المادية و التحجر، الفاقد لعناصر الانحراف بعد المنهج التجددى و الحداثة. إن الهدف من عولمة الانتظار و السعى لتحقيق هذه المقولة، هو إرساء سبل السلام و دعائم العدل للجميع، و هو بحاجة الى رؤية منهجية و شمولية واضحة و معبرة حول تعاليم و مفاهيم المهدوية، و صنع النظرية و الاطروحة في هذا المجال.

وهي تلك النظرية والاطروحة التي استترت خلف بوابات و حدود الدولة و الشعب، و مهّدت في توسيع و ازدهار جغرافيا العالم، و فتحت تلك القلوب المتعبة و المرهقة التي اجتازت أزمات فقدان الهوية و الضياع، و فقدان القيم و المبادئ السامية. و يمكن التنظير على أساس فكرة انتظار المنجي و المخلص في عدة حلقات هي:

١. الاضرار المحيطة و المحدقة بعولة المنجي و المخلص:

و يحدث في هذه المرحلة أصالة التصديق بالمنجي و المخلص لدى الشعوب و الامم، و الملل و النحل كافة. و تتطلب مرحلة الأصالة هذه الى دراسات و بحوث معمّقة و مطالعات أساسية في باطن الدين، حيث يتم من خلاله رفع و إزالة كافة الرواسب و الشبهات العالقة حول المنجي و المخلص من خرافات، و تنزيه الثقافات المختلفة و العديدة من أدران الغموض و الابهام.

إن تحليل و دراسة النصوص الدينية الأصيلة التي تقترب من عصر الوحي و الرسالة هي من جملة الأمور التي تتطلب توجهاً و بذل اهتمام خاص و مكثف في هذه المرحلة.

٢. إظهار المنجي و المخلص الاصيل و تعريفه الى العالم:

و تتفتح حلقات أخرى بعد دراسة و معرفة الأضرار الداخلية في الدين، الناجمة عن طبيعة الأجواء الخارجية، و فيها يشترك و تتلائم فكرة المنجي و المخلص لدى كافة الأديان مع طبيعة النظرة و التعاليم السماوية الالهية، و عرضها على العالم.

و يكون عرض هذه الفكرة في هذه المرحلة من خلال الجذور و الرواسب العميقة التي تمتلكها في الأديان، ذات طابع مقبول لدى غالبية الشعوب و الأمم العالمية.

٣. شمولية فكرة انتظار المنجي و المخلص:

ستؤدي معرفة المنجي و المخلص الاصيل الى الانشداد النفسى و الروحى البشرى نحوها، و هذه الحلقة الثالثة، هي مرحلة توجيه الانتظار الصحيح في نطاق المجتمع و

مهده الحاضر، و إيجاد نوع من المقارنة و التمايز بين الانتظار الإيجابي و هو بذل الجهد للتمهيد للظهور، و توسيع العدالة، و مواجهة حالات العزلة و الانزواء و الظلم و الانتظار السلبي، فيكون نشر الظلم في المجتمع، و التحضير للثقافة المهودية في الأوساط البشرية العامة هو من أهم سمات و خصائص مؤسسى عولة العدالة، و المعنيين في فهم تعاليم الانتظار و المنجى و المخلص.

٤. نماذج و عينات من التأسى و الاقتداء من عصر الظهور و نهاية عصر الغيبة: تهدف فكرة انتظار المنجى و المخلص الأصيل لدى الأديان إلى إيجاد ظروف و عوامل تتلائم مع طبيعة المنجى و المخلص، لإثبات صحة ادعاء المنهج المثالى و النموذجى في التأسى و الاقتداء، و هذه أيضاً من أهم الحلقات و أشهرها في هذه المرحلة، و هى تشجّع ولاة الأمر و العاملين على الاسراع بقطف ثمارها، و إنجاح مشروعاتهم في توسيع و بسط نفوذها، و دائرة حدودها و اختياراتها العالمية. و على المعنيين في هذا الأمر و المسؤولين القائمين بأعمال الحكومة ممارسة أدوارهم المهمة و الحيوية و الأساسية في عولة الانتظار، و عامة المنتظرين كذلك من خلال ظروف و طابع الحياة الاجتماعية.

و هذه الأدوار المهمة و الحيوية هى: استخدام نماذج و تطبيقات في منهج التأسى و الاقتداء، و أخذ شرائح و عينات من عصر الظهور، و أخرى مشابهة لها، لتطبيقها في كافة المجتمعات العالمية.

٥. تشكيل مؤسسات و منظمات عالمية و دولية تحت عنوان «الدور الرقابى و إشراف العدالة».

و يتم في هذه المرحلة و الحلقة التالية إيجاد ضمانات حاسمة لاتخاذ قرارات و إجراءات خارجية في الأبحاث و الدراسات النظرية للحلقات السابقة.

و التي يتم من خلالها، تأمين سهولة تطبيقاتها، و ضمان سلامتها.

فمن أبرز خصائص و سمات عصر الظهور:

شمولية العدالة في الطول و العرض الجغرافي، فالعالم المنتظر للظهور و مجيء المنجي و المخلص هو بحاجة الى بذل جهود و مساعي حثيثة و مضاعفة للتحضير الى تطبيق مستلزمات العدالة و متطلباتها، و الاهتمام بالآليات الباطنية كالنماذج الأخلاقية، و الخارجية كوضع القوانين، و لزوم الاستعانة بالركيزتين الفاخرتين في الشريعة الاسلامية، و هما: فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في قراراتها و أنظمتها العالمية. و هذه هي الحلقة التالية في عولمة الانتظار. و ستساهم في تحضير الأجواء و الاوساط العالمية المناسبة، من خلال إيجاد مؤسسات و منظمات دولية و إقليمية لها دور «رقابي و إشراف العدالة» لمنع حصول أى خروقات أمنية و تجاوزات تستهدف حقوق الانسان الحقيقية و الحقوقية في العالم، و تحدّ من انتشار هذه التجاوزات و الاعتداءات.

و من الخطوات السابقة لهذه المرحلة هي مرحلة إصدار قرارات رسمية منددة بالتحركات الظالمة و المشبوهة في العالم، و التي يمكن ان تستغل موقعها القانوني و الرسمي، و تستمر في هذا الاتجاه.

٦. الدعوة لاستقبال أعضاء ناشطين جدد من الدعاة الى تطبيق العدالة من أتباع الديانات الأخرى في مؤسسة العدالة. و ينبغي الانتباه الى هذا الأمر و هو: أن المعنيين بأمر العدالة عليهم أن يتفهموا ابتداء معنى العدالة بشكل واضح، لتتوفر لديهم خلفيات إيمانية مطلقة و قواعد ثابتة لها. فالمتعقدون بالأديان المختلفة هم نماذج مختارة و مصطفاة، و أعلام للعدالة، الذين يمكن من خلالها الارتقاء بها و ايصالها الى المستوى الرفيع، و ذلك من خلال متابعة النظر في «المعتقدات المذهبية» و العمل «بالمناسك الدينية»، فمثلاً يمكن تشكيل مؤسسات حكومية (GO) و منظمات شعبية كمنظمة

(NGO) الناشطة، و منح مسئوليات تطالب بالعدالة، للمساهمة في تقويض حجم المعاناة البشرية، والعمل على توسيع ونشر العدالة في العالم.

و يمكن عدّ هذا من الخصائص و السمات البارزة لطبيعة عمل هؤلاء النخب و الأعضاء في تلك المؤسسات.

٧. تخصيص مكافئات و جوائز عالمية لدعاة العدالة و السلام تحديداً، بالاستعانة بمنطق التشجيع، و التبليغ لعناصر الدعوة في نشر العدالة، الذي سيساهم كثيراً في إعطاء نتائج أفضل للمعنيين في هذا المجال، و إمكان قبول عولة الانتظار.

فالتعرف على نماذج و شخصيات مهمة و ناشطة في مجال نشر العدل و السلام، و تخصيص مكافئات و جوائز و منح لهم بهذا الخصوص، هو من أهم مستلزمات طبيعة هذه المرحلة في ميدان الانتظار.

آملين في عبور لحظات الانتظار و انتهائها، و مجيء المنجي و المخلص العالمي الأصيل، الموعود به في الاديان السماوية الالهية، ليعمّ العدل و السلام في ربوع العالم.

اللهم عجل في ظهور فرج مولانا صاحب العصر و الزمان ﷺ آمين يا رب العالمين و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين

المجتمع الإسلامي والتمهيد للظهور

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

قد يكون واضحاً: أن المجتمع الإسلامي يرجو ويأمل. أن يتطلق ليؤدى دوره فى حركة الحياة. وقد أصيب المجتمع الإسلامى بهزات. كما أنه يمتلك جذوة اتقاد تؤهله لاستقبال المهدي الموعود. حتى يعود المسلمون إلى عزهم ومجدهم. ولا يخفى: أن هناك معايير وضوابط تشير إلى قرب ظهور المهدي. والمجتمع الإسلامى مؤهل فى هذا العصر. لأن يساهم باقتدار فى صنع ما تحتاجه الإنسانية.

وإذا كان الاغتراب الزمانى، والاغتراب المكافى، من المعوقات التى أصابت الأمة. فإن المجتمع الإسلامى يملك فلسفة حياتية بالرجاء والأمل. تعينه هذه الفلسفة لاستقبال المهدي المنتظر. والمجتمع الإسلامى الكبير ما حدث به من أحداث مختلفة تعد عند الباحثين والدارسين: تمهيداً لظهور المهدي الموعود.

والرؤية المستقبلية تشير: أن هذا المجتمع مقبل بالمهدي إلى بناء شخصيته بناء لا يطغى عليه الانفعال، ولا يسيطر عليه التفكير المادى ولا الانحراف الفكرى المتأق من

سيولة العقل، وامتداد لا معقول. وإذا كانت المجتمعات الإسلامية عانت من التيارات. مما شغل الناس عن المواجهة العلمية. فإن المجتمعات الإسلامية سوف تسعد بظهور الإمام المهدي. ولاشك أن المؤتمرات المهدوية تبصر الناس بالمواقع، وتعرف على طريق الصواب. وأن أمة تخطو إلى الأمام. لا بد وأن ننطلق بقوة، ووعى، وفهم.

الفصل الأول: أذي أصاب المسلمين

إن ما أصاب المجتمع الإسلامي "غزو فكري" مقصود، يعمل لإذابة الشعوب، وانسلاخها عن عقائدها، ومذاهبها، وحضاراتها، لتصبح مسخاً شائها تابعاً لغيره، يؤمر فيطيع.

ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية، وخداعها، والتمويه عليها، وقلب الحقائق، وتشويه الحقيقة، عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول، والدخول إلى المخاطب، من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف الذي تحمله كلمات الغزو.

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال، وتساقطت في هاوية الضلال والانحراف، والفساد الخلقى، والعقدي، والاجتماعي، بسبب تصورات "الغزو" المزخرفة الخداعة، التي يرقص السذج، والجُهَّال على نغم إيقاعها، ويفتنون بسماعها وأناقة ظاهرها. ولكم عانى الإنسان والشعوب من أولئك الذين يصنعون "الغزو الفكري"، ويصدرونه في موجات، تقتحم الديار والبيوت.

لقد قيدت الإنسانية إلى هاوية الضلال، والانحراف. ولقد كان "للغزو الفكري" في كل جيل، وفي كل عصر دوره التخريبي، في حياة الناس، إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه "للغزو الفكري" خبراء، ومتفلسفون، وأجهزة، ومؤسسات، كعصرنا الحاضر هذا.

الذى اتخذ فيه "الغزو الفكرى" صبغة الفلسفة، والنظرية، والمبدأ، الذى يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه، وينقادون له.. ومما لا ينكر: أنه لم يواجه دين من الأديان، ولا عقيدة من العقائد، مثل ما واجه الإسلام من تحديات، فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه، تحديات عنيدة من مخالفه، فقد واجه المشركين فى مكة، واليهود فى المدينة. ثم لما فتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكاراً شعوبية إلحادية، وفلسفات وثنية، كالفسفات المتشدة، واليونانية والهندية، وغيرها.

ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات، وانتصر عليها، فقد كان المجتمع الإسلامى آنذاك يعى الإسلام وعياً كاملاً، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التى كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة، وما تحمله من شبهات.

وهى فى جملتها تعمل على نقل الفكر، من مجال أصالة الفطرة، ومنطق العقل الصحيح، وطريق التوحيد، وطابع الإيمان، إلى مجال الإلحاد والإباحية.

غير أن المجتمع تصدى لهم، وأخذ يكشف زيفهم، ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد، ولم تستطع أن تنال من الإسلام عبر العصور.

على أن من أخطر هذه التحديات هى تلك التى تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم، وهى تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حيناً، والمستترة أحياناً، هذا التحدى الذى يتمثل حالياً بالغزو الفكرى الغربى^١.

أسباب الأذى الذى أصاب المجتمع الإسلامى

أولاً: العداء الصليبي للإسلام والمسلمين:

والباحثون يدركون أن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامى، فى مرحلتين من مراحل تاريخها: فكانت مرحلة القرون الوسطى، قبل وبعد "توماس إلاكويني"^٢. تريد اكتشاف

هذا الفكر، وترجمته.

من أجل إثراء ثقافتها. بالطريقة التي أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات، التي هدتها إلى حركة النهضة، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

وفي المرحلة العصرية والاستعمارية، فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى، لا من أجل تعديل ثقافي، بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خطها السياسية، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية أخرى، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية^٣.

ويذكر المؤرخون أن الجيوش الأوروبية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين:

الدافع الأول: دافع الدين، والعصبية العمياء، التي أثارها رجال الكنيسة، في شعوب أوروبا، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار - أي المسلمين.

فكانت جمهرة المقاتلين، من جيوش الصليبيين، من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية، من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلى حيث يلاقون الموت، والقتل، والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشاً بعد جيش.

الدافع الثاني: دافع سياسي استعماري، فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة، وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما في نفوسهم إلا الرغبة في الاستعمار والفتح، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة^٤.

ويكاد يكون معروفاً، أن أوروبا شنت ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامي، وقد بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحادي عشر، واستمرت حتى نهاية

القرن الثالث عشر. أى ما يقرب من مائتين وخمسة وعشرين عاماً في ثمانى حملات من الحملات المدججة بالعدد والمعدات. ويصف كاهن مدينة (الوبوى ريموند واجيل) سلوك الصليبيين حينما دخلوا على القدس، فيقول: "حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقطعت رؤوس بعضهم، فكان أقل ما أصابهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم فى النار.

فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى فى شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه^٥ وروى كاهن نفسه: خبر ذبح عشرة آلاف مسلم فى مسجد عمر ويقول فى هذا: "لقد أفرط قومنا فى سفك الدماء فى هيكل سليمان، فكانت جثث القتلى تعوم فى الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدى والأذرع المبتورة تسبح، كأنها تريد ان تتصل بجثث غريبة عنها.

وكان الجنود الذين أحدثوا تلك المللحة، لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمنشفة^٦.

ويذكر التاريخ: أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس فى ١٥ مايو عام ١٠٩٩م، قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم، حتى سبحت الخيل إلى صدورها فى الدماء، وفى انطاكية، قتلوا أكثر من مائه ألف مسلم.

فالأمر خطير، إنه حقد الشر على الحق، والرذيلة على الفضيلة وعداوة الشرك للتوحيد، وخصوصة الضلال للهدى^٧. وقد صمدت الأمة الإسلامية فى وجه هذه الحروب الوحشية التى سلبت، ونهبت، وقتلت وفتكت. وبعد مضى أكثر من قرنين من حروب دامية، اشتد وطيسها، بين كتائب الإيمان، وبين جحافل الشر، ارتدت الحروب الصليبية،

وقد باءت هذه الحملات بالإخفاق والهزيمة.

فالقديس "لويس التاسع" قائد الحملة الصليبية الثامنة، وملك فرنسا، وقع أسيراً في مدينة "المنصورة" في مصر. ثم خلص من الأسر بفدية ولما عاد إلى فرنسا، أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدى نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة، تدفعهم إلى الجهاد، وتحضهم على التضحية بالنفس، وبكل غال.

إذن: لابد من تغيير المنهج والسبيل، فكانت توصياته: أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض. وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر، لأن القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم، لا يمكن أن يأتي عن طريق القوة المادية، والغزو المسلح.

ولقد بدأت حركة "الغزو الفكري" من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة، بعد هزيمة الحروب الصليبية - كما وجههم "لويس التاسع" - والعمل على ترجمة القرآن، والسنة، وعلوم المسلمين، للبحث عن الثغرات التي يدخلون منها إلى إثارة الشبهات. وقد أعلنوا صراحة: أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن أكبر غاية لهم هي ضرب وهدم قواعده^٩.

لقد فشلت الحروب الصليبية من الوجهة الحربية.. لكن بقي "الغزو الفكري" ينفث سمومه، ويثير الشكوك، وبقيت النزعة الصليبية تتوارى خلف ستار من الدبلوماسية، والرياء السياسي، تحرك ما تريد تحريكه، وتقف خلف الغزو الفكري، بكل ما لها من قوة وعلم. ولا شك أن العداء الصليبي للإسلام، هو الدافع الأساس والأصيل "للغزو الفكري" الذي تسلط على مجتمعات الأمة الإسلامية، ونجد أن هذا العداء أخذ "شكل السعار البوائي" لدى الأمم الغربية "الصليبية" فأخذوا مستميتين يوزعون السموم، ذات اليمين،

وذاات الشمال، ويفترون الأكاذيب، ويطمسون الحقائق، ويدبرون المكائد، ويتصيدون السقطات. ثم يدخلون في روع أنفسهم، وبني جلدتهم أنهم أرقى عنصراً، وأفضل عقلاً، وأفلح ديناً، وأنهم أوصياء على البشرية، وسادة الإنسانية، وهدايتها، ومرشدوها"^{١٠} ولقد اشترك الاستعمار الغربي، والجهد التبشيري، والحقد الصليبي، في حرب المسلمين، وتشيتت تراثهم، ونهب ديارهم، بحيث أصبح يخيم عليهم كسحابة سوداء، من البغضاء والكراهية. يتمثل هذا فيما حدث في عام ١٩١٨م عندما دخل اللورد اللنبي القدس، وأعلن: "الآن انتهت الحروب الصليبية، كان هذا القائد يعبر عن الروح الأوروبية، الروح الصليبية، التي ظلت متوهجة في أعماقهم طوال تلك الحقب.

وبنفس الحقد الذي صدر عن الجنرال الإنجليزي اللنبي، كان مسلك الجنرال الفرنسي "عورة" قائد الجيش الفرنسي في دمشق حين ذهب إلى قبر صلاح الدين، بعد أن جاء راكباً سيارة مكشوفة، وترجل إلى القبر، وقال قولته المشهورة: "نحن هنا يا صلاح الدين". وفي اليوم التالي عمل الشئ نفسه في حمص، حيث ذهب إلى قبر "خالد بن الوليد" - رضى الله عنه - وقال: "نحن هنا يا خالد"^{١١}.

هذا الحقد، والضغن، والمقت، كان سبباً قوياً، في الإغارة على المسلمين، بشق الأساليب، والطرق والأشكال، والألوان.

وما زالت تلك الموجة، تعلو، وتشتد، وتمتد، ثقافياً وفكرياً، لتخريب قواعد الإسلام، والأخلاق الإسلامية، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة^{١٢}، وشغل الأمة الإسلامية، بكل ما هو هامشى في حياتها، حتى لا تدرك اليقظة الواعية، ولا تنتبه إلى ما يحاك حولها.

ثانياً: الاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية:

لقد تعرض المجتمع الإسلامى في آسيا، وأفريقيا، للطابع الأيدولوجى، للمجتمع الأوروبي، سواء الحديث منه في القرن التاسع عشر، أو المعاصر في القرن العشرين، ولم

تكن للمجتمع الإسلامي مناعة كافية في رفض هذا الطابع وتحديه، وعدم تقبله. فتعرض للغزو الأوروبي، من أجل الصناعة الغربية، منذ أثمر عهد النهضة الأوروبية ثمرته في التحرر والخلاص، من سلطة الكنيسة، وفي استرداد الإنسان الأوروبي حرية الحركة في التجارة، وفي شؤون المال على العموم، وحرية التفكير والتوجيه السياسي^{١٣}. وكان الوضع في البداية قبل الاستعمار تربصاً من جانب، بينما كان استسلاماً من أى مجتمع إسلامي، تعرض للتربص والانقضاض، وقبولاً للصداية الأجنبية والاستغلال الأوروبي من جانب آخر^{١٤}.

ومما هو مسجل في صفحات التاريخ: أن المجتمع الإسلامي وقع فريسة للاستعمار، فقد احتلت بريطانيا: الهند في سنة ١٨٥٩م ومناطق الخليج الإسلامي، وجنوب شبه الجزيرة العربية في سنة ١٨٤٩م، ومصر في سنة ١٨٨٢م، والسودان في سنة ١٨٩٨م. واحتلت فرنسا: الجزائر في سنة ١٨٣٠م، وتونس في سنة ١٨٨١م، والمغرب في سنة ١٩١٢م. واحتلت إيطاليا: طرابلس الغرب في سنة ١٩١١م. واحتلت هولندا: جزر الأرخبيل الاندونيسية تباعاً منذ عام ١٩٠٣م.

وروسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر في سنة ١٨٧٣م، وسيطرت بإشرافها على المجتمعات الإسلامية في وسط آسيا، وهي: أذربيجان، وكازاخستان، وأوزبكستان، ونوركيستان، وكازبخستان.. سيطرة تامة في القرن التاسع عشر، ولم يسلم من الاحتلال الأوروبي سوى: اليمن، والحجاز، وإيران، ووسط تركيا^{١٥}.

ولا يخفى: أن وقوع المجتمعات الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية، وهذا أدى إلى تفوق الصناعة الغربية. وكلما قوى المجتمع الأوروبي وتفوق صناعياً، كلما زادت رقعة استعمارها في قارة أفريقيا وقارة آسيا.

وكلما زادت قبضة أوروبا على ما تم استعمارها، وكلما اتسع نفوذها السياسي والاستغلالى، وكلما زاد ضعف المجتمع الإسلامى، الذى وقع تحت سلطة الاستعمار، زادت تبعيته وتقبله لما يأتى من الغرب.

ويوم أن تحرك المجتمع الأوروبى لاستعمار المجتمعات الإسلامية، كان فى قمة مجده، بما أنجزه من الفصل بين الكنيسة والدولة، واستقلاله بالسلطة الزمنية، وبالحرية السياسية، كما كان فى أشد الأوضاع حرصاً على اتجاه (العلمانية) كمثال للإنسانية..

استصحب الاستعمار معه هذا الاتجاه، بما يستتبعه فى الحكم، والتوجيه، والتشريع، والاقتصاد، فى المجتمع الإسلامى الذى يتمكن منه.

وباستصحاب الاستعمار اتجاه العلمانية، ومحاولة تطبيق هذا الاتجاه، فى المجتمع الإسلامى، وهو مجتمع يغير فى خصائصه، وتاريخه، وواقعه.. المجتمع الأوروبى، اضطر هذا الاستعمار إلى أن يسلك طريقاً يمكنه من هذا التطبيق.

وهو عزل المجتمع الإسلامى كلية عن ماضيه، وعن تراثه العقلى، والروحى، والتوجهى، والسلوكى.. فإذا ما تم عزله، أصبحت قيادته ميسرة، وطبعة للمستعمر، وبالأخص للأجيال التى تنشأ فى ظل هذه العزلة^{١٦}.

ثالثاً: تقدم الغرب العلمى

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً فائقاً، وتقدماً مادياً هائلاً، وعبقورية تنظيمية مبدعة، وروحاً من الجلد والصبر على العمل والإنتاج، وروحاً علمية فى مواجهة المشكلات من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ^{١٧}.

ولاشك أن التقدم العلمى المذهل للغرب، كان قوياً دافقاً، له من القوة والانتشار والاستيلاء، ما بهر العقول، وفتن الأبواب، ولا غرو فقد بز بذلك كل تقدم علمى عرفه العالم، وسمعت عنه البشرية فى التاريخ المترامى الأطراف واستطاع أن يخرج من الأسوار،

ويكشف من الاختراعات، ما جعل أبصار الناس وعقولهم تتعلق به^{١٨} وخاصة أن هذا العلم أصبح في خدمة الإنسان، في كثير من مناحيه، فاتجهت الأنظار، والعقول، والقلوب إلى الغرب، تتطلع إلى ما فيه من اكتشافات تأتي بجديد^{١٩}.

رابعاً: الضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي:

لقد أصيب المجتمع الإسلامي بالضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، وذاق من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر.

والضعف الفكري، ما أصيبت به أمة من الأمم، أو مجتمع من المجتمعات، إلا كانت الحالة، انحطاطاً في التفكير، واهتماماً بالحرفات والأساطير.

والتفكك الاجتماعي نتيجة حتمية للضعف الفكري.

لأن الضعف الفكري، لا يكشف للإنسان مخاطر الانزلاق في الهاوية.

ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية، ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة، والمذهبية التعصبية، وتعدد السلطنات والدويلات، التي قامت على أساس شعوبي أو مذهبي، في هذا المجتمع أو ذاك.

وهذا كله جر المجتمع الإسلامي إلى فوضى قاتلة، وتناحر حقيقي، ونهب وقتل، دون رادع أو وازع.

ومجتمعاً كهذا لا بد وأن يتعرض لسيطرة المتربصين به. لقد كانت السلطة السياسية في المجتمعات الإسلامية تعيش في وضع مقلوب، "وفي ذلك الوضع لا بد أن تكتمل الصورة المقيتة لأى امبراطورية على وشك السقوط، بغض النظر عن اللافتة التي ترفعها، سواء كانت امبراطورية بيزنطية، أو رومانية، أو عباسية. لا بد أن تتفشى الرشوة، وتكثر مصادرة الأموال، وتتفاقم الاضطرابات الداخلية، مع الانحلال الخلقي، والانشغال بالتوافه عن الخطر الذى يدق الأبواب"^{٢٠}.

وأساس انهيار الأمم، يبدأ من الداخل، وقد يأتي تدخل خارجي ليعجل بالسقوط. ولكن يظل الانهيار الداخلي هو بداية النهاية وعاملها الأكبر. ويأتي الانهيار الداخلي حين تتكون طبقة مترفة تتحكم في الثروة، وفي الجماهير، فتنشر الظلم، والانحلال، وتحيل حياة الأكثرية إلى جحيم تهون فيه الحياة"^{٢١}.

خامساً: تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة:

إن المجتمعات الإسلامية، حين أصابها الضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، انشغلت بالتفافه من الأمور، فقادت التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم، والتقدم، والحضارة.. ومعنى هذا: أن المجتمعات الإسلامية، انصرفت عن تعاليم الإسلام، التي تدعو إلى العلم، والمعرفة، واستعمال العقل، والفكر في كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم، "وواكب هذا الانصراف انحطاطاً في القيم، ودعوات إلى الركون إلى المتع، والعبث بالأموال، إلى حد السفه والجنون، والترف والفجور، حتى كان قواد هذا الركب في كل ناد، وكل صحيفة.

مع جهل ضارب، ونفاق ناشب أظفاره، وفساد في كل مجتمع وناد، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة، وخراب للذمم، وبيع للشرف، وكره للقيم، وضياح للحق، وهضم للحقوق، وذبح للفضيلة"^{٢٢}.

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق في الشعوب الإسلامية، وجعلها تعتمد في كل شئ على غيرها.

إن التخلف العقلي لا يكمن في التبدل، والخنول، والنوم، والرضاء بالدون، وموت الهممة..^{٢٣}

ومن المؤكد أن الأمة التي تفضل أو ترضى بالتواكل، والاستجداد، والكسل، والتبعية، أمة لا تستحق الحياة الكريمة، والحياة الحرة الكريمة لا تتأق لأمة دون ثمن، والثمن هو التضحية.

ولا يتأتى لأمة أن تشق طريقها في الحياة، وأن تستعيد وجودها وكرامتها، وتعيد صنع حياتها، دون أن تحاول جاهده أن تبني نفسها بناءً يتفق مع الاعتداد بالذات. وقد يكون من المسلمات البديهية: أن فقر الأمة في جوهره وجذوره ليس فقراً في السلاح والمعدات، أو فقراً في المال والإمكانات، وإنما يكمن في فقر النفوس وعجزها، وضعف الإدارة واضطرابها..^{٢٤}.

فالتخلف عن ركب التقدم والحضارة، يعود بالمجتمعات الإسلامية إلى الانحطاط، ويقودها طواعية إلى الهلاك، كما تقاد الشاة إلى حتفها بظلفها، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكري، الذي اجتاحت البلاد والعباد.

سادساً: الفراغ العقدي:

من المؤكد لدى الباحثين، أن العقيدة هي الأمر الذي تثق به النفس، ويطمئن إليه القلب، ويكون يقيناً عند صاحبه، ولا يمازجه شك فيه، ولا يخالطه ريب. ويذكر العقاد: أننا نعني بالعقيدة الدينية طريقة حياة، لا طريقة فكر، ولا طريقة دراسة، وإنما نعني بها حاجة النفس، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات، ومن فرغ من العلم والمراجعة، ليتربح مكان العقيدة من قرارة ضميره. وإنما نعني بها ما يملأ النفس، لا ما يملأ الرؤوس أو الصفحات^{٢٥} إن العقيدة التي يصح أن توصف بالعقيدة الدينية، هي التي لا يستغنى عنها من وجدها، ولا يطيق الفراغ منها من فقدتها، ولا يرفضها من اعتصم منها، بمعصم، واستقر فيها على قرار^{٢٦} ومن يتأمل العقيدة الإسلامية، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة، إن من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان، ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيراً من المفكرين^{٢٧} والحقيقة التي أثبتتها مئات السنين المحافلة بالأحداث، والخطوب، والمحن، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الشاملة، والعقيدة المثلى للإنسان، والمجتمع، وهي رعاية للروح والجسد، وعمل للعالم والآخرة،

وجهاد في السلم والحرب، وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم.

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة.. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وتظهر نفسه.. وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك، ويرتفع وينهض..

فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح، تحوله يميناً وشمالاً، فلا يسكن له حال، ولا يستقر له قرار، وليس به جذور تثبته^{٢٨}.

والعقائد في الأمم تقف سدوداً بينها وبين الأفكار الوافدة، أو المذاهب المقتحمة، وتعطي أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد، كما تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان في الحياة. أما إذا تركت الأمم عقائدها، وتخلفت عن غذائها الروحي، وعن عمقها الإيماني^{٢٩}، فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب..

الفصل الثاني: إرهابات الظهور

بعد أن اتضحت لنا أبعاد ما أصاب المجتمع الإسلامي وتياراته، وحركاته، التي تعمل ليل نهار، يبقى أمامنا السؤال الكبير: ماذا فعلنا نحن؟ ما موقفنا من ما أصاب المجتمع الإسلامي؟ إن جزءاً كبيراً مما أصاب المجتمع، حركة فكرية هائلة، وما تنتجها هذه الحركة، يخلصنا نحن المسلمين، ويخلص عقيدتنا، ولغتنا، وتراثنا، وتاريخنا، وذاتيتنا. وإن جزءاً كبيراً آخر مما أصاب المجتمع، حركة عملية هائلة، تأخذ المواقع، وتسيطر على القلوب.

وما أصاب المجتمع الإسلامي بحركته الفكرية والعملية، من أخطر ما نواجه في حياتنا، لأن ما يقوم به من أهداف تقوض الدعائم، يتعلق بأعمق أعماقنا، عقدياً وفكرياً، وحضارياً، وليس هناك أمام المسلمين من سبيل إلا المواجهة وقبول التحدي وإثبات الذات وإلا فلسنا جديرين بالحياة.

ولا يخفى على أحد: أن السعى إلى إثبات الذات، والعمل على مواجهة هذه التحديات والتيارات الغازية دليل صحة، ودليل صحة... إذن - لا بد من منهج.

والمنهج الصحيح: هو أن نواجه الفكر بالفكر، ولا بد من بناء شخصيتنا، وتحصين أنفسنا، لنصبح ممنوعين من تأثير الغزو، ليست عندنا قابلية له.. وإذا تحصنا، لم يعد للعقبات الكأداء تأثير فينا.

ولعل أخطر ما استهدفه الغزو الفكرى، الذى تسلط على المجتمعات الإسلامية هو هدم شخصية المسلمين، هدماً عقدياً، وثقافياً، وفكرياً.

ولا يخفى أن انهدام الشخصية، يساعد على قبول الزيوف والأباطيل. كما يدفع إلى التبعية والذوبان.

ولهذا كان لا بد إذا رغبنا أن لا تؤثر فينا مخططات المتربصين، أن نبني شخصيتنا. بحيث تكون مصبوغة بصبغة الإسلام. وموسوعة بميسم الإيمان، والشخصية المصبوغة بالإسلام، والموسومة بميسم الإيمان، شخصية إيجابية، تعيش فى حركة فكرية، ونفسية، وجسدية، بناءه، تعطى، وتأخذ، وتعطى أكثر مما تأخذ.

ولا شك أن إدراكنا لضرورة الإسلام لنا، ولغيرنا، يفتح أعيننا على مكانتنا، كما ينبهنا إلى موقعنا ومركزنا.

وجدير بنا، ونحن نخطو على مجد نسعى إليه، أن نتعرف على حقيقة الإيمان. فإذا وقفنا على هذه الحقيقة، وتعلقنا بها كان لنا دور.

ومن شأننا ونحن نتابع الخطى، أن نتعرف على الإرهاصات التى تكون فى مقدمة ما يهيم الطريق للمهدى المنتظر.

أولاً: ضرورة الإسلام:

إن الإنسان آية الله فى خلقه، طبعه ربه على هذا النحو العجيب، وفطره على هذه

الصبغة الفضة، مقترنة بعدد من الغرائز والميول.

وحينما تشده الأولى إلى زكاة النفس، واستواء الفطرة، وقصد السبيل، فإن الثانية تشده إلى التقيض تماماً.

وبين هذا وذاك يتطلع الإنسان، ويرنو إلى ما يحفظ عليه نقاء معدنه، وصفاء جوهره، وزكاة نفسه، وطهارة قلبه، واعتدال خلقه، وقصد سلوكه، ويجعله على طول الخط سوى المنهج، قويم السبيل، زكى الباعث، نبيل المقصد، متعلقاً بعالى الأمور، نائياً عن سفافها، يتطلع إلى ذلك ويهفو إليه، فلا يجده إلا في رحاب الإيمان بالله وأحضان الطاعة له، وظلال القرب منه.

والإنسان بفطرته لا يملك أن يستقر في هذا الكون الهائل، فلا بد له من رباط معين بهذا الكون، يضمن له الاستقرار فيه، ومعرفة مكانه في هذا الكون، الذى يستقر فيه،^{٣٠} فلا بد له إذن من عقيدة، تفسر له ما حوله، وتفسر له مكانه فيما حوله، فهى ضرورة فطرية، شعورية، تقوم بالتأصيل لجوهر الفطرة، ومتابعة بعثها، لضمان استمرار حركتها وعملها وانطلاقها.

ومن هنا: كانت حاجة الإنسان إلى العقيدة حاجة فطرية، مركوزة في فطرته، ومغروسة في شعوره، ومخلوطة بدمه وعصبه، ولكنه قد يضل عن إدراك هذه الحقيقة، فيشقى ويحار، ويفقد الاستقرار.^{٣١}

هذه الحاجة الفطرية في الإنسان إلى العقيدة، هى التى يتحقق بها إدراك الإنسان لحقيقة مقامه في هذه الحياة، ورسالته وعمله ودوره.^{٣٢}

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾
[سورة النساء: الآية ١٧٤-١٧٥].

هذا الدين لا يزال العالم في حاجة شديدة إليه، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به، فهو الأمر المعروف، والناهي عن المنكر والداعي إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم.

ثانياً: حقيقة الإيمان:

من المعلوم أن الإيمان هو نبع الفطرة في صدقها وصفاتها.. وإذا صدق الإيمان في القلب. كان لذلك أثره في عقيدة المؤمن وشعوره، وفي صلته بالله تعالى، وفي جهاده في الحياة، فلا يقبل إلا الحق، ولا يعبد إلا الله، ولا يخشى في الله لومة لائم، ولا يرتبط بالباطل في قول أو عمل، بل يكون شهيداً على الناس من حوله. يرشد ضالهم. وينصح مخطينهم، ويعطيهم من نفسه المثل والقدوة، بأخلاقه وسلوكه، مؤثراً فيهم بما في قلبه من النور واليقين. غير متأثر بما لدى بعضهم من باطل.

وصاحب الإيمان الصادق لا تزيده الأيام إلا يقيناً، فإن أصابه خير شكر ربه، وأدى حق الله في نعمته، وإن أصابه شر حمد الله، ورضى بقضائه، ولا يضعف ثقته بالله شيء.. قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٥].

وقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٢-٤].

وكما أن الخوف من الله ومراقبة جلاله أثر من آثار الإيمان الصادق، فإن حب الله، وحب الرسول ﷺ وحب الإسلام كمنهج للحياة بحيث لا يربو على هذا الحب شيء

أبداءً يدل على صدق الإيمان كذلك، وعمقه في ضمير المؤمن..

ولاشك أن الإيمان الصادق العميق، يحيا به ضمير المؤمن، وتسلم به اتجاهاته..

فبينما يتخط الملايين، في دياجير الظلام الحالك، وسبل الضلال، ترى المؤمن بوحى من تفاعل الإيمان في كيانه: مرهف الحس، صادق العزم، صالح العمل، لا تستدله الحياة، وما فيها، ولا تعصف به الشدائد مهما بلغت حدتها.

قال تعالى في سورة الزمر: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر: الآية ٢٣].

فقوة الإيمان في نفس المؤمن، ترفع مقتضيات الإيمان فوق كل شئ، وتجعل المؤمن وثيق الرابطة بما يمليه عليه إيمانه، لا يشغله عن ذلك شاغل.. ومهما اشتد البلاء، فإن المؤمن لا يزداد إلا ثباتاً ويقيناً، ذلك لأن قوة الإيمان في القلب، تمد المؤمن في كل أحواله بنور الاهتداء، وكمال الرجاء..

ذلك شأن المؤمن في كل أموره، في عبادته لله، وذكره إياه، وفي حرصه على مرضاة الله، مهما تكاثرت عليه مشاغل الحياة، وفي خضوعه دائماً لأمر الله وحكمه، وفي كمال ثقته بالله، قولاً وعملاً، وقلباً، وجسداً، وعقيدة، وسلوكاً.

كذلك من شأنه ألا يهادن أهل الباطل، أو يلين في مقاومتهم..

ثالثاً: شعور الأمة بالحضارة:

والباحث: يجد أن مفهوم الحضارة في العصور المتأخرة، قد امتد إلى ألوان من المعنى، هي أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون في عصره، وفي البيئة العربية، وفي انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البادية إلى الحضر.

إن لفظ الحضارة في مفهومه العام والحديث المعاصر بصفة خاصة، قد أصبح أكثر

اتساعاً، مما يدل عليه اللفظ في مفهومه اللغوي التقليدي.. ولذا جاء في المعاجم الحديثة: أن الحضارة هي الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، والاقتصادي في الحضرة. وبعبارة أخرى أكثر شمولاً هي: الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر، ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمعنوية.

ولهذا كانت الحضارة، هي الخطوة العريضة - كمأ وكيفاً - التي يسير فيها تاريخ أمة من الأمم. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التي تصور انتقال الإنسان، أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة^{٣٣}.

فالحضارة بكل بساطة، معناها: بذل المجهود، بوصفنا كائنات إنسانية، من أجل تكميل النوع الإنساني، وتحقيق التقدم من أى نوع كان في أحوال الإنسانية، وأحوال العالم الواقعي.

إن الحضارة تنشأ حينما يستلهم الناس عزمًا واضحاً صادقاً عن بلوغ التقدم، ويكرسون أنفسهم تبعاً لذلك، لخدمة الحياة وخدمة العالم^{٣٤}.

والحضارة باختصار شديد: هي جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التاريخ، والتي تبقى في المجتمع على مر الأيام، دليلاً على القدرات الذهنية المميزة، وتعبيراً، عن روح هذا المجتمع والشعب، الذي يمثله.

ولا شك أن المظاهر المعنوية، تأخذ قوالب مادية مختلفة، تتجسم فيها تلك المعنويات، وتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف. ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة، وآداب المعاش اليومي^{٣٥}.

فالحضارة تحقيق للراحة الإنسانية، في جوانبها المتعددة، المتقابلة المتكاملة، جسدية، وعقلية، ونفسية، وروحية؛ والسلوك الحضارى هو جواب الإنسان على التحدى الموجه

له؛ تحدى الطبيعة المادية من جهة، وتحدى حاجاته هو من جهة أخرى، وتحدى الإنسان الآخر أو المجتمع من جهة ثالثة.

ويأتى هذا الجواب الإنسانى فى شتى مجالات الآداب، والعلوم، والفنون. كما تشمل أيضاً صور الإنتاج المادى من عمائر، وطرق، وجسور، وقناطر، وغيرها. ومن مجالات الحضارة العقائد والعوائد والأدب الشعبى، وأدب الخاصة، أو الأدب الرفيع، والنظم السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية كما لا يخرج عنها تخطيط المدن والعمارة ووسائل النقل، وأساليب المأكّل والمشرب والزينة والترفيه^{٣٦}.

والحضارة على أية حال، تمثل كل مظهر من مظاهر الإنتاج البشرى، وغالباً ما يحدوها سلوك الإنسان وطرق معيشته وتفاعله مع البيئة.

لذا كان من الطبيعى أن تختلف كل حضارة فى مظاهرها عن الحضارات الأخرى، فلكل حضارة من الحضارات قديمها وحديثها مظاهر مميزة^{٣٧}.

والعقل البشرى استطاع بما اكتسب من خبرة ودربة، ومرانة، أن يصنف المعارف الإنسانية، وأن يحكم ما بينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات وروابط. والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض، ويعتمد بعضها على بعض. والحضارات الإنسانية، ليست ملكاً لأمة بعينها، ولا هى وقف على جماعة من الناس. لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب.

والحضارات الإنسانية، قد تتشابه فى مظاهرها، وفى عناصرها، وفى أسلوبها، ولا سيما إذا تعايشت فى وجهات متقاربة.

والحضارات الإنسانية، سلسلة محكمة متينة الحلقات، يؤثر سابقها فى لاحقها، ويتأثر حاضرها بماضيها، ويتنفع بعضها من بعض^{٣٨}.

ولقد تواجدت حضارات مختلفة فى الزمان والمكان، وانتفعت من بعضها انتفاعاً أدى

إلى تقدمها عند الكثير.

وتشكل الحضارة مجموعة الصفات، والمزايا المشتركة لمجتمع، أو لمجموعة من المجتمعات، وهذه الصفات تمثل مجموع الحلول التي أوجدتها أو تبنتها مجموعة اجتماعية ما، تندمج بشكل عام، في جو واسع جداً، ومكان جغرافي طويل جداً من التاريخ.

وتستخدم هذه الأساليب المادية، والتقنية، والمفاهيم لحل جميع المشاكل، التي يطرحها وجود هذه المجموعة: الاتصالات، وإصلاح وتوزيع الأراضي، واستثمار الثروات، وكذلك الحياة الاقتصادية، والفكرية، والسياسية، والدينية.

والفاحص المدقق: يجد أن تيار الفكر الحضاري الإنساني، يتخذ طابعاً واحداً، لا ينحو كثيراً عن تاريخ الإنسان ذاته.

فالحضارات والثقافات المختلفة، تتفاعل مع بعضها. فنتج للإنسان ما يشبع حاجته الفكرية والمادية..

وبذا فإن الحضارات الإنسانية على مر العصور، تكون كلاً متماسكاً. يترابط بنيانه العضوي، كحلقات السلسلة الواحدة، التي لا تنفصم الواحدة منها عن الأخرى.. ولا يمكن أن تكون كل حضارة نشأت بمعزل عن غيرها من الحضارات الأخرى. أو أنها لم تتفاعل معها.

ونظرتنا الأساسية تقوم على أن الحضارات تأخذ وتعطي. تأخذ ما يتفق مع طبيعة البنيان العقلي والفكري للأمة. وتعطي ما تجود به نوعيتها ونشاطها الفعال. وبطبيعة الحال، فإن هذا التفسير أقرب إلى فهم روح الفكر، والنشاط الإنساني المتصل، الذي بدأ تاريخه ومسيرته مع بداية الإنسان على هذه الأرض^{٣٩}.

ولا يخفى: أن النشاط العقلي، والإنتاج الحضاري، لا بد وأن يستند إلى أدلة ملموسة، والأدلة في هذه الحالة.

إما مادية مثل النقوش والمعابد، والآثار والمنشآت، وكل شكل الإنتاج التكنولوجي. وإما فكرية مثل الوثائق، والمؤلفات، والكتب، والنظريات العلمية، والآراء المدونة كتابة.

رابعاً: العلم والدراسة:

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة في الأرض. قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٠].

وقد فضل الله الإنسان وكرمه. كما وضع ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠].

وهذه الكرامة التي اختص الله بها الإنسان ذات أبعاد مختلفة. فهي حماية إلهية للإنسان، تنطوي على احترام حريته، وعقله، وفكره، وإرادته.

وهذه الكرامة تعني في النهاية: الحرية الحقيقية، وهي تلك الحرية الواعية المسؤولة التي تدرك أهمية تحملها أمانة التكليف والمسئولية. التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٧٢].

وإذا كان الله قد اختص الإنسان بالتكريم، وجعله مكلفاً ومسئولاً، فإنه من ناحية أخرى قد خلق له هذا الكون، بما فيه، ليمارس فيه نشاطاته المادية، والروحية على السواء. يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: الآية ١٣].

والتفكير الذي تنص عليه الآية هنا أمر جوهري لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان. فإنه إذا كان الله قد سخر للإنسان هذا الكون. فلا يجوز له أن يقف منه موقف اللامبالاة، بل ينبغي عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفاً إيجابياً، وإيجابيته تتمثل في درسه،

والنظر فيه، للاستفادة منه، بما يعود على البشرية بالخير.

والاستفادة من كل المسخرات في هذا الكون، لا تكون إلا بالعلم والدراسة والفهم. والنظر في ملكوت السموات والأرض على هذا النحو، سيؤدى إلى الرقى المادى، وفى الوقت نفسه، إلى الرقى الروحى^{٤١}. والحضارى.

والحضارة الإسلامية هى عمارة الأرض، وترقية الحياة على ظهرها خلقياً، وعلمياً، وأدبياً، وفنياً، واجتماعياً، وفق منهج الله وشريعته.

وبناء على هذا المفهوم. فإن المجتمع الإسلامى، - وهو المجتمع الذى يطبق شريعة الله فى كل جوانب الحياة - هو وحده المجتمع المتحضر.

والمجتمع المتحضر^{٤٢}. هو الذى تكون القيم الإنسانية، والأخلاق الإنسانية التى يقوم عليها، هى السائدة فيه. وهذه القيم هى التى تنمى خصائص إنسانية الإنسان، وهى التى تميزه عن غيره من المخلوقات^{٤٣}.

وهذه القيم إنما هى قيم إنسانية، ذات ميزان ثابت. وهى مقررّة فى الشريعة الإسلامية منذ جاءت، وما على الإنسان إلا أن يمضى فى بنائها وصيانتها فى كل المجتمعات التى يقيمها، حضرية كانت أم بدوية؛ صناعية كانت، أم زراعية.

فالمهم فى كل الأحوال هو الارتقاء صعوداً بالحقائق الإنسانية وحراستها من النكسة إلى الحيوانية التى تؤدى إلى التخلف.

إن الحضارة الإسلامية تقوم بهذه القيم، وبهذه الأخلاق، فى كل مكان، وفى كل بيئة. أما أشكالها وصورها المادية، فهى كثيرة ومتنوعة، لأنها فى كل بيئة تستخدم المقدرات والمعطيات الموجودة بها فعلاً، وتنميتها وفقاً لميزان الله الثابت، وقيم الإنسان المقررة فى شريعة الله^{٤٤}.

فالإسلام حين يدخل المجتمعات البدائية ينشئ الحضارة المناسبة لهذا المجتمع. وحين

يدخل المجتمعات المتقدمة صناعياً أو زراعياً أو غير ذلك، فإنه يستخدم كل ما لديها من معطيات. ويقيم حضارة هذه المجتمعات مستقيماً مما لديها.

وإذا كان هذا هو مفهوم الحضارة الإسلامية، فإن التخلف الحقيقي - في مفهوم المجتمع الإسلامي المتحضر - هو تحويل منجزات العلم الهائلة إلى قوى باغية للتدمير والتسلط، وتسخير إمكانيات العلم غير المحدودة في نشر الفوضى والعادات غير الخلقية، بدلاً من استخدامها في إعلاء القيم الإنسانية، وفي خدمة الإنسان دون بغى أو ظلم أو تحكم أو إبادة. إن مهمة العلم في مفهوم المجتمع الإسلامي المتحضر ليست قهر الطبيعة أو الانتصار عليها، بل التلطف مع الطبيعة، والمجد في اكتشاف قوانين الله فيها^{٤٥}.

وإذا كان هذا هو عمل الإسلام حينما ينشئ حضارة، فإن هذه الحضارة التي دعا إليها الإسلام، تتميز بأنها منفتحة الحدود الفكرية، والنفسية، والمادية. وسيراً في ضوء هذا المنهج الإسلامي وجدنا العصور الذهبية للمسلمين، تفتح صدورهم لامتصاص المعرفة الإنسانية المادية التي خلفتها في الأمم والشعوب، وحضارات ساقطة^{٤٦}.

خامساً: اللقاء الحضاري:

اللقاء الحضاري الإسلامي؛ مع حضارات الأمم المختلفة، تم بناء على: أن العالم هو أقرب ما يكون إلى "متندي" عالمي لحضارات متميزة، تشترك أهمها في عضوية هذا المتندي، ومن ثم فإن بينها ما هو "مشترك حضاري عام". وأيضاً فإن هذه الأمم تتمايز حضارياً^{٤٧}.

الأمر الذي يستدعي الحفاظ على الهويات الحضارية المتميزة، لا مجرد الحفاظ عليها، رغم أهميته، إنما لأسباب وطنية، وعقدية، تلعب دورها، في إنهاض أمم كثيرة من كبوتها وتراجعها.

لما لهذه الخصوصيات من قدرات على شحن شعوب هذه الأمم بالكبرياء المشروع، والطاقات المحركة، في معركة الإبداع، ولما للتعددية الحضارية من دور في إثراء مصادر العطاء العالمي^{٤٨}.

والذين يعيشون حياة الشعوب والأمم ذات الحضارة الغنية، والتاريخ القديم، والتراث العريق، أو يغوصون في تراث هذه الأمم وفلسفتها، ومذاهبها، وتقاليدها، وأعرافها، يدركون أن العالم الإنساني به أمم متعددة، تتميز كل منها بشخصيتها القومية، والحضارية المتميزة. إن العناصر الخارجية ضرورة حتمية، لا تستغنى عنها أى حضارة، مهما سمت وارتفعت. إنها تمتزج، لتكون وإياها صيغة جوهرية تختلف من تراث إلى آخر. وهذه العناصر الخارجية، تأتى بطريق الاقتباس الإرادى المباشر المقصود. والاقتباس والنقل، عملة متداولة بين الشعوب قاطبة، فكل حضارة أبدعت ونقلت وأخذت وأعطت، ولم توجد قط حضارة أبدعت ولم تنقل، فالتنقل، ليس وباء وإنما هو غذاء، والاستعارة ليست عاراً، وإنما هى فخار.

فالتأثيرات الحضارية والاستعارات الثقافية والأفكار والآراء والنظريات المتبادلة بين الأمم والشعوب، إنما هى ظاهرة صحية طبيعية سليمة، لا خطر فيها ولا خوف منها^{٤٩}. والمسلمون هم وارثو الحضارات القديمة، إذ لم يكونوا قبل الإسلام معزولين عن جيرانهم أصحاب الثقافات العريقة عزلة كاملة. فقد انفردت الصحراء العربية بين صحارى العالم أجمع، بأنها أحيطت منذ القدم بأرقى حضارات العالم. ففي الشمال ازدهرت حضارة المصريين القدماء، وفي الشرق كانت الحضارة الفارسية، ومن ورائها الحضارات الآسيوية الأخرى. وفي الجنوب كانت حضارة اليمن.

سادساً: التفاعل الحضاري:

التفاعل الحضارى ضرورة إنسانية، لا بد منها لقيام الحضارات، وتقدم الإنسان، في كل

ما من شأنه أن يأخذ بيد الإنسان، ويشيع في المجتمعات الإنسانية السلام والأمن.
أما الانغلاق الحضارى، فهو قاتل للإنسان. والتبعية الحضارية هى الأخرى قاتلة لكل
إبداع، ولابد من حوار الحضارات.

وإذا تأملنا فى حالة الأمة الإسلامية وجدنا أنها - من وجهة نظرنا - محاصرة بين
غُربتين: غُربة زمان، وغُربة مكان.

أما غُربة الزمان، فهى بُعد الأمة عن ماضٍ حضارى مشرق، لم تعد تربطها به عوامل
الثقافة الفاعلة أو البانية. وأما غُربة المكان، فهى بُعد الأمة عن وضع حضارى معاصر.
تجهل عنه كل شئ. مما مثل فجوات حضارية كبرى، ليس من السهل على الأمة
الإسلامية تجاوزها أو تجاهلها.

ولذلك كان لابد لهذه الأمة، أن تعود إلى التفاعل الحضارى، وتستفيد من حضارات
الإنسانية، ولابد من خروج الأمة الإسلامية، من الاغتراب الزمانى، والاغتراب المكافى،
وذلك بالرباط بين الواقع والثوابت الحضارة الإسلامية، وبين مصادر عوامل التقدم
المعاصر وليس هناك من وسيلة للربط غير الدين، والعلم، والحياة، فى إطار من حرية
الفكر، وسياسة عقلانية للتقدم، وتسامح مستنير^{٥٠}.

فإن فعلت الأمة ذلك، كان ذلك بداية فى طريق حضارى. والتقدم البشرى فى مختلف
المراحل والمجالات، ليس إلا حصيلة الإبداع الفكرى والتعاون، والاحتكاك بين
المجتمعات.

ولا عيب أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا. ولكن العيب أن نظل عالة على أمم
الأرض، نأخذ منها ولا نعطي..

ويجدر أن ندرك أن الانغلاق ليس بالموقف اللائق بالعقلاء. ولا التبعية الحضارية
بمفيدة، أو ملائمة لمن يمتلكون خصوصية حضارية إسلامية.

والعزلة الحضارية والجهل صنوان. كلاهما تخلف، وكلاهما حجاب يمنع وصول الضوء، وكلاهما عقبة كأداء في طريق التطور والتقدم.

ويكاد يكون مؤكداً، أنه لا توجد حضارة قامت بذاتها، واكتفت بذاتها مستغنية عن غيرها. وإنما هي نتيجة تطور حضارى دائم، وتفاعل بين حضارات أخرى، تفاعلت هي بدورها وغيرها من الحضارات في الزمان والمكان.

والنمو الحضارى إنما يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى. وكلما ازدادت فرص الالتقاء والتفاعل بين الحضارات، ازدادت فرص الحياة والنمو والاكتمال والتعلم.

والأمة الإسلامية وهي تتطلع إلى مستقبل مشرق، لا بد وأن تخوض معركة بناء الذات وتجديدها، مسوقة بقيم وأفكار وموارث لها في وعيها فاعليتها القوية. ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تملك رصيذاً ضخماً من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام، وهذه القيم كفيلة عند استثمارها، بأن تجعل الأمة الإسلامية في وضع، يسمح لها بأن تنمي فلسفتها الحضارية الإنسانية، وتتسابق مع أمم الأرض في بناء حضارة إنسانية. ومما هو معروف انه ليس كل عمل يصدر من الإنسان يسهم في الحضارة الإنسانية. وإنما ذلك العمل الذى ينمي الحضارة، وينطلق من الإنسان للإنسان.

سابعاً: إعداد القوة:

الصراع بين الأحياء من طبيعة الحياة، وقد ثبت بالتجربة، أنه أمر لا بد من وقوعه بين الناس، مهما ارتقت أفكارهم، أو تقدمت وتطورت معارفهم وحضارتهم، والدليل الواضح على ذلك، ما يقع بين الأمم من الحروب العالمية، وهذا التسابق المحموم في أسلحة الفتك والدمار والخراب، رغم ما توصلوا إليه من العلم والحضارة المادية،

والتقدم^{٥١}.

فالحرب لا يمكن أن تزول من الدنيا، أو تخف حدتها، أو تحصر ويلاتها، ذلك أنها بكل ما فيها من مرارة وآلام، وبكل ما تنطوى عليه من قسوة، وبطش، وإخلال بالأمن والسلام، سر من أسرار الحياة، وجوهر من جواهره.. لأن الحياة هي الحركة، والحركة هي التي تحول المادة وتغيرها، بما تحدثه من احتكاك وصدام، وصراع مستمر..

إن كل ما في الكون، من عناصر مركبة، أو بسيطة في كفاح مستمر، بين أجزائه المختلفة.. فالماء، والهواء، والحرارة، وبقية العناصر، كلها في حرب دائمة.. ومن هذه الحروب تنشأ جميع الظواهر الطبيعية والجغرافية، التي تؤلف مسرح الحياة..

فالرياح، والعواصف، والسحب، والبروق، والريود، والصواعق، والسيول، والأمطار، والزلازل، والبراكين.. هي مظهر هذا القتال، فما من ذرة من ذرات الكون إلا ويجرى فيها هذا الصراع.

وحسبك أن تنظر إلى قطرة من الماء من خلال مجهر، أو ترى قطرة من الدم لترى فيها جيوشاً جارية، في كرا، وفر، وإقبال، وإدبار، يلتهم بعضها البعض الآخر، بعد أن يصصرعه.

وما كان الإنسان ليشذ عن هذه القاعدة، وهو أرقى صور الحياة، وأملها، غير أن العقل والأديان، قد نظمت قواه، وحدت من غرائزه، التي تدفعه للقتال، دائماً وأبداً.. لكنها لم تقض على هذه الغريزة.. وإلا لقضت على الحياة في أساسها، فبقيت غريزة القتال كامنة في النفوس، لا تلبث أن تتقدم، متى وجدت دواعيها، وتهيات أسبابها.. وما أكثر الأسباب والدوافع، التي تفضي إلى المنافسة بين أبناء البشر^{٥٢}.

والإنسان حين يفقد سلامه النفسي في داخله، يفقد سلامه الاجتماعي والعالمي في خارجه، ويعدم الراحة، والهدوء، والانضباط، ويتلف عن يمين وشمال، فلا يرى إلا جيوش الأهواء والنزوات، وفيالق الأثرة والمطامع تدق طبولها، معلنة، على قراره

الذاتي، وسلامه النفسي، حرباً ضروساً، لا تلبث إلا ريثما يضيق بها ميدان وجدانه، ومجال مشاعره، لتمد ألسنتها، حامية الوطيس، مشتتة الأوار، خارج هذا النطاق، لتأق على الأخضر واليابس، من علائق الأفراد والجماعات، والأمم، ومقدراتها، وممتلكاتها، ومناطق نفوذها، وما سطرته يراع الإنسانية من معالم الحضارة، ومشاهد التقدم، ووسائل المدنية، التي ترمى إلى ترقية الحياة، وتهذيبها..

والويل كل الويل، يوم يذر قرن الفتنة، وتشرئب الأهواء النافرة، والفرجات الشاردة، والمطامع الفاغرة، معلنة إصرارها على طمس الحق وأهله. لهذا كان حرص الإسلام البالغ، على أن يتصف أهل الإيمان بالقوة، وعلى أن يكونوا دائماً على استعداد لمواجهة أهل الباطل، مهما تكن التضحيات في النفس، والأهل والمال.. والتحفظ الوحيد الذي وضعه الإسلام على قوة المسلمين، هو أن تكون قوتهم في خدمة العدل والسلام، وأن تنأى عن البغي والعدوان.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: الآية ٤٠].

ذكر القرطبي في تفسيره: أنه لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وعطلوا ما بنته أرباب الديانات، من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال، ليتفرغ أهل الدين للعبادة.. فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع، واجتمعت المتعبدات^{٥٣}.

حقاً: إن الإسلام حين يضطر إلى القتال، فإنما يمارس أشرف أنواع القتال وأنبله، ذلكم الذي لم ولن تعرف الدنيا عدلاً ولا نظيراً، من قريب أو بعيد، من حيث أسبابه، وأهدافه، وغايته، وملابساته، وظروفه..

الرجاء والأمل

لقد جاءت رسالة الله سبحانه وتعالى إلى خلقه، ونزل وحيه إلى عباده من كماله وعظمته ورحمته، ما يطبهم ويصلح شأنهم، ويرتقى بهم إلى ما فيه خيرهم جامعاً للفرائض، مبيناً للحدود، متوخياً من الأساليب أقوامها في تربية الناس، ومن المناهج أقواها في إصلاحهم.

ولقد كان الترغيب والترهيب من أبرز ما عالج به الإسلام شطط الإنسان وجموحه وتمرده على الحقوق وما يدور في فلك ذلك من معصية وانحراف.

الأمر الذى يؤدى فطرياً إلى أن تتحرك نفس الإنسان من خمود، وأن تستيقظ من سبات، وإن تختلط فيها بواعث الرغبة بعوامل الرهبة وأن تمتزج فيها دوافع الخوف، وموجبات الرجاء. والرجاء فى اللغة: هو الطمع فيما يمكن حصوله، ويرادفه الأمل.

والرجاء فى الاصطلاح: تعلق القلب بحصوله محبوب فى المستقبل، وقيل هو توقع الخير ممن بيده الخير. والرجاء: الاستبشار بوجود فضل الرب تعالى والارتياح لمطالعة كرمه. وهو من أجل منازل السالكين وأعلاها وأشرفها.

والرجاء عبودية بالله من حيث اسمه البر المحسن. فذلك التعب والتعلق بهذا الاسم والمعرفة بالله هو الذى أوجب للعبد الرجاء من حيث يدرى ومن حيث لا يدرى.

فقوة الرجاء على حساب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وغلبة رحمته على غضبه. ولولا روح الرجاء لتعطلت عبودية القلب والجوارح، ولولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال فى بحر الإرادات.

فالرجاء يحفظ على النفس بسطها وتفتحها وتطلعها إلى الكمال، وتدرجها فيه وانطلاقها فى أفق أعلى تحلق فيه بكل أملها فى الله وأمنيتها عنده ورجائها إياه، لا تقيدها عقيدة، ولا يحبسها ذنب، ولا يوقف سعيها بأس، ولا يجمد حركتها قنوط.

ولا يقطع الطريق عليها إلى الله سعار المادة، ولا تعثر الفطرة، ولا يضيق عليها الخنثادق أبداً مهما كانت قبضة المعصية أو ضراوة الخطأ أو شراسة الإثم.

والإيمان لا يزكو في النفس، ولا يستقيم المؤمن بعبادته على الجادة، إلا إذا لفه الخوف من ربه، وغمره الرجاء فيه، وأيقن تماماً أن الجنة والنار كليهما أقرب إليه من أى شيء. ولو يعلم الناس ما لدى الله من العدل والعقوبة، ما أقدم على معصيته أحد، ولو يعلمون ما لدى الله من الفضل والثوبة ما قنط من رحمته أحد.

فالله سبحانه وتعالى لم يطمعنا في شيء قدر ما أطمعنا في رحمته ولم يحذرنا ما حذرنا من عقابه، ولم يسرع بشيء قدر إسراعه بقبوله ورضوانه وقربه لأهل دعائه ورجائه، والأمل فيه والقرب منه.

والإيمان لا يكتمل، والعبادة لا تستقيم، إلا إذا حلق المؤمن في دينه وأعماله بجناحي الخوف والرجاء. من حيث يدفعه الخوف إلى اجتناب التفريط والبعد عن القصور، والتراخي، وضبط النفس على حسن العمل، وإتقان أدائه والإخلاص فيه، ومراقبة الله في جليله ودقيقه.

والإنسان لا يستوى يقينه ولا يكتمل إيمانه، ولا يصلح عمله، ولا تستقيم عبادته، ولا تزكو فطرته، إلا بخوفه من ربه ورجائه فيه، ولا يتزن الإنسان ولا تستقيم مسيرته في الدنيا، ولا يصلح بين يدي ربه ومصيره يوم القيامة، إلا إذا كانت حياته مزيجاً من الخوف والرجاء، وأمشاجاً من رغبته في ربه ورهبته منه.

لذا جاء الإسلام يدعونا إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى والرجاء فيه. الخوف الذي نستشعر فيه عظمة الله وجلاله وقيوميته ومواقبته وخشيته والشعور الموصول بهيبته إلى غير ذلك مما يقود إلى تعظيم محارم الله، واحترام حدوده، والتطبيق الكامل لأوامره، والانتهاز التام عن نواهيه.

والرجاء الذى يفتح للمؤمن بالله باب الأمل والتطلع إلى ما لدى الله من فضل ما أعدّه للعاملين المؤمنين من مثوبة، وما وعدهم به من أجر مضاعف ونعيم مزيد ثم ما يمنحه هذا الرجاء للإنسان من نعمة التعلق بالله واللجوء إلى: أن يقليله إذا عثر، وأن ينهضه إذا كبا، وأن يد إليه يد العون بجبل الإنقاذ والنجدة ساعة الضيق ولحظات الحرج. فالرجاء والأمل جناحان بهما يطير المؤمنون بالله سبحانه وتعالى إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع المقربون كل عقبة كئود.

والمسلمون فى حاجة إلى الإدراك الواعى بعمق مفهوم الرجاء فى الرسالة الإسلامية ولا رجاء للمسلمين فى شرق ولا غرب ولا فى مذاهب دمجها سماسة الفكر البشرى. فالرجاء كل الرجاء فى الله سبحانه وتعالى، وفى رسالة الإسلام التى جاءنا بها الرسول الصادق الأمين فى المهدي الموعود. ولعلنا ندرك فى وضوح أن الله سبحانه وتعالى ربط المسلمين برسالة الإسلام وبالاقتداء بصاحب الرسالة الكبرى محمد عليه الصلاة والسلام، حتى لا يضل المسلمون الطريق السليم ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١].

ومن هنا كان كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية الراجين لله سبحانه وتعالى صورة حية لحياة الرسول الصادق الأمين، بياناً، جهاداً، وعبادة، وثباتاً، وإقداماً، وحزماً. ولو يعلم الناس ما لدى الله تعالى من فضل ورحمة لأهل خشيته والخوف منه والإجلال له، وأصحاب القرب منه، وللجوء إليه، والرجاء فيه، لأوغلوا فى ذلك، وألحنوا فيه، وأكثروا من طمعهم فى الله.

ويوم أن كان المسلمون يرجون الله سبحانه وتعالى وحده كانوا سادة الدنيا بحق وكان العدو يتهب بأسهم ويخشى سلطانهم وكان الشرق والغرب يعمل لهم ألف حساب.

١. عز الدين الخطيب التميمي وآخرين: نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٣١ دار الفرقان، عمان، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، الأردن.
٢. توماس إلّاكويني ولد سنة ١٢٢٦م وتوفي سنة ١٢٧٤م ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين في العصر المدرسي المسيحي، وفي ١٣٢٣م منحه الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس.
٣. مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، ص ٨، دار الإرشاد، بيروت ١٩٦٩م.
٤. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٨٧، ١٨٨ ط. دار المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
٥. انظر: د. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٢، ٤ ترجمة عادل زعيتر ط. الثانية ١٩٤٨م.
٦. لوثوب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ج ١ ص ٦٠، ترجمة نويهض.
٧. راجع نادية شريف العمرى: أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٤ ط. مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ بيروت.
٨. إبراهيم النعمة: الإسلام أمام تحديات الغزو الفكري، ص ١٢.
٩. أنور الجندى: المد الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري، ص ١٢٦ ط. دار الاعتصام بالقاهرة، ١٩٨٢م.
١٠. توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٧٠٤، ٧٠٥.
١١. انظر د/ توفيق الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠٧ =
- وانظر كذلك: نجيب الكيلاني، الإسلامية والقوى المضادة، ص ١٤٢ ط. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ
١٢. راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠٧، وراجع أنور الجندى: المد الإسلامي في القرن الخامس عشر، ص ٢٨٦.
١٣. انظر الدكتور محمد البهى: الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى، ص ٥١، ٥٢ بتصرف، ط. دار الفكر، ١٩٧٣م.
١٤. المصدر السابق، ص ٥١.
١٥. راجع هامش ص ٥٢ من المصدر السابق.
١٦. راجع المصدر السابق.
١٧. انظر محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص ٣٤٣ ط. مؤسسة المدينة، جده ١٤٠٧هـ
١٨. راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٥.
١٩. أحمد السايح: أضواء على الحضارة الإسلامى، ص ١٥٠.

٢٠. انظر الشيخ محمد الغزالي: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ص ١١٠، ط. دار الشروق، بيروت.
٢١. راجع المصدر السابق، ص ١١٣.
٢٢. راجع الدكتور توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٩٦.
٢٣. انظر الدكتور توفيق الواعي: الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٩٨.
٢٤. انظر الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح: معارك حاسمة في حياة المسلمين، ص ١٥٤، ١٥٥ ط. دار اللواء بالسعودية ١٤٠٩هـ
٢٥. عباس محمود العقاد: العقائد والمذاهب، مجلد رقم ١١، ص ٤٠٢، ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٢٦. المصدر السابق: ص ٤٣١.
٢٧. انظر الدكتور أحمد السايح: عباس محمود العقاد فيلسوفاً، رسالة "ماجستير" ص ١٦٦.
٢٨. انظر محمد أمين حسن: خصائص الدعوة الإسلامية، ص ٢٥٧، ط. مكتبة المنار، الأردن، - وانظر كذلك الدكتور أحمد السايح: العقيدة والإنسان، مجلة الحفجى، السنة العشرون، العدد الأول، ص ٤، ٥ أبريل ١٩٩٠م السعودية - وانظر كذلك أبو الحسن الندوى، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٢١٨، ط. دار الكتاب العربى ١٤٠٤هـ
٢٩. الدكتور توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠١، ٧٠٢.
٣٠. د. أحمد السايح: العقيدة في الإسلام، مجلة جوهر الإسلام، العدد الثانى والثالث، ص ١٦ من السنة الثانية ١٣٩٦هـ تونس.
٣١. المصدر السابق.
٣٢. أحمد محمد جمال: الدين فطرة وميثاق، كتاب ندوة المحاضرات لموسم حج سنة: ١٣٨٩هـ ص ٢٠٠، ط. رابطة العالم الإسلامى، بمكة المكرمة.
٣٣. انظر الدكتور أحمد السايح: أضواء على الحضارة الإسلامية، ص ١٨.
٣٤. البرت اشفيتسر: فلسفة الحضارة، ترجمه عن الألمانية الدكتور عبد الرحمن بدوى، ص ٥، ط. دار الأندلس، بيروت، ١٤٠٠هـ
٣٥. المصدر السابق، ص ١٨.
٣٦. انظر الدكتور محمد فتحى عثمان: القيم الحضارية في رسالة الإسلام، ص ١٧.
٣٧. انظر الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ص ٢، ط. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

٣٨. انظر الدكتور أحمد السايح: أضواء على الحضارة الإسلامية، ص ١٨.
٣٩. الدكتور ماهر عبد القادر محمد: المشكاة، ص ١٦٦، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.
٤٠. الدكتور محمود حمدى زقزوق: دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى، ص ٩ ط. مكتبة وهبه بالقاهرة.
٤١. المصدر السابق.
٤٢. الدكتور على أحمد مذكور: الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى، مجلة الدارة، ع ٤، ص ٥٢، السنة ١٤، السعودية ١٤٠٩هـ.
٤٣. سيد قطب: معالم فى الطريق، ص ١٣١، ١٣٣.
٤٤. المصدر السابق، ص ١٣١.
٤٥. الدكتور على أحمد مذكور: الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى، مجلة الدارة، عدد رقم ٤، ص ٩٩، س ١٤.
٤٦. عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، ص ١٢٢، ط. دار القلم، دمشق ١٤٠٠هـ.
٤٧. الدكتور محمد عمارة: الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ص ٨.
٤٨. المصدر السابق، ص ٧.
٤٩. انظر الدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا: أصالة الفكر العربى، ص ١٥٢، ط. منشورات عويدات ١٩٨٢، بيروت فرنسا.
٥٠. الدكتور محمود قمبر: هدفية العلم فى الإسلام، مجلة حولية كلية التربية، عدد رقم ٨، ص ٦٣، ١٤١١هـ ١٩٩١م، كلية التربية، جامعة قطر.
٥١. الدكتور أحمد السايح، "أضواء على الحضارة الإسلامية"، ص ١٧٩، ط. دار اللواء بالرياض، ١٤٠١هـ.
٥٢. الأستاذ أحمد حسين، "الحرب على هدى الكتاب والسنة"، ص ١١، ط. المجلس الأعلى بالقاهرة، ١٩٧٤م.
٥٣. القرطبي، أحكام القرآن، ج ١٢، ص ٧٠، ط. القاهرة.

أهداف الدولة الممهدة للظهور

مريم كريمي تبار

نبذة

أشارت الباحثة في مقالها تحت عنوان «أهداف الدولة الممهدة للظهور» إلى مصطلح الدولة؛ والنظرة الإسلامية حول الأهداف النهائية للخلق؛ وأن تطبيق وإقامة الحكومة المهدوية يمهّد في الوصول إلى الهدف الأخير للخلق وعرفه أسرارها، وهو القرب من الله سبحانه وتعالى. وألقت الباحثة نظرة على المجتمعات الدينية، واعتقادها بأن العالم المليء بالسلام والعدالة والأمن والرخاء، مرهون بظهور المنجي والمخلص العالمي، واستنتجت أخيراً في بحثها بأن ظهور المنجي والمخلص العظيم هو اعتقاد وأمل كافة الشعوب والأمم المضطهدة، الباحثة عن الحرية والأمن والسلام في العالم. إلا أن وجود هذه الرغبة، وتحصيل هذا الأمل، لا يكون متحققاً إلا من خلال التحضير والتمهيد لمقدمات أرضية خصبة لتحقيق هذا الهدف العظيم، ويستدعي هذا العرض برؤية صحيحة، واستراتيجية وآليات دقيقة، ومتابعة للأهداف المؤثرة، وإعداد الأرضية المطلوبة لتحقيق الظهور. ثم أكدت الباحثة على دور الحكومات الإسلامية المؤثر والهام في هذا المجال، وذكرت بعض الأهداف التي ينبغي عليها أن تتابعها في مسيرة تطبيق وإقامة الحكومة العالمية العادلة. وينقسم البحث إلى قسمين أساسيين هما: الأهداف العامة: وتتضمن العدالة،

الأمن، الكفاءة و.. الأهداف الخاصة: و تضم جوانب المعرفة و..

المصطلحات الأصلية في البحث:

الدولة، العدالة، الأمن.

المقدمة

إن أيّ حركة إصلاحية و ثورية في العالم إنما تكون مثمرة و مؤثرة و منتجة، فيما إذا وفّرت التمهيدات اللازمة و الأراضية المناسبة لها، و امتلكت فريقاً من الموالين و الأنصار الملتزمين المخلصين، و الأوفياء المضحّين المستعدين لنصرتها، و السير بها الى الأمام. و لا تستثنى ثورة الامام المهدي عليه السلام عن هذا الأصل، خاصة عندما تكون هذه الثورة عالمية، و تتطلب أنصاراً و مؤيدين في كافة أرجاء العالم، من الذين يقبلونها و يدعمونها، بل و يدافعون عنها.

إن تربية مثل هؤلاء الكوادر و الأنصار بحاجة الى تمهيدات و توطئة عالمية، فعلى المنتظرين لها بذل أقصى جهودهم و طاقاتهم في هذا الاتجاه، لتحقيق الطموحات و الأهداف الالهية المرسومة.

و على هذا: فان هناك وظائف و مسؤوليات هامّة و معقدة ملقاة على عاتق الحكومات الاسلامية بهذا الخصوص، و عليها وضع الخطط المدروسة و المشاريع والبرامج المنظّمة و الصحيحة، و متابعة الاهداف العالية في هذا المجال، و التأثير في العمل.

إن على الدولة الممهدة للظهور عرض كافة أنشطتها: الثقافية، و الاجتماعية، و السياسية على ضوء التعاليم المهدوية، و بذل الجهود و المساعي الحثيثة والمضاعفة في هذا الاتجاه، فالعالم بأسره مهياً و مستعد لاقامة حكومة العدل العالمية.

إن الأهداف التي تتبعها الدولة الممهدة للظهور متعددة و متنوعة، و نشير في هذا

المقال الى أهم تلك البرامج و الأهداف.

تعريف الدولة

مصطلح الدولة «state» له جذور لاتينية «staves»، و يعنى الوقوف، و أصلها في المصطلح الدقيق «staves» و هى بمعنى:الوضع المستقر و الآمن و الثابت. و كما دلّ عليه معناه اللغوى، فان له ارتباط و علاقة بنظام السيادة و الاقتدار و فروعها، و ارتباط القدرة بالمجتمع.

ذكر المفكرون و أصحاب رأى تعاريف عديدة و مختلفة لمصطلح «الدولة»، منها:

١. الدولة: هى أعلى مظاهر السيادة و القدرة و الحكومة، و هى متوفرة فى كافة المجتمعات، و لها مفهوم واسع و شامل يضم المؤسسات التنفيذية و التشريعية.^١
٢. الدولة: منظومة و إطار محاط بالقيم، تنبض من خلالها الحياة، و تستخدم القدرة والسلطة العامة فيها لغرض تحقيق تلك القيم.^٢

٣. الدولة: بمنزلة القدرة المنظمة بتشكيلاتها الاجتماعية.^٣

٤. الدولة:هى النظام غير الشخصى، و التسلط و السيطرة القانونية. حيث يتم تعيين أنظمتها الجماعية عبر الاقتدار، لإيجاد طبيعة و شكل الادارة، و الاشراف على نمط معين من المجتمعات.^٤

الدولة: هى أهم و أكثر و أكمل المؤسسات و المنظمات السياسية، و الادارية، و القضائية، و العسكرية تجهيزاً و حداثة فى البلاد.^٥

و تؤكد كل هذه التعاريف المذكورة على اقتدار عناصر المؤسسات الاجتماعية، و التشكيلات السياسية و التنفيذية، و القضائية و التشريعية.

و على هذا، يمكن القول فى تعريف آخر: أن الدولة هى جهاز اجتماعى منظم، يمتلك عناصرالقدرة و السلطة على ضوء التشريع و تطبيق القوانين، و تنظيم كافة العلاقات

الانسانية و التعاملات الاجتماعية على المستوى الداخلى و الاقليمى و العالمى.

و على ضوء هذا التعريف، فان الدولة هى منظومة حكومية مقتدرة و قوية، تضمن من خلال التشريع تنفيذ القوانين، و منع حصول حالات الاعتداء و العنف، و كل ما يفسد التعاملات الاجتماعية السليمة.

و هى القدرة المانعة عن ظهور المشاكل و الاختلاف، فتحاول أن تقلل من ضياع حقوق الشعب، و تنهج قوانين محدّدة فى التعامل مع الأسرة الدولية، و الحكومات المحلية و الإقليمية و العالمية، و بلدان و دول العالم.

الأهداف المتوسطة والبيئية و النهائية فى الخلقة:

إن لبعض الحكومات أهدافاً محددة، و خطط و مشاريع إنغائية معينة أحياناً، و لها مراتب أحياناً أخرى. أى لها أهدافاً حيوية عالية و مصيرية.

أما الاهداف الأخرى: فهى وسائل و غايات تستخدم للوصول الى الهدف النهائى و الأخير.

و مع كل هذا، فقد وضعت أكثر الحكومات اليوم هذه الأهداف فى أولويات خططها و برامجها الراهنة و المستقبلية، و تتابعها باستمرار، و هى تتضمن جملة من القضايا و الاهداف الدنيوية و المادية: كالحرية، و الأمن، و الاستقرار، و البيئة، و التعليم، و إرضاء مطالبات الأكثرية الشعبية و غير ذلك، فان كل هذا يعود نوعاً ما الى استقرار الحياة الدنيوية.

إن الحكومة النموذجية و المثالية فى نظر الامة و الشعب، هى الحكومة التى تحقق الأمن الداخلى و الخارجى و مطالبات الاكثرية فى المجتمع الواحد. فالحكومة التى عرضها الأنبياء، و الدولة التى وضع كيائها و أرسى دعائمها رسول الله ﷺ، تمتلك أهدافاً و أساليب و خطط راقية هى أسمى من كل الأهداف المذكورة للحكومات. فانها و بمعدل متوسط و ضمنى تلحظ فى نهجها الوصول الى الهدف الغائى و هو: هدف خلقة الانسان،

و علل إيجاده في هذا العالم. قال الله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبذلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا»،^٦ فالمراد بقوله «ليستخلفنهم في الأرض» هو جعل الانسان «خليفة الله» أو «وصى و وارث الماضين»، أى وصى المؤمنين الذين يقومون بأداء مسئولياتهم و وظائفهم على أتم وجه، و يكتنون في الأرض، و يكونون حكّاما على الناس، و يرثون الأرض و من عليها، و يكبحوا جماح المخالفين، و من يقف بوجه تحقيق الأمن و العدل، و يعرقل مسيرة السلام، فيبدل الله بهم من بعد خوفهم أمنا.

و ستتحقق هذه الأهداف، يعنى الوصول الى القدرة و السيادة الكاملة، و السيطرة على العالم، و إرساء دعائم العدل و الأمن و السلام، و مقارعة الظلم، و مكافحة الفساد.

أما الهدف الأخير الذى يتحقق فهو: قوله تعالى «يعبدونني لا يشركون بي شيئا»، و قوله في محل آخر: «و ما خلقت الجن و الأنس إلا ليعبدون»، فالهدف الاخير و الغاية العظمى من خلق الانسان إذن هي «العبودية لله تعالى».

و على هذا الاساس، و من خلال التعاليم القرآنية و الدين الاسلامى الحنيف، فان الهدف الأخير في الحياة الاجتماعية هو: تحقيق الهدف الأخير و الغاية المطلقة للخلقة، الى حد ترى البشرية نفسها «عبداً لله» و تصل مرحلة العبودية، فترى الله وحده مالك كل شىء، و له كل الفضائل و المنن و النعم.

إن تشكيل الحكومة و متابعة الأهداف الأخرى كالعدالة و الأمن و الاستقرار، و القضاء على الأعداء، و.... تعدّ كلّها مقدمات و آليات متطورة و قيمة للوصول الى الهدف الأصلي و الغاية المطلقة.^٧

الاعتقاد بالمنجي، اعتقاد عالمي

إن الهدف الغائي و الاخير في الخلقة هو الوصول الى «العبودية و الكمال». و اقتراب الانسان كثيرا من مصدر الكلمات، يعنى الله تعالى.

فينبغي التحضير و التمهيد لمقدماتها و وسائلها لتبيل هذه القيم المعنوية و المبادئ السامية.

و تسعى الحكومة العالمية لامام العصر عليه السلام التحضير الى مقدمات التقرب الى الله، و إزالة الموانع عن هذا المسير. فاذا تحققت حكومة العدل العالمية، فقد تمهدت أسباب الوصول الى هدف الخلقة و غاياتها. بل حتى المجتمعات التي لا تعتقد بالقرب الى الله و لا بالهدف النهائي للخلقة، فانها تبذل جهوداً و مساعى للوصول الى تحقيق العدالة و إرساء دعائم الأمن و السلام، و الاستقرار، و التحرر من الظلم و الجور، و مكافحة الفساد، و مواجهة الانحطاط و الانحراف. فما تقوم بها هذه الحكومات يعدّ بمنزلة الهدف و الغاية لها.

و يعتقد هؤلاء أن الحصول على هذه الخصائص مشروط بظهور منجى البشرية و مخلصها. فهناك توافق و إجماع حول الأوصاف العامة و الأصول و البرامج و الخطط الثورية المعدة، و إن كان كل منهم يذكره بتسمية محدّدة، و لذلك فان مسألة الايمان بظهور المنجى و المخلص العالمى الكبير، إنما هو لتضميد جراحات البشرية و نزيهتها الدامى عبر التاريخ، و هو اعتقاد عالمى قديم. و قد أشار القرآن الكريم فى وصف هذه المرحلة، فقال سبحانه و تعالى: «و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون».^٨ و قال تعالى: «و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين».^٩

و تواترت الأخبار و الروايات بل استفاضت حول حكومة الامام المهدي عليه السلام على

الأرض في آخر الزمان، و تناقلتها أخبار الفريقين.

لزوم التمهيد للظهور:

ينبغي التمهيد لظهور هذا المنجي و المخلص و التحضير و الاستعداد و الإعداد له ﷺ و تهيئة الأجواء اللازمة لذلك.

و لكن هناك من ذهب في متاهات عديدة في معرفة كيفية تمهيد الأجواء و تحضير مقدمات ظهور المنجي و المخلص، فاعتمدوا على أخبار ادعوا فيها أن العالم في عصر الظهور سيكون ملئ بالظلم و الفساد، و تخيلوا أن انتظار المصلح العالمي يتطلب التزام جانب الصمت، و الركون الى الدعة، و الغفلة، و التفرج و السكوت على الجرائم و المجازر و المآثم التي ترتكب يومياً ضد الانسانية، دون تحريك ساكن، أو الانتفاض ضد الظلم، و مكافحة الفساد، لتساعد و تدعم أجواء الشر و إشاعة الفساد و الظلم، و بهذا توطئ لظهور الامام المهدي ﷺ، الذي سيظهر بعد امتلاء الأرض بالظلم و الفساد.

و أفرط آخرون و ذهبوا الى أبعد من ذلك، فتخللوا: أن عليهم أن يشددوا في إيقاع الجرائم و الظلم، و ممارسة الأساليب القمعية و العنف في العالم، و عليهم أن يكونوا حجر عثرة في ذلك، للتمهيد بتعجيل الفرج و الظهور.

و من هذا المنطلق، قامت بعض الحكومات الظالمة و المستبدة برفع هذه المبررات شعاراً لها لارتكاب الجرائم و الإبادة الجماعية، و تفشى الظلم و الفساد، و ادعت أن التمهيد و التحضير لهذه المقدمات سيدعم و يساهم في عملية تعجيل ظهور المنجي و المخلص العالمي.

و ينبغي القول في الاجابة عن هذه الشبهة و التصور الخاطي: بأن ملأ العالم بالظلم و الفساد لأجل التمهيد للظهور كما تحدثت عنه الأخبار و استفاضت به الروايات، كان هو الوجهة الغالبة في تلك الفترات من التاريخ، و هو أيضاً نوع من التمهيد، لان طبيعة و

ماهية الشعوب كونها غير راضية لهذا الوضع بالتحديد، فيدعوها ذلك الى الرفض و السخط، و هذه الحالة بالذات تعطّش للثورة و الانتفاضة الشعبية، لأنها تنمّي حالة فكرية و معنوية لدى المجتمعات.

أما في عصرنا الراهن، فان وجود الأنصار و الأتباع الذين يتصفون بالنزاهة، و الصمود، و النضال، و يقفون الى جانب المصلح الموعود، و ينصرونه بأنفسهم و أرواحهم، هو أمر لازم و ضروري، تتطلبه طبيعة المرحلة الراهنة.

و لا منافاة في أن تكون هناك حكومات و دول يقظة، تمهّد لإيجاد أجواء إيجابية، و إعداد الشعوب العالمية و تحضيرها لانتفاضة الثورة العالمية الكبرى للإمام المهدي عليه السلام. فقد صرحت عدة روايات و نصوص: بأن أناسا ينتفضون و يثورون قبل ظهور الامام المهدي عليه السلام ليوطّئوا لظهور دولته العادلة و سلطانه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج أناس من المشرق فيوطّئون للمهدي سلطانه».^{١٠}

و يحكى هذا النوع من الروايات عن حضور الناس و استعدادهم التام في شتى المجالات و مختلف الأصعدة للتمهيد لحكومة الامام المهدي عليه السلام و تحضير مقدمات الظهور، و تقديم الدعم و النصرة للامام عليه السلام فلا تتحقق دولة الامام المهدي عليه السلام دون سابق مقدمات، بل تتحقق هذه الحكومة من خلال هذه المقدمات و التمهيد للظهور.

و على ضوء هذا، سينتفض المنتظرون للامام عليه السلام في مجتمعاتهم، و يثورون، و يشكلون حكومات على أيديهم، ستكون تمهيدات و دعائم للظهور، فنجتمع كلمتهم، و تتلاحم صفوف الأعوان و الانصار الموالين و الأتباع المؤمنين، الواعين، الناشطين، و سيشكلون النواة المقاومة الأصلية و الحقيقية، و سيكونون الطلائع المؤمنة و خلفاء الأرض، فيدافعون مجتمعين بقلوب حمية، و أنوف أبيّة، و برباطة جأش و صبر و صمود، عن ثورة الامام المهدي عليه السلام و يقوموا بمسئولياتهم و وظائفهم تجاه الحكومة العالمية.

و قد ذكرت الأخبار و النصوص الاسلامية: أن الامام المهدي عليه السلام سيطلب الدعم و الاغاثة من الناس، فيقول: «يا أيها الناس! إنا نستنصر الله، و من أجانبا من الناس...»^{١١} و يقول عليه السلام أيضاً: «إنا نستنصر الله اليوم، و كل مسلم...»^{١٢}

و قد بين الامام الخميني عليه السلام كثيراً من وجهات النظر حول فلسفة الانتظار في مقابل التزام الصمت و السكون و الرضوخ الى الوضع الموجود، و قولهم بضرورة شلّ الحركة، و الوقوف عن السير و الحركة باتجاه التغيير، أو الدعوة الى الكفّ عن التعرّض الى الظلم و مكافحة الجريمة، و ترك الحديث عن التغيير دائماً. و دعا سماحته عليه السلام الى ضرورة المواجهة الجادة، و اتخاذ الخطوات الحاسمة و القرارات الساخنة و الهادفة للحدّ من هذه الظاهرة الخطيرة المنتشرة في المجتمعات، فقال عليه السلام: «اعتقد البعض: أن انتظار الفرج يعنى الاعتكاف في المسجد و الحسينية، أو الجلوس في البيت و الدعاء و التضرع -و الرهبانية و لا رهبانية في الاسلام-، و و طلبهم من الله تعجيل فرج الامام المهدي عليه السلام».

و رأى جماعة أخرى ممن يقولون بانتظار الفرج: أنه لا يهمنا ما يحدث في العالم، و ما تعاني منه الشعوب و البشرية قاطبة! فلا يهمنا ذلك. نحن نعمل بتكليفنا و وظائفنا، و لاعليا من حصول مثل هذه الأمور، فالامام المهدي عليه السلام سيأتي، و سيصلح الأمور بنفسه إن شاء الله!.

و قالت جماعة ثالثة: حسناً! ينبغي ملأ العالم بالمعاصي و الآثام و الجرائم إذن، لكى يأتي الامام، و تسهل عملية الظهور! فلا يجب علينا أن ننهي عن المنكر، و لا نأمر بالمعروف، و ليصنع الناس ما شاءوا و أرادوا، لتزداد الذنوب، ثم يعجل الله بالفرج!.

و هناك جماعة رابعة تجاوزوا الخط الأحمر و أفرطوا في الكلام فقالوا: ينبغي الابتلاء بالذنوب، و دعوة الناس الى ارتكاب المعاصي و الآثام، لتمتلأ الأرض بالظلم و الجور، فيظهر الامام المهدي عليه السلام و يملؤها قسطاً و عدلاً.

وقالت جماعة خامسة أخرى أيضاً: لا يجوز تأسيس دولة و حكومة في عصر الغيبة، وإن تأسست فهي دولة و حكومة باطلة، فاقدة للشرعية، و مخالفة للإسلام.^{١٣}

و بعد ردّ سماحته عليه على هذه الآراء و الأوهام، بين سماحته فلسفة انتظار الفرج و معنى الظهور، و دوره سلباً أو إيجاباً في بناء المجتمعات، فقال عليه السلام: كلنا ننتظر الفرج، و علينا أن نخدم في هذا الانتظار، فلدينا مسؤوليات و وظائف في عصر الغيبة.

الانتظار هو قدرة الإسلام، و مصدر نشاطه و قوته، و علينا أن نسعى جميعاً لتحقيق قدرة الإسلام في العالم، و التمهيد لمقدمات الظهور إن شاء الله).^{١٤} نحن كلنا ننتظر قدومه الشريف، و لكن الانتظار وحده لا يكفي!! فالوضع الذي يمتلكه الجميع في عصرنا الراهن هو ليس انتظار. إن علينا أن نلحظ وظائفنا و تكاليفنا الفعلية الشرعية و الالهية، و لا نخاف في الله لومة لائم، و لا تغفل طرفة عين أبداً.^{١٥}

و على ضوء ما قيل، فإن تحضير المقدمات و الاستعدادات اللازمة، و إعداد الكوادر المؤمنة و الواعية، تمهيداً لقيام المنجى الموعود، هو أمر ضروري و لازم لا يمكن اجتنابه في طبيعة هذه المرحلة، و ينبغي عدّه من أولويات الأهداف و البرامج و الخطط و المشاريع المستقبلية للمجتمعات، و حكومة المنتظرين للمنجى المخلص.

لكن ليس هذا التمهيد صمتاً و سكوتاً، و لا غفلة و عدم إعاة الأهتمام، و لا تمسك بالظلم و الجريمة! بل هو حركة جوهرية إيجابية فاعلة و نشطة لتقريب الخطوات باتجاه القيم و المثل و المبادئ المعنوية السامية للحكومة العالمية.

و على الحكومات الاسلامية السعى و العمل على تحقيق كافة أهدافها و برامجها للتقرب الى أهداف الحكومة المهدوية، و الالتزام بتعهداتها أمام الله و الشعب، و توفير الأجواء المناسبة و الحماية و الدعم الكافي في قوالب الأعمال و الأنشطة الانسانية الودية و العقلانية لقبول الحكومات، و تغيير مواقف الشعوب المناهضة للدين و الاسلام

و التعاليم السماوية.

و في بيان آخر: لو طبقت الحكومات الاسلامية أهداف حكومة العدل العالمية، فانها ستمهّد بأسلوب عملي و إيجابى لكافة البلدان و الحكومات و الشعوب المناهضة للدين و الاسلام، فتغير من مواقفها و عدائها، فتكون شعباً و حكومات مسالمة و محبة للامام المهدي عليه السلام لكنهم رغم ذلك، يطالبون بالعدالة و السلام، و بشكل غير مباشر و مستمر، فهم من جهة، يمهّدون الأرضية الخصبة، و المناخ و البيئة و الأجواء المناسبة لمعرفة التعاليم الاسلامية الأصيلة، و خصائص النظام المهدوي، و الخلفية المناسبة للقبول و الرضا و التسليم.

و لا يتيسّر إجراء و تنفيذ أهداف الحكومة المهدوية بصورة تامة و كاملة، إلا في ظل قيادة الامام المعصوم عليه السلام و على الدولة الممهّدة للظهور أن لا تتوقف عن السعى و الحركة في التقرب نحو الأهداف و الخطط و المشاريع الالهية، و المضى في هذا المسير.

أهداف الدولة و الحكومات

يمكن تصنيف استراتيجية و أهداف الدول و الحكومات العالمية الى قسمين:

١- الأهداف العامة:

إن كل دولة و حكومة تبدأ عملها بشكل صحيح و مقبول، و ليس لديها نوايا سيئة في حق مواطنيها، من تعدى و ظلم و إضاعة الحقوق أو الاضرار بمصالح الآخرين، ينبغي عليها و كما هو متعارف: أن تضع أهدافها أمامها، و تسعى الى تحقيقها و تنفيذها. فمن جملة تلك الاهداف التي سعت الحكومة النبوية و العلوية، و كذلك الحكومة المهدوية و سائر الحكومات الاسلامية الى تحقيقها هي: إرساء دعائم العدل، و الأمن، و الاستقرار، و الحريات، و حقوق الإنسان و..

أما الحكومات الأجنبية، فإنها و من خلال مشاهدتها هذا التحول و التغيير، فإنها تحاول الوصول الى تلك الاهداف و تحقيقها و لو نسبياً، و تفهم الدين بصورة واضحة و صحيحة.

٢. الأهداف الخاصة

و هي تصبّ في إطار تمهيد الأجواء المناسبة و المساعدة لظهور الامام المهدي عليه السلام، مثل: مواجهة التبليغات المغرضة و المسمومة و المحاولات اليائسة للأعداء، و القيام بتنشئة و إعداد كوادر كفوءة و مخلصّة للدفاع عن حكومة العدل العالمية.

لكن الفارق بين هذين القسمين هو: أن أهداف القسم الأول ستمهّد بصورة غير مباشرة للظهور. أما الوصول الى أهداف القسم الثاني، فهي خطوات عملية مباشرة للتمهيد لظهور الامام المهدي عليه السلام.

ألف) الأهداف العامة:

١- العدالة

يعد تحقيق العدالة فضيلة، يبتنى عليها نظام الطبيعة، و تعترف البشرية بها، باعتبارها معياراً و منطاً للتعامل الاجتماعي؛ لذا، يمكن للحكومة أن تكون صالحة و ذات قيمة و أهمية بالغة و قصوى، فيما إذا قامت على أساس العدالة، و وضعت العدالة في جدول أعمالها، و أولتها أهمية و اعتباراً خاصاً. أما إذا خططت الحكومة و وضعت مشاريعها على أساس التسلط و السيطرة و الظلم، فهي حكومة غير ناجحة و لا يكتب لها الدوام و الخلود، و ستهدد بالفشل، و يكون مصيرها الزوال.

و إذا لم تكن العدالة محورها، فستؤدي الى العنف، و الرفض الشعبي العام، أو عدم الرضا و السخط.

اعتقد الراغب الاصفهاني في مفرداته: أن لفظة «العدالة» تقتضي معنى المساواة، وقد فسر الآية المباركة: «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى»^{١٦}: بأن «العدل» في الآية يعنى لغة: المساواة في المكافأة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ثم أضاف في شرح الآية و شرح هذه اللفظة فقال: «العدل» هو القسمة بالتساوى.^{١٧}

و اعتقد ابن منظور أيضاً: أن العدل هو المساواة بين شيئين.^{١٨}
و قال الشيخ الطوسى: العدالة في اللغة هى أن يكون الانسان متعادل الأحوال متساوياً.^{١٩}

و قال العلامة الطباطبائي في تفسير هذا المصطلح: العدالة: تعنى إعطاء كل ذى حق، و بلوغه حظه الذى يليق به.^{٢٠}

قال الامام على عليه السلام رجل العدالة و أسوة المظلومين: «العدل يضع الأمور مواضعها».^{٢١}

إن أقرب معنى لتعريف الامام عليه السلام لفظة العدالة، هو ما ذكره العلامة الطباطبائي رحمته الله إن ما يحدث اليوم في عالمنا المعاصر يتناقض تماماً مع مفهوم «العدالة» من جهات عديدة. فالعالم المعاصر هو في خدمة من تبنى مساعيهم على التمحور و التقوقع الذاتى و الانحصارية في النظرة و السلوك.

إن أصل تنازع البقاء و توأم القدرة هو في الحقيقة من الأصول التى تشكّل مبنى التعااطى بالأسلوب السياسى، و الثقافى، و الاقتصادى لهؤلاء الأفراد، من خلال إضفاء الشرعية و تثبيت حق «الفتيو» «النقض» للدول العالمية الكبرى الخمس الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، و الدفاع عن اسرائيل الغاصبة للقيطة، و كيان الاحتلال الصهيونى، و استغلال الثروات العالمية، و استخدام شعارات مثل: مكافحة الارهاب، و حقوق الانسان، و الحريات، و حرية المرأة، و أمثال ذلك، لتأمين مصالحها و ثرواتها،

فهذه نفسها من أهم مصاديق الظلم المصطنع في عالمنا المعاصر.

و لا تتوفر مواصفات القيادة اللازمة و المتكاملة لدى القادة و الحكّام في العالم، بناء على صريح قوله تعالى: «لا ينال عهدى الظالمين»، في الوقت الذى يمارس فيه هؤلاء الساسة المعنيون شتى أساليب الظلم و الاضطهاد بحقّ الآخرين في عصرنا الراهن.

و بما أن القوانين الحاكمة في العالم تبتنى على أسس و قواعد علمانية، فهي تتغاير مع القوانين الالهية من جهات كثيرة. و قد تسببت هذه القوانين في تكثير و توسيع الفواصل و الطبقيّة و اللامساواة بين الشعوب و البلدان الفقيرة و الغنية يوما بعد آخر. و تسببت أساليب و سياسات القمع و الإبادة الظالمة و الدمار الشامل في وضع البيئة و المجتمعات البشرية في مخاطر حقيقية. و بهذا الدور، ينتهى الموقع الرقابى و الاشراف و الملاحقة القانونية للمجرمين و المفسدين لصالح الأقوياء ذوى النفوذ و الاقتدار. و على رغم تعدّد أنواع المصالح و الاستثمارات الرائجة لبعض البلدان، إلا أن حالات الفقر و الفساد قد ازدادت في بعض المناطق من العالم، و تفشّت الأمراض المزمنة، و انتشرت أنواع كثيرة من الأوبئة، و كأن ما قاله ابليس في حوارهِ مع الله قد تحقّق، بقوله: «قال ربّ بما أغويتنى لأزیننّ لهم في الأرض و لأغوينهم أجمعين».^{٢٢}

و على ضوءه، يتضح من خلال النظرة العامة للقضايا العالمية الرافضة: أن الحكام المتسلطون المسيطرون على العالم اليوم، لا يدعون: أن الظلم في العالم اليوم قد انقطع و انتهى، و أنه غير موجود !. فالعولمة، و مكافحة الفساد و الارهاب، و الدفاع عن حقوق الانسان، و مواجهة انتشار أسلحة الدمار الشامل، و الأسلحة النووية الفتاكة و المدمرة، و الدفاع الوقائى، و تأمين الأمن العالمى، و... هى كلها شعارات و مبرّرات و أعذار تصب

في مصلحة تثبيت الظلم و الفساد.^{٢٣}

أما العدل: فهي صفة خاصة بالامام المهدي عليه السلام، وقد تواترت الأخبار والروايات بل استفاضت في وصف الامام عليه السلام بالعدل، و مقارعة الظلم، و مكافحة الارهاب و الفساد، كقول رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول الله تعالى ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً».^{٢٤}

إن تطبيق العدالة في العالم هي فلسفة بعث الأنبياء و الرسل عليهم السلام، و لكن هذا الهدف المقدس لم يتحقق بعد !.

لقد ذخر الله تعالى آخر إمام و حجة له في الأرض، ليقوم في اليوم الموعود، فيملأ الأرض قسطاً و عدلاً، بعد ما ملئت ظلماً و جوراً. إلا أن الهدف السامي لم يتحقق الى وقتنا الراهن، و لن يتحقق بعد ذلك إلا في عصر الظهور.

إن هذا الأمل الكبير لا يتحقق إلا في ظلّ الحكومة المهدوية وحدها، فهو وحده عليه السلام القادر على تطبيق العدالة في كافة أرجاء العالم بأمر من الله تعالى.

و لا يعني هذا الكلام: أن لا تُبذل جهود و مساعي لاقرار و ترسيخ العدالة في عصر الغيبة، و أن كل جهد يبذل في هذا الاتجاه، فهو عديم الجدوى و الفائدة، أو أننا نرفض أيّ جهد و نشاط و حركة لإقامة النظام العادل حتى على المستوى النسبي و المحدود.

بل إن معنى هذا الكلام هو: أن أي حكومة قبل ظهور الامام المهدي عليه السلام لا يمكنها أن تدعى أنها قادرة على إقامة النظام العادل الكامل في العالم.

قال الامام الحميني رحمته الله: «إننا غير قادرين على تطبيق العدالة في العالم، و لو قدرنا لفعلنا ذلك، و بما أننا عاجزين عن ذلك، فينبغي عليه عليه السلام أن يأتي، و لكن علينا التمهيد للظهور، و الإعداد و الاستعداد و التحضير لتعجيل الفرج، و علينا أن نقوم بأعمال تجعل

إن تطبيق العدالة في كل مجتمع من العالم، هو بحاجة الى أركان وأسس و دعائم متعددة. فعدم وجود كل من هذه الاركان، سيكون سببا في تهديد استقرار العدالة في ذلك المجتمع.

و من أهم أركان العدالة هي:

١. الحاكم العادل

لا ريب في أن طموحات و آمال كل حركة تأخذ بيد المجتمع و الحكومة نحو العدالة، إنما تتحقق، فيما إذا كان الامام و الحاكم نفسه يتّجه في مسيرته نحو العدالة، و يتخذها أسلوباً و نهجاً له في حياته الفردية و الاجتماعية.

أما النظام الحكومي الذي رسمه الشيعة نهجاً لهم: فقد عدوا وجود الامام العادل من أهم الشروط في تحقيق العدالة. فلا شرعية أبداً بدون وجود هذا الامام.

٢. العاملون العدول

إن فقدان المنفذين و العاملين العدول، تعدّ من الموانع الاساسية في إقامة العدالة التي يتحمّل أعباءها المصلحون الاجتماعيون.

ولهذا، ينبغي اختيار من تتوفر فيهم الكفاءة من ذوى الاختصاص، لتحقيق العدالة، و المضى في هذا الاتجاه.

و اتسامهم أيضاً بالعدالة و التقوى و التعهد و المسؤولية.

٣. القوانين العادلة

إن وجود و توفر مجموعة القوانين هي من الشروط الاساسية في تحقيق العدالة الاجتماعية. فلا يمكن تحكيمها عند فقدانها و عدم توفرها في المجتمع كما هو لائق بها.

ولا ريب في أن الكتاب و السنة مبيانان لأعدل القوانين، و ستتذوق المجتمعات العالمية

حلاوة العدالة عند تطبيقهما، و كانا أساساً و ميزاناً في سياساتها العالمية.
وقد وصف الامام على عليه السلام القرآن الكريم بأنه الصفحة الناصعة و المظهر الأتم للعدالة فقال: «فهو معدن الايمان و محبوبته، و ينابيع العلم و بحوره، و رياض العدل و غدرانه».^{٢٦}

٤. النظام العادل

إن تحقيق العدالة الاجتماعية بحاجة الى وجود نظام يبتنى على العدالة، أى النظام الذى يحدّد وظائف و مسؤوليات كل شخص، حسب موقعه و قيمته بشكل صحيح، و يعرف كل فرد بمسؤولياته و وظائفه جيّداً، و يعمل بها، و يحسّس الجميع أخيراً بان هناك إشراف و رقابة على أعمالهم و أدائهم، فان أخطأوا و أساءوا، فسيتم محاسبتهم و مسائلتهم على الخطأ و سوء الأوامر و التنفيذ.^{٢٧}

٥. أبعاد العدالة

لا تتحدد العدالة حسب تعاليم الدين الاسلامى بمجال الحياة الاجتماعية والعلاقات البشرية، و ارتباطهم مع الآخرين فحسب، بل أن مجالاتها و تطبيقاتها هى أوسع من ذلك، حيث تشمل ارتباط الانسان مع الله، و مع نفسه، و ارتباطه أيضاً بالآخرين.
أما ارتباط الانسان بربه: فعليه أن يواجهه و يتحدى كل مظاهر الكفر و الشرك و البدعة و الباطل و الفساد، و يبذل جهوداً و مساعى حثيثة و جادة في هذا المضمار، و سعيه الى نيل الحق و الحقيقة، و إحياء دين الله تعالى.
و ارتباطه مع نفسه: يعنى أن عليه أن يلتفت الى قدراته و استعداداته و قابلياته الجبّارة، و العمل على تطويرها و الارتقاء بها، و مواجهة و تحدى كافة أنواع الذلّ و الهوان، و الاستكانة و العبودية، و الرقيّة و الانحطاط و الانحراف.

و العدالة في هذين البعدين: هى عدالة فردية. فعلى كل انسان بذل الجهد للوصول

اليها وتحقيقها. ولكن ما على الحكومة في ما يرتبط بنطاق عملها، أن تسعى لإقامة العدالة في بعد ارتباط الانسان بالآخرين، ويعبر عنها «بالعدالة الاجتماعية».

فالعدالة الاجتماعية لها شعب وفروع وأجواء واسعة، ومجالات اجتماعية مهمة ومتنوعة. وبما أن الالتفات لها والاهتمام بها هو من جملة الأهداف والبرامج الأصلية للحكومة، فمن اللازم عليها أن توسع البحث حول هذا الموضوع تحديداً. تشتمل العدالة الاجتماعية على مجالات عديدة، وأهمها:

أولاً: إقامة العدالة في مجال التشريع و تطبيق القوانين.

فكما أن الله تعالى وضع الأحكام الأولية لتدور حول محور عدالة التشريع، فعلى الحكومة الاسلامية أيضاً أن تجعل العدالة محوراً لها في تشريع القوانين والملاكات والقرارات الحكومية، لتتناغم وتتجه القوانين مع الاوامر الاسلامية، والعقل، والضمير والوجدان، والانسانية، من أجل ضمان سلامة المجتمع وسعادة البشرية في تطبيقاتها الصحيحة. فلو حصل التمايز في مرحلة التشريع، ولم يراع فيه الملاكات العقلية، والمبدئية، والانسانية والاخلاقية، ففي النحو الأول: سيكون تحقيق العدالة في مرحلة التطبيق والتنفيذ أمراً مستحيلًا. فهناك مئات القوانين والأحكام التي تصدر وتصدر يومياً في العالم، حيث ينسجم جزء ضئيل منها مع العقل والعدالة، ولكن الكثير منها يتنافى مع القيم والمبادئ الانسانية والعقلية والأخلاقية والدينية، بل حتى مع تعاليم الأديان السماوية، كقانون حريات الشذوذ الجنسي، وهتك الاعراض، والانحرافات الجنسية، وتناول الكحول والمسكرات، ومزاولة الأعمال الربوية.

وتعدّ المخالفة الصريحة لهذه القوانين، ومناهضة الحق والعدالة والانسانية، هي أحد الموانع التي تواجه الحكومة العالمية للامام المهدي عليه السلام و تعرقل مسيرتها.

فعلى الدولة المهددة للظهور تصفية الأجواء، وتنقية هذه القوانين، وحلول القوانين

العادلة الانسانية و الاسلامية بدلهما، لتتجلى العدالة على منصة الظهور.

إن إيجاد العدالة في مراحل تطبيق القوانين هي شواخص أخرى في هذا المجال.

إن كافة البشر من أى فئة أو طائفة أو قبيلة أو قومية أو جنسية أو لون أو لغة متساوون أمام القانون، فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، والقانون حاكم بالتساوى على الجميع. قال الامام الصادق عليه السلام: «الناس سواء كأسنان المشط».^{٢٨}

ثانياً: إرساء دعائم العدالة في مجال الثقافة و التعليم:

إن هناك ضرورات ملحة تفرض نفسها على الرجال السياسيين قد فرضتها طبيعة المرحلة، عليهم أن يولوا لها اهتماماً كبيراً و رعاية خاصة، و هى: الارتقاء بمستوى الثقافة و التعليم في داخل المجتمع، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية.

و تستلزم رعاية العدالة هذه إيجاد الأرضية و الاجواء المناسبة للتنمية الفكرية و الثقافية، و توسيع المناهج العقلانية، و تعليم كافة أفراد المجتمع بصورة متساوية، و تقسيم شروط و إمكانات المعرفة و التعليم على أساس محور العدالة.

و من الواضح هنا: أن هذا التوزيع العادل، و تساوى أفراد المجتمع في التعامل العادل معهم، سيؤدى الى فوارق في الاستعداد و القابليات و القدرات، و الجهود و المساعى و التدبير و التفكير، و استخدام ذلك في منافع و فرص مختلفة. و ترتبط هذه الفوارق بميزان الاستعداد و القابليات و القدرات، و الجهود و المساعى و التدبير و التفكير، و هى أمور تتنافى مع العدالة. بل هى فوارق و اختلافات طبيعية تماماً، و هى من لوازم المجتمع الانسانى.

و ينبغي إتاحة و تحضير الفرص كتحصيل مشاغل و أجواء في المعرفة، و تنمية الكفاءات، و تطوير كافة المجالات لأجل الوصول إلى إيجاد العدالة في هذه المقولة، و لكى يحقق كل واحد من هؤلاء الافراد موقعا و شهرة حسب ما يمتلكه من لياقة و

ثالثا: إرساء دعائم العدالة في المجال السياسي:

المراد بالعدالة السياسية: هو إيجاد المساواة التوازن، و دعم و ضمان الحقوق، و رعاية القوانين في المجالات الاجتماعية المختلفة، و التوزيع العادل للقدرة بين أفراد المجتمع. و يتحقق مفهوم إعطاء و ضمان الحقوق السياسية بإصلاح النظام الإداري، و إعطاء المناصب و الرتب و المسؤوليات المهمة و الحساسة في إدارة البلاد الى أشخاص كفوئين، و تهيئة أجواء المشاركة السياسية الفاعلة للأفراد، و امتلاك حق البيان، و حق النقد و الانتخاب و الترشيح له و لغيره، و....

و تدل عليه آيات كثيرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: «و أمرهم شورى بينهم»^{٣٠} و آيات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، كقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر»^{٣١} و هي تدل على الحقوق السياسية للأمة.

أما الحقوق السياسية لرجال السياسة و الحُكَّام على الناس، فهي تعنى: لزوم الاجابة و الطاعة لها، كما قال سبحانه و تعالى: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم»^{٣٢}.

و قد وصف الامام علي عليه السلام الوفاء، و طلب الخير، و الطاعة بأنها حق من حقوق الناس، فقال عليه السلام: «أيها الناس، و أما حقّي عليكم، فالوفاء لى بالبيعة، و النصيحة في المشهد و المغيب، و الإجابة حين أدعوكم، و الطاعة حين آمركم»^{٣٣}.

رابعا: إرساء دعائم العدالة في جانب القضاء و الحقوق:

يعدّ تطبيق القضاء العادل من أهم القيم و المعاني السامية و الشعارات و الآمال التي تطالب بها كافة المجتمعات البشرية. فالعدالة في القضاء تعنى الحكومة و الفصل بين الناس

على أساس القوانين، و هي تنجز بتوجه كامل، و قصد تام، دون الانحياز الى جهة معينة، للحدّ من تضييع حقوق الناس.

و من شواخص القضاء العادل المهمة هي: عدم المساس بكرامة الافراد، و رعاية عواطفهم و مشاعرهم، و احترامهم، و الحفاظ على القانون، و تطبيقه بصورة صحيحة، و رعاية الانصاف، و عدم الانحياز الى طرف أو جهة معينة في أمر القضاء، بل ينبغي أن يبقى القضاء مستقلاً، و التنديد بالتصرفات و الأساليب الفردية و الانانية التي تصدر دون استشارة.

و قد أكد القرآن الكريم على هذا المعنى في آيات عديدة:

منها: خطابه لداود عليه السلام، و هو أول نبي قام بتشكيل حكومة دينية، فقال سبحانه و تعالى: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق و لا تتبع الهوى»،^{٣٤} و قال عز و جل أيضاً في موضع آخر: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل».^{٣٥}

و تحدّث قائد الثورة الاسلامية الامام الخامنئي «دام ظله» حول هذا الموضوع فقال: إن وجود القضاء في بلد ما، دليل على سلامة مجتمعه و نشاطه. فلو كان جهاز القضاء نزيهاً، فيستنتج من ذلك: أن الأجواء العامة في المجتمع من خلال امتلاك العدالة، و الابتعاد عن التمايز العنصري، و الظلم و الاجحاف و الاعتداء، و سائر العناصر الكبرى للبشرية، هي نزيهة أيضاً. فلو افترضنا أن أحداً لا يعلم عن بلد شيئاً، ثم انطلق للتعرف على الجهاز القضائي، و البحث و الفحص عن مواده، و رأى أن لهذا البلد قضاة عدول، لهم صرامة و حزم في إصدار الأحكام و القرارات المستقلة، فيصل الى هذه الحقيقة و هي: أن لهذا البلد نظام و مؤسسات فاعلة و مستقلة، و قوانين مدروسة و منظمة عادلة. و إذا رأى جودة عمل قضاة هذا البلد، و دققتهم في أدائهم، فيستنتج بصورة طبيعية: أن

وضع و أجواء البلاد تبشر بخير و جيدة.^{٣٦}

خامساً: إرساء دعائم العدالة في القطاع الاقتصادي:

العدالة الاقتصادية هي من أهم شواخص العدالة الاجتماعية، و هي تعنى التوزيع العادل لكافة الامكانيات المادية و الترفيهية، و الصحية، و العمرانية، و المعيشية، و الخدمية في المجتمع.

و السعى الى القضاء على الفقر و الفساد المالى و الإدارى.

إن إيجاد الاستقرار الاقتصادى و تحسين الوضع المعيشى للناس، سيمهد الأرضية المناسبة للوصول الى الاهداف الانسانية، و الالهية، و التكامل المعنوى، لان وجود الفقر و العوز و الاحتياج المادى سيسلب فرصاً كثيرة، و فقدان قدرة التفكير فى المفاهيم العليا السامية، و سيتمنع من الوصول الى التكامل و البناء.

و قد أكد الدين الاسلامى كثيراً على هذا الموضوع، قال سبحانه و تعالى: «لقد

أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط».^{٣٧}

و قد أصرّ الامام على ﷺ بشدة على ضرورة التقسيم العادل و المتساوى فى بيت المال بين الناس، و استدل على ذلك بسنة رسول الله ﷺ، فقال: «و أعطيت كما كان رسول الله ﷺ يعطى بالسوية، و لم أجعلها دولة بين الاغنياء».^{٣٨} و قال ﷺ فى موضع آخر أيضاً لما عوتب على التسوية فى العطاء: «أ تأمرونى أن أطلب النصر بالجور، لو كان المال لى لسوّيت بينهم، فكيف و إنما المال مال الله !!».^{٣٩}

و ينبغى الانتباه هنا: الى أن مقتضى العدالة هو ليس تساوى الأجرة و الدخل الاقتصادى الفردى، كالسهم العام من بيت المال، بل أن من مستلزمات تحقيق العدالة فى هذه المرحلة هو اختلاف و تعدد استثماراتهم من مصادر و إمكانيات المجتمع، تناسباً مع جهد كل فرد منهم، و تنوع أساليب قابلياتهم، و تأثيرها فى المجتمع.

و على ضوء هذا، فقد مهدّ النظام الاسلامى العادل أيضاً و من خلال الجهود و المساعى المبذولة، لتوسيع أجواء التكامل بشكل مماثل و متساوى، لدعم الانجازات الاقتصادية للأفراد على أساس الابداع و الكفاءة، و القابليات و التجارب التى يمتلكونها فى المجتمع، و نظر الى نتاج عملهم و أدائهم الخاص بنظرة احترام و تقدير، و احترم مواردهم المالية و استثماراتهم المشروعة.^{٤٠}

و من أهم الأبحاث المطروحة حول موضوع العدالة، لبيان دورها و أهميتها، و درجتها الرفيعة من جهة، و تبعية تحققها و إيجادها بآليات حكومية من جهة أخرى. و نشير هنا أيضاً الى أنه ينبغى أن يكون السعى لتحقيقها فى كافة الأبعاد، بمنزلة السياسة العامة، و وضع الحلول الاساسية للبنى التحتية فى برامج و عروض الدولة الاسلامية، لتنهج الدول و الحكومات العالمية و الشعوب هذا المنهج، و تحتذى بهذا الاسلوب فى مجال تطبيقاتها حذوها، ليكون نموذجاً رائعاً و ناجحاً لها فى هذا الاقتداء، و مناسباً أيضاً فى التمهيد لظهور الحكومة العالمية العادلة للإمام المهدي عليه السلام.

٢. الأمن

يعدّ الأمن و الاستقرار الفكرى و الفردى و الاجتماعى مقولة مهمة، بسبب ارتباط جزء أعظم من حياة الانسان فى الحقيقة به، و بدون امتلاك هذا الجانب الحيوى و المهم، لا يمكن أن تتحقق الأهداف الأخرى للبشرية، كالعدالة، و الحرية، و التطور العلمى و المعنوى. و على هذا فقد صبّت جلّ الاهتمامات منذ القدم بهذا الجانب، عند وضع القانون لأول مرة فى حياة الإنسان، و تشكيل الحكومة فى المجتمعات البشرية، لتوفير هذه الضرورة و الحاجة الاساسية و الملحة.

إن توفير الأمن الفردى و الحفاظ على حرمة الاشخاص و كرامتهم، و الدفاع عن حقوقهم و حرياتهم، و كذلك الأمن الاجتماعى، الذى نعبر عنه «بالامن القومى» هى

من جملة الاهداف التي بذلت فيه الحكومات جهوداً حثيثة و مكثفة و مظنية لتحقيقها، و قد أولى الاسلام اهتماماً بالغاً و تركيزاً خاصاً بكلا المجالين.

و يختلف مفهوم الأمن في الرؤية الاسلامية عن فهم المذاهب المادية البشرية لهذه المقولة، فالامن في المفهوم الاسلامي المتعلق بالانسان، يعنى: ضرورة تأمين الحماية و الدعم اللازم في حياته الدنيوية، و كذلك قدرته على عبور مراحل الكمال، و اجتياز سلام الرقى المعنوى بأمان و اطمئنان.

قال الامام على عليه السلام في تضرعه الى الله: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا منافسة في سلطان، و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنرد المعالم من دينك، و نظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، و تقام المعطلة من حدودك»^{٤١} و قال الامام الرضا عليه السلام أيضاً: «بالامام.. إمضاء الحدود و الأحكام، و منع الثغور و الأطراف، و يقام حدود الله، و يذبّ عن دين الله»^{٤٢}.

و تبتياً لهذا القول الواعى و الواضح، فان سيرة النبي صلى الله عليه وآله و الامام على عليه السلام في عصر حكمهم، تشير الى أن توفير الأمن و الحماية اللازمة و الدعم الكافى للشعوب في العالم من أهم المخاوف التي كانت و لازالت تفكرّ بها الحكومات في العالم، فهى تتخذ خطوات احتراسية دائماً تجنباً لتهديد أمن الشعوب و استقرارها، و وقوعه في مخاطر عديدة تؤدى الى نتائج وخيمة، تنعكس آثارها على المجتمعات العالمية، أو تعرّض الأمن القومى الى تهديدات جدّية و حادّة من الخارج و الداخل.

لقد ذكرت النصوص الروائية و التاريخية: أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا خرج الى دار الحرب من المدينة، أقام لهم وصيا فيها، لإدارة أمور الناس و شؤونهم، و القيام بمسئولياته تجاههم، فيختار عليه السلام من هم أكفاء في حراسة المدينة لكى لا تتعرّض لغزو طامع أو تهديد معتد، فينصبّ القادة لسمع الناس أمرهم و يطيعوا كلامهم^{٤٣}.

وكان على ﷺ قلقاً على تهديد مصالح الاقليات الخاضعة لحكومته الاسلامية أيضاً. أو تعرضها للخطر، فقد قال ﷺ: «ولقد بلغني منهم أن الرجل كان يدخل على... المعاهدة فينتزع حجلها... فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان عندى به جديراً». ٤٤

وهنا أمر مهم ينبغي توضيحه وهو: اتساع دائرة الأمن في الرؤية الاسلامية. فالحكومة الاسلامية ليس أنها تفكر في الانظمة السياسية الاخرى، كتوفير الامن المالى والثقافى و السياسى للأشخاص فحسب، بل تفكر في الالهم من ذلك أيضاً، وهو حفظ وصيانة كرامات الناس وحيثياتهم، و توفير الامن لممارسة معتقداتهم، و الثناء عليهم. و على الحكومات الاسلامية وضع الملف «الأمنى» فى أولويات خططها و برامجها، و أهدافها المستقبلية، لان توفير الاجواء المناسبة للنمو و التعالى الفكرى و المعنوى فى المجتمع مرهون بتوفير الأمن لهم فى كافة الأبعاد.

إن سعة نطاق القوانين و القرارات و الموانع و المحدوديات فى أبعاد مختلفة و عديدة فى الدين الاسلامى، يوسّع من دائرة «الأمن» فيه أيضاً، فعدم التصرف فى أموال الآخرين دون إذن من المالك، و حرمة التطفيف، و عدم الاجحاف، و منع البيع بأسعار باهضة و كلفة عالية، و الاضرار بالمواطنين، و حرمة الاحتكار، و السرقة، و التحايل، و الرشوة، و.. هى كلها الغرض منها دعم و توفير الأمن الاقتصادى لحماية المواطنين من حالات الاستغلال و الجشع.

وكذلك وضع قوانين القصاص، و الحدود و التعزيرات و أنواع المجازاة و... هو لتوفير الأمن لأرواح المواطنين.

و أما حرمة التجسس على الآخرين، و حرمة الغيبة، و التهمة، و سوء الظن و... فهى قوانين تشريعية للدفاع عن كرامة الناس و حيثياتهم الاجتماعية.

وكذلك حرمة القمار والموسيقى واللهو، وتبليغ الشرك والكفر والمذاهب الانحرافية، وترويج ونشر المذاهب المادية، وعقائد السحر... فهي للمحافظة على الأمن الفكرى والإيماني والاعتقادي للأفراد في المجتمع.

أما وجوب الجهاد، وحفظ الثغور، وعدم إقامة العلاقات الودية والحميمة مع الكفار والمشركين، ونفى السبيل، وسيطرة الكفار على المسلمين... فهو للمحافظة على الأمن الوطنى والقومى، الذى أولى له الاسلام اهتماما وتوجّهاً بالغاً.

إن التكاليف المذكورة متعلقة بكل فرد من أفراد المجتمع، وبآحاد المسلمين. وإن العديد منها هو من شئون الحكومة ومسئولياتها ووظائفها تجاه شعوبها ومجتمعاتها، وهى خارجة عن نطاق وقابلية المواطنين. فعلى الحكومة الاسلامية مسئولية توفير الأمن للمسلمين، واتخاذ التدابير اللازمة والسبل الكفيلة والدعم المستمر فى هذا الاتجاه.

و ينبغى الانتباه هنا: الى أن توفير الأمن ينبغى أن لا يتحقق بأى وسيلة ممكنة، حسب ما ورد فى التعاليم الاسلامية، بل إن الأمن الذى له قيمة وأهمية قصوى فى الاسلام، هو الذى يمكن إنجازه فى ظلّ العزة والكرامة والحرية والتحرر، فهذا «الأمن» دائم و خالد الى يوم القيامة. ولذلك فان الأضواء التى تسلط اليوم على موضوع دعم «الأمن» فى العالم، و يسبب متاعب و أضرار و كلفة باهضة، هو غير مطلوب ذاتا.

روى: أن عبد الله بن جعفر، لما سمع بخروج الحسين عليه السلام من المدينة الى العراق، أرسل الى الامام عليه السلام رسالة فورية و عاجلة، أصرّ فيها على ضرورة بقاء الامام فى مكة و عدم تعريض نفسه الى الخطر، و المجازفة بأهله و كان فى ركبته الى الضرر، ليأخذ للامام الحسين و أهل بيته أمانا من يزيد، فأجابه الامام الحسين قائلاً: «لقد دعوت الى الامان والبرّ و الصلة، فخير الامان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه، فنسأل الله

مخافة في الدنيا، توجب أمانه يوم القيامة».^{٤٥}

إن «الامن» لا يختصّ ببقاء المال و النفس بعيدان عن التعرّض و التعدى و الاستغلال، و صيانتهم من التلف، بل إن الايمان و العزة و الكرامة و الاستقلال، لها قيمة و أهمية أكثر بكثير من صيانة المال و النفس.

إن الأمن له قيمة، و ذلك فيما اذا استظل بظلال الايمان و الاستقلال و العزة. فالمجتمع الذى لا يملك حكامه استقلالية في اتخاذ القرار، بل يتبعون آراء الدول و الحكومات القوية و السياسات الاستكبارية في العالم، و يكونوا لهم عملاء، فلا يمتلك هذا المجتمع خصائص «الأمن».

و كذلك الدول و الحكومات التى يمنح ساستها امتيازات و استثمارات للدخلاء الأجانب و العملاء، لتحميمهم من تعرّض الشعب أو مسائلته القانون، و صيانة أنفسهم من التهديد، لغرض استمرار حكوماتهم، فلا أمان لهذا المجتمع.

و من العوامل المهمة في تزايد الأمن القومى، هى حالات المشاركة الشعبية الواسعة في المجالات الاجتماعية و السياسية، فالمشاركة السياسية و التواجد و الحضور الشعبى الفعل و النشاط في إدارة المرافق الحياتية المختلفة في البلاد، ستكون سبباً في دعم و حماية الشعوب من اضطهاد الحكّام، و سندان شؤون البلاد بصورة ناجحة و مطلوبة، و سيؤدى أخيراً الى الحصول على الاستقلال الوطنى و الأمن القومى.

لقد ابتنت السنن الالهية عبر التاريخ على هذا الأصل و هو: أن بقاء و حياة الشعوب في العالم يتعلق بارادتها القوية و حيياتها، فليس القصد هنا أن تتدخل قوى غيبية مثلاً لتدافع عن كيان أو قوم أو شعب، و تصدّ عنه الاعداء، فتعرض عنه!! قال تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».^{٤٦}

و يحذّر القرآن الكريم الناس: أنهم إن استقاموا و ثبتوا في عزيمتهم و إصرارهم للدفاع

عن دين الله، و عزتهم و كراماتهم و هويتهم الدينية و الوطنية و استقلالهم، فسيؤيدهم الله بنصره، و سيمدهم بقوى غيبية، لتحميمهم و تنصرهم، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم».^{٤٧}

و على هذا، فإن على كافة أفراد الأمة المشاركة السياسية النشطة و الفاعلة، و التواجد و الحضور في الساحة السياسية و الاجتماعية، و الدفاع عن كيان الدولة الاسلامية، و الاحساس و الشعور بالمسؤولية و الغيرة على الحكومة أيضاً، و توفير الحماية و الدعم اللازم لها، لتوفر لهم أجواء تواجههم و مشاركتهم السياسية الفاعلة، للمحافظة على الأمن و الاستقرار في المجتمع.

و الأمر الآخر الضروري و المهم هو: أن للمسلمين ثقافة إسلامية مشتركة و موحدة، فهم كالجسد الواحد. و لهذا، فإن الهدف الأصلي هو: إيجاد «الأمن» لكافة المسلمين في العالم، و في سائر البلدان الاسلامية.

فلا معنى للحدود الجغرافية المصطنعة المرسومة على الخرائط المتواجدة في العالم، بعد أن رفضها الاسلام بضرر قاطع، و لم يعترف بها بدأً.

إن الحدود الاعتقادية و الدينية هي التي تفصل الناس و تبعد بعضهم عن البعض الآخر، و إن كان التمسك بالحدود الجغرافية المرسومة أمراً لازماً أيضاً. لكن على الحكومات الاسلامية أن لا تغفل عن توفير الحماية و الأمن و الاستقرار لكافة المسلمين في أقصى أرجاء العالم، و عليها أن تعي و تتفهم أهمية ما يجرى على المسلمين من ظلم و استبداد و انحراف، و إبادة جماعية، و خروقات أمنية، و تجاوزات و تعدّيات على حرمان المسلمين و مقدساتهم في العالم.

و قد حذر القرآن الكريم المسلمين من هذه الظاهرة، فقال سبحانه و تعالى: «و ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين من الرجال و النساء و الوالدان الذين يقولون

ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها و اجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً»^{٤٨ و ٤٩}

لقد أكدت المفاهيم و التعاليم الاسلامية على ضرورة توفير «الأمن» لكل المسلمين في كافة أرجاء العالم. و قد كان هذا من أهم أهداف حكومة النبي ﷺ و الامام علي عليه السلام، فعلى الحكومة الاسلامية الممهدة للحكومة المهدوية أن تضع موضوع «الأمن» في لائحة أهدافها، و أولويات برامجها المشروعة، و أن تبذل قصارى جهودها، و تتخذ السبل الكفيلة في تحقيق ذلك، و لا تتوانى عن ذلك أبداً.

فاذا نجحت الدولة الاسلامية في الوصول الى هذا الهدف، فستكون نموذجاً رائعاً، و أرقى الحكومات في تعاطيها مع الملف «الأمنى» في الحكومة المهدوية. و سترداد لهفة الحكومات و الشعوب المتعطشة لتحقيق الأمن الكامل في العالم و شوقها الى حكومة إمام العصر عليه السلام العالمية.

و بهذا الأسلوب، ستمهّد هذه الحكومات لظهور الامام المهدي عليه السلام.

٣. القدرة و عدم التبعية

من الوظائف و المسؤوليات المهمة الملقة على عاتق الدول و الحكومات الممهدة للظهور هو متابعة أهدافها المهمة و تعريفها للناس، و منها: الوصول الى الاكتفاء الذاتي في المجالات الاقتصادية، و العسكرية، و السياسية و غيرها. إن الدولة المقتدرة و القوية ستترك آثاراً واضحة و مهمة في داخل المجتمعات العالمية، و هى جديرة بأن تمهّد للحكومة المهدوية العالمية.

أما الحكومات الضعيفة و العميلة التى تنفعل مباشرة أمام رغبات و مطالبات الحكومات الاستكبارية و القوى الكبرى، لكى تحافظ على وجودها و مصالحها الخاصة. فلا يمكن الثناء على القيم و الشعارات الاسلامية المعروضة في هذه الأجواء، أو

المحافظة عليها، أو التبليغ لها على الصعيد العالمى والمستوى الرفيع.

و بناء على هذا، فإن الشرط الأساسى فى التمهيد لظهور الثورة العالمية هو: الاكتفاء الذاتى و سياسة الاقتدار، و رفض التبعية.

ان على الدولة الاسلامية فى بُعد قدرتها الاقتصادية: أن تسعى بالطرق المشروعة و السلمية السريعة الوصول الى الاكتفاء الذاتى فى القطاع الاقتصادى و اتخاذ سياسة الاقتدار، لان حفظ الاستقلال و الحرية و العزة و الكرامة على الصعيد الداخلى و الإقليمى و العالمى، و كذلك المحافظة على الدين و الثقافة الدينية، هى أصول أساسية و مهمة للتمهيد الى دولة الامام المهدي عليه السلام أما توسيع و نشر المبادئ و القيم الاسلامية و الانسانية، فهو مرهون بتواجد القدرة المالية و الاقتصادية. و قد وصف القرآن الكريم «المال» بأنه قوام استمرار الحياة الفردية، و الاجتماعية، و الثقافية، و السياسية، فقال سبحانه و تعالى: «و لا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا». ^{٥٠} فعلى الحكومة الاسلامية و المعنيين بها بذل الجهود الحثيثة و المضاعفة للوصول الى الاستقلال الاقتصادى و الاكتفاء الذاتى فى كافة قطاعات الحكومة.

و على الحكومة الاسلامية أيضاً أن تصل الى مصدر القدرة و القوة فى بُعدها الدفاعى و العسكرى، لتكون قادرة على تحدى أعداء الله و التصدى لأعداء الاسلام، و الصمود و المواجهة بوجه المعتدين.

و ينبغى على هذه الحكومات أن تشجّع المسلمين على امتلاك قدرات و قوى رادعة، و جهاز عسكرى منظم و متطور، لا لفتح الشعوب و احتلال البلدان و إفقارها، و نهب و سرقة ثرواتها، بل لمنع الاعداء من عودة التفكير فى سيطرة الحكومات و القوى الاستكبارية الغربية، و صدّ أطماع الغزاة و الطامعين. و الغرض من هذه المناورات هو زرع الخوف و الرعب فى قلوب الاعداء، و بث الهلع فى صفوفهم، و قد عبّر القرآن

الكريم عنها بمرحلة عدم السقوط في «الفتنة». قال سبحانه و تعالى: «و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله».^{٥١}

و تتحدث الآية التالية بوضوح، و انسيابية عالية، و منهج يتناسب مع كل زمان و مكان، عن ضرورة القدرة العسكرية في المجتمع الايماني. قال سبحانه و تعالى: «و أعدّوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم».^{٥٢}

و أما القدرة العلمية على ضوء الجهود و المساعي المبذولة، و دعم أنشطة الحكومة الاسلامية، للسير و الحركة باتجاه التمهيد للثورة العالمية للامام المهدي عليه السلام فان طبيعة هذه المرحلة تقتضى ضرورة حصول التغيير و التطوير العلمى العظيم في هذا القطاع، و التكامل، و إيجاد المعارف التربوية التى تتضمن معلومات كافية حول المذاهب الفكرية الحية، و مبانيها الايدلوجية فى كافة المجالات، أمام ظهور و نشوء الأفكار المادية المعروضة، و التنظير حول الرؤية الدينية، و إيضاح أفضلية الحقائق و التعاليم الدينية، و حقيقة الوعى و التفكير الدينى، قال سبحانه و تعالى: «ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن».^{٥٣} أما لو حصل غير هذا، فسيكون مصداقها الآية التالية و الآيات المشابهة لها، و هو قوله تعالى: «و من الناس من يجادل فى الله بغير علم و يتبع كل شيطان مريد».^{٥٤} و ينبغى أن تكون تأكيدات الأئمة المعصومين عليهم السلام حول لزوم المناظرة المذهبية و العقائدية للخبراء و المختصين، و كسب الكفاءة و التجربة اللازمة، و الخبرة و التخصص و الاستعداد فى هذا المجال، مستوحى من هذه النظرة، و عبر هذه الرؤية المتقنة و المتكاملة، لتكون درساً و نهجاً و أسوة للجميع، و للباحثين و المفكرين تحديداً فى المجال العلمى.

و قد أكد الامام الخميني رحمته الله كثيراً على أصل الاستقلال و عدم التبعية، و رسم سماحته

هذا الأصل، واعتبره مسئولية و هدف لكافة الحكومات الاسلامية و المنتظرين الحقيقين. و العدول عن هذا الأصل يعنى: هزيمة و فشل الاسلام، و الخيانة العظمى لقيمه و مبادئه السامية، فقال: «لقد كان شعارنا «لا شرقية، لا غربية» هو الشعار الأصولى و المبدئى للثورة الاسلامية، فى عالم ملئ بالاضطهاد و المجاعة و المحرومين. و قد تمّ رسم السياسات الحقيقية من قبل دول عدم الانحياز الاسلامية، و الحكومات و البلدان التى ستقبل فى المستقبل القريب و بعون الله الاسلام على أنه دين قادر على إنقاذ البشرية و تخليصها من معاناتها، و عدم العدول لحظة عن هذه السياسة.

إن على البلدان و الشعوب الاسلامية أن لا تكون أداة لتنفيذ مآرب الغرب و أوروبا و أمريكا، و لا تبعاً و عملاء الى الشرق و الاتحاد السوفيتى السابق و روسيا، بل هى تبع و أداة لله و لرسوله ﷺ و ذريته الطاهرة أئمة الهدى عليه السلام؛ و الامام المهدي عليه السلام إمام العصر و الزمان عليه السلام. فالمخالفة لهم و عدم الانصياع لأوامرهم و عدم الاستجابة و الطاعة لهم، أو عدم التسليم المطلق لسياسات الاسلام العالمية و مبادئه، يعدّ خيانة عظمى لأوامر الله تعالى، و لرسول الله ﷺ و أئمة الهدى عليه السلام و تنكراً للقيم و المبادئ الاسلامية البتة، و نهايات لبلدنا و شعبنا، و لكلّ الشعوب و البلدان الاسلامية.

و لا يظن أحد أن هذا الشعار ذا طبيعة مرحلية أو موسمية، بل إن هذه السياسة من الثوابت الحقيقية، و الاستراتيجية الخالدة لشعبنا الإيرانى المسلم، و لجمهوريتنا الاسلامية، و لكل المسلمين فى أقصى بقاع العالم، لان شرط الدخول الى الطريق الحق و الصراط المستقيم، هو البراءة من أعداء الدين، و الابتعاد عن صراط المضلّين. و ينبغى على الحكومات الممهدة لدولة الظهور أن تطبّق الاسلام فى كافة الميادين، و المجتمعات الاسلامية».^{٥٥}

٤-مكافحة الفساد و إحياء الاخلاق الاسلامية:

إن من جملة النقائص التى ذكروها فى هذا الموضوع و لا يمكن إنكارها، هو وجود

الكثير من المفسدات والانحرافات الدينية، والتفسيخ الاخلاقي، والشذوذ والانحطاط الثقافي والاجتماعي، واتساع رقعة الفساد السياسي والاقتصادي، وعدم التوجه للقضايا الاخلاقية والمعنوية، واتساع الظلم، وسوء التوزيع وفقدان العدالة، وزيادة الشهوات والميول الشيطانية والتمايلات النفسانية، وانتشار الخرافات والجهل والتخلف، والهروب من الدين.

إن كافة هذه النقائص والانحرافات، نتجت عن عمل أتباع وعمالء الشيطان المخادعين، ممن تظاهروا في أفعالهم بمظاهر التمدن والأساليب الانسانية، بعد أن أقصيت القيم الاسلامية والفضائل والمحاسن الاخلاقية، وتمّ تهيمشها عن المجتمعات، وأخذ العالم يسير نحو الانحطاط والتفسيخ والهاوية والسقوط، وابتعد كثيراً عن الكمال والسعادة الحقيقية والتكامل الانساني والبشري. وهذه الحالة تقف في مواجهة هدف خلق الانسان تماماً، لان الهدف من خلقه: هو الرقي والوصول الى الكمال الحقيقي، والسعادة الحقيقية ليتحقق مفهوم «العبادة» و«العبودية» و«الحركة الى الله» والقرب منه.

وقد رسم القرآن الكريم هذا الهدف للأجيال البشرية بقوله سبحانه: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون».^{٥٦} ويستلزم الوصول الى هذا الهدف، نوعاً من التربية الاخلاقية وتنمية الفضائل والسجايا الحميدة، والمصارعة الى الخيرات والأعمال الصالحة، والعبادة والعدالة والتقوى.

وقد دعا الانبياء والرسل في بعثتهم، والإئمة في وصاياهم عليهم السلام، الناس الى الفضائل والصفات الحميدة، والأخلاق النبيلة. فقد ذكرت الروايات والنصوص الاسلامية: أن من أهم أنشطة وإنجازات الحكومة المهدوية العالمية هو قيامها بإصلاح وتغيير أسس التعامل الاجتماعي، والأقوال والأفعال والممارسات الاخلاقية لدى الشعوب العالمية. وقد ركزت هذه التعاليم والقيم والمبادئ الاسلامية في النظام السياسي الاسلامي على

الجوانب التربوية، و تعزيز الأجواء الايمانية و الروحية، و النمو و التعالى الاخلاقى و المعنوى لأفراد المجتمع.

إن إعداد و تحضير الآليات اللازمة فى الثقافة الاسلامية للوصول الى تحقيق هذا الهدف، و إزالة الموانع و العقبات، هو من وظائف و مسؤوليات الحكومة و الدولة الاسلامية، لأن حصول هذا الأمر يتم عبر تحسين و إنعاش الوضع الاجتماعى. أما البيئة الملوثة و الفساد الاجتماعى، فانها أجواء لا تساعد على الوصول الى الكمال و القيم و المبادئ السامية.

و من جهة أخرى، تؤثر المعتقدات و أخلاق الأمة بصورة مباشرة على سلوكها و تعاملها الاجتماعى، فالاعتقاد بالتوحيد أو الشرك أو الفضائل و الرذائل الاخلاقية، يؤثر فى تعامل البشرية و ممارساتها.

و على الدولة الاسلامية: أن لا تغفل عن معرفة و دراسة الأوضاع الاجتماعية و معتقدات الأمة، و تتقبل مسؤوليات و وظائف تقوية و ترسيخ المبادئ و الدعائم الاعتقادية و الأخلاقية فى أوساطها.

و عليها أن تهتم بالجوانب التربوية و الاخلاقية و المعنوية لها، و إصلاح الوسط الاجتماعى، و تطوير الخطط و البرامج التنموية و المشاريع الخاصة.

إن من خصائص عمل الحكومة الممهدة للظهور هو وضع الخطط و البرامج الصحيحة للمجتمعات العالمية فى كافة المجالات، و الحركة باتجاه النمو الاخلاقى و الفكرى، و التكامل المعنوى و التطور العلمى.

و على الحكومة الممهدة للظهور أيضاً إصلاح المعتقدات و تعامل الأمة ليتجه المجتمع بحركة تكاملية صحيحة نحو التعالى و التطور و الرفاه، لترفع موانع النمو و الكمال الانسانى.

و من هنا، شرّع الدين الاسلامى فريضة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و الحجاب، و التقوى، و تهذيب النفس، و إجراء الحدود و الديات، و أحكام القصاص، و منع انتشار الفحشاء و المنكر و الفساد فى المجتمعات، و انتشار كتب الضلال و الصحف و المجلات الخليعة و الإعلام المنحرف، و تطهير المجتمعات من التفاق الاخلاقى و السياسى، و حالات التلون و الدجل و الفساد، و ذلك فيما إذا طبقت الأحكام الالهية وحدها، و اتجهت المجتمعات من خلال توفير المناخ و الأجواء الروحية و النفسية المناسبة، للسير نحو السعادة و الكمال الانسانى.

و لا تتحقق هذه الأهداف و المنجزات إلا بقيام حكومة نزيهة و صالحة و فاعلة، تسعى جاهدة الى تمهيد شروط و مقدمات ظهور ولى العصر «عج».

٥-مقارعة الظلم و رفض المساومة:

إن المواجهة الصريحة والمجادة و رفض المساومة مع الباطل، و مكافحة كل مظاهر الظلم المتمثل بالطواغيت و الأحرار و الرهبان، أو الجهل و التخلف و الغرور، هى من جملة أهداف و خصائص عمل الحكومة التى تخطو خطوات عملية لغرض استمرار أهداف الرسالة المحمدية و الولاية العلوية. فالاسلام يرفض كافة أشكال الظلم و التعدى حتى على الأعداء، و لا يراه جائزاً.

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «و لقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة...المعاهدة فينتزع حجلها و قلبها و قلاندها و رعائها.. فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان به عندى جديراً».^{٥٧}

و قد عدّ الامام الحسين عليه السلام أصل عدم المساومة، و رفض الطاغوت، و مقارعة الظلم، من أهم أهداف ثورة عاشوراء الخالدة، فقال عليه السلام: «هيهات ممّا الذلة».

و من أهم انجازات الامام المهدي عليه السلام: هو طرد و إبعاد كافة أشكال الشرك و وجوه

الكفر في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية وغيرها، وإيجاد الفكر والثقافة التوحيدية، وإخراج المجتمع من حالة قبول الظلم والاستسلام والاستعباد، وجوب الخروج على الحاكم الجائر والكافر، ومواجهة وتحدي الاستكبار.

وعلى الدولة والحكومة الإسلامية الممهدة للظهور، وضع أصل مقارعة الظلم وعدم المساومة والمهادنة مع الجبارين والمستكبرين، في جدولة أعمالها وأولويات قراراتها، وذلك من خلال تمهيدها لقبول حكومة الامام المهدي عليه السلام العالمية.

وعليها أن لا تتوانى عن بذل وتقديم أى جهد وتدير حكيم في تحدي ومواجهة سلطة الغاصبين الأقوياء في العالم.

وقد ظهر هذا النهج وأسلوب التحدي والمواجهة واضحاً في آثار وسيرة الامام الخميني عليه السلام فقد اعتقد سماحته في هذه المرحلة: بأن مواجهة وتحدي حكومات الجور والظلم المعاندة للإسلام هو تكليف ووظيفة إلهية. مؤكداً في ذلك على ضرورة إزالة حكومات الجور والفساد والاستبداد، واقتلاعها من جذورها قائلاً: «إن لم تكن قادرين، فإن الرضا والتسليم بحكوماتهم - يعني الحكومات الظالمة - ولو يوماً واحداً، بل ولو لساعة واحدة، هو رضا واستسلام وقبول للظلم!». فنحن كلنا مكلفون بتحدي ومواجهة هذا النمط من الحكومات ومعارضتها، وأن أى أعذار ومبررات في ذلك، فهي مرفوض تماماً».^{٥٨}

وشرح سماحته عليه السلام أهداف الدولة الممهدة للظهور في موضع آخر فقال: «لو وصلت أيدينا وقدركنا على التغيير، فعلينا أن ننطلق جميعاً لإزالة الظلم والجور عن العالم، هذا هو تكليفنا الشرعي، فستقطع بحول الله وإرادته دابر الظالمين والمتكبرين، وأيدي المعتدين والغاصبين في كافة البلدان الإسلامية وأقصى بقاع العالم، وسننهى بتصدير ثورتنا -الذي هو في الحقيقة صدور للإسلام الواقعي والحقيقي، وبيان للأحكام

المحمدية - سيطرة و تسلط الظالمين المتآمرين المجرمين في العالم، و نوطى الطريق بعون الله و قوته لظهور المنجى و المصلح العالمى، و نعدّ العدة للامام المهدي عليه السلام و حكومته المطلقة. ٥٩

٦- توزيع و إيصال الخدمات الي الناس:

إن الاحتراز عن توسيع القدرة و النفوذ لمصالح شخصية و فردية، و الاهتمام بقضايا الأمة و حلّ مشاكلها، و بذل الجهود و المساعي الحثيثة لإزالتها و رفعها، هى من أهم أهداف الدول و الحكومات الاسلامية الممهدة للظهور، و ينبغى عليها أن لا تغفل عنها، لأهميتها.

و على المعنيين فى أمر الحكومة، فيما إذا استلموا السلطة و الحكم، العمل على خدمة المسلمين، و حل مشاكلهم و قضاياهم، و الاهتمام بأمورهم، و التركيز على رفع معاناتهم. فقد ركّز رسول الله ﷺ فى أداء حكومته، و كذلك أكّد الأئمة المعصومين عليهم السلام فى وصاياهم على هذا الأمر كثيراً، و حرصوا على تطبيقه بشدة، قال رسول الله ﷺ: «من أصبح و لم يهتم بأمور المسلمين، فليس بمسلم».^{٦٠}

و روى سعد بن قبيس الهمداني: أن علياً عليه السلام وقف فى يوم قائن شديد الحر الى حائط، فسأله سعد: لماذا وقفت فى مثل هذا الوقت هنا؟ فقال عليه السلام: ما خرجت إلا لأعين مظلوماً، أو لأغيث ملهوفاً.^{٦١}

إن توزيع و إيصال الخدمات العامة الى الأمة و إغايتها هى مسألة حيوية و مهمة، تمتلك قيمة ذاتية بنفسها. فكما أن إغاثة المؤمن و قضاء حاجته لها قيمة و أهمية كبيرة فى الاسلام، فكذلك إغاثة غير المؤمن و تقديم العون و الدعم له، له معطيات و تداعيات كثيرة، و قيمة أيضاً، و ذلك من باب أن: «الخلق عيال الله». فقد روى عن الامام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إن الله عبداً فى الأرض، يسعون فى حوائج الناس، هم الآمنون يوم

و روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله، أو أدخل على أهل بيت سروراً، ومشى مع أخ مسلم في حاجته».^{٦٣}

إن توزيع الخدمات وإيصالها إلى الأمة، والسعى في إصلاح عملها، هو من مسؤوليات و وظائف الحكومة الاسلامية الممهدة للظهور، و تكاليف الأفراد في المجتمعات الاسلامية أيضاً.

فعلى الجميع الاهتمام بهذا الأمر و الاحساس بالمسئولية، و عدم الغفلة أو التقصير في ذلك، و على الأمة و المسؤولين المعنيين في الدولة الممهدة للظهور في اقتدائها و تأسيسها بالمعصومين: أن يرى كل منهم مسئولاً أمام الآخر، و يسعى كل منهما بإخلاص من أجل إيصال الخدمات العامة دون خداع أو تضليل للشعب، أو المنّ عليهم.

إن بإمكان هؤلاء عبر هذا الأسلوب الوحيد أن يكونوا قدوة و قادة، للتأسي بهم في العالم، فإن تقريب أفكار شعوب العالم، و رغبتها في الدين الاسلامي، و اتجاهها نحوه، لا يتم الا عبر هذا الطريق، و ارتضاء الحكومة العالمية للامام المهدي ﷺ.

٧- السعي لإرساء دعائم الوحدة و إيجاد الانسجام و التلاحم بين المسلمين:

لا ريب في أن لمفهوم «الوحدة» دور إعجازي في تطوير الاهداف و تنميتها، و مضاعفة القدرة و التسلط أيضاً.

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً».^{٦٤} فلو صافح كل مسلم الآخر، و توحدوا، و تحركوا صفّاً واحداً و بانسجام في كافة الأطراف و الاتجاهات حول محور الاسلام و ركنه المنيع، فسيكونون كالبحر المتلاطم الموج، و سيقفون متحدين للسهام المغرصة و المسمومة.

و لو استخدمت الحكومات الاسلامية كافة إمكانياتها، لتحقيق القيم و المبادئ

الاسلامية و تلك الاهداف، من خلال تشكيلها المؤتمرات المجادة، و التخطيط و البرمجة الدقيقة، فانها تتحرك باتجاه تحقيق أهداف الحكومة العالمية.

و إن توحدت الشعوب الاسلامية، و تناست خلافاتها الفرعية و الموسمية، و استعادت رصّ صفوفها و تلاحمها، وأصبحت كتلة عالمية واحدة و منسجمة، فستمهد حينئذ لظهور المصلح العالمى فى آخر الزمان.

يعيش فى عصرنا اليوم أكثر من مليار مسلم فى العالم، و لهم قدرة و نفوذ عظيم فى كثير من بلدان العالم. فلو اتحد هؤلاء المسلمون، فلا تقدر أى حكومة مستبدة و مستكبرة أن تستهين بهم، و تفرض هيمنتها عليهم دون رضا منهم، أو تظلّ مستمرة على مواقفها المتعنتة، و إصرارها على تمرير خططها و مؤامراتها، و فرض دعاواها و مشاريعها التسلطية على الشعوب و استغلالها.

و على الدول و الحكومات الاسلامية التوحد و الانسجام، ليشكلان هدفاً مهماً و مؤثراً لها فى الوصول الى ذلك، و قوة إسلامية عالمية عظمى، تمهد لإمام العصر عليه السلام و تدعمه و تنصره.

ب) الاهداف الخاصة للدولة الممهدة للظهور:

إن ما ذكرناه لحدّ الآن، هو عدد من الأهداف المهمة التى ينبغى على الحكومات و الدول الاسلامية فى طبيعة عملها الدعوة لها، و تبليغها الى الدين الاسلامى، و عرضها للقيم و المبادئ الاسلامية السامية و الراقية الى العالم، لتتأسى بها سائر الحكومات و الشعوب العالمية، فتتعرف على حقيقة الاسلام.

فلو نجحت فى تحقيق هذه الأهداف، فستؤدى الى اتساع نفوذ الاسلام فى العالم بشكل مباشر و متصاعد.

و قد أعدّ المطالبون بالعدل - و دعاة الحرية و السلام، و المناهضين للظلم - العدة،

ليكون العالم في حال ترقب لظهور الإمام المهدي عليه السلام واستقبال ثورته المجيدة، و من ثم قبولها.

و بعبارة أخرى: لو شاهدت الشعوب و الحكومات المتحررة في العالم، تطبيق و أداء البلدان و الحكومات الاسلامية، بإحياء القيم و المبادئ الاسلامية للدين الاسلامي الحنيف، فستنهج نفس الأسلوب، و تفهم أحقية الاسلام، و بطلان المذاهب المادية و المناهج الأخرى، و تشوق الى تحقيق الحكومة العالمية التي وعد الاسلام بتطبيقها.

لكن على الحكومات و الدول الاسلامية أن تتابع أهداف أخرى لها في مسألة التمهيد للظهور. أي الاهداف التي لا تتسم بطابع التأسى و الاقتداء في حكومة العدل الالهى العالمى، بل يكون تحقيقها من لوازم التمهيد المباشر للظهور، و الاستعداد التام لنصرة الامام المهدي عليه السلام و تلك هي:

١- ضرورة معرفة الفكر المهدوى، و حفظ و نشر هذا المنهج من الناحية الاعتقادية و العملية في عصر الظهور، لأن الأمة التي تمتلك اعتقاداً صحيحاً و معرفة واضحة و راسخة، قادرة على تشخيص الحق من الباطل، و لا يعترئها الشك و التردد في ذلك أبداً. و ستبادر في عصر الظهور الى التصديق و التأييد للامام المهدي عليه السلام و دعمه و نصرته.

إن الأكثرية الساحقة من شعوب العالم المعاصر، تنظر الى مسألة المهدوية نظرة سطحية و هامشية و غير مدروسة، و لها توجهات و اهتمامات أقل بالنسبة للمقولات المعرفية و المعلوماتية في ما يخص عصر الظهور، فالاحتفالات التي تقام في النصف من شعبان سنوياً هي شاهد واضح على صدق هذا الادعاء، حيث يتم في هذه المناسبة الاحتفال و الابتهاج الشعبى بولادة الامام المهدي عليه السلام في إيران، فتزين لأجله عليه السلام كافة المدن و الشوارع و الأزقة العامة، و كل المعابر و الطرقات، و تلقى الكلمات و المدائح

في المساجد و تقام المؤتمرات و منتديات الشعر بهذه المناسبة، و يرجح عامة الناس استماع الخطب و الكلمات و قصائد الشعر و المديح و الثناء التي تتلى في ذكرى الامام المهدي عليه السلام و ولادته الشريفة، و التعريف به و بحكومته العالمية، و فهم فلسفة الانتظار، و تعجيل الفرج، و ما تتضمن ثورته المباركة من شعارات و أطروحات عملية تصب في الصالح العام.

إن الاحتفال الظاهري بهذا الشكل و المحتوى جيد و مستساغ، و قد دعا اليه الاسلام، فلا بأس به بهذه الصورة، و لكن ينبغي أن يكون الى جانبه أنوار معرفة و إمام تام بصاحب هذه الذكرى تخليداً له، و كسب و تحصيل المعارف و العلوم و الفهم الصحيح لقائد المسيرة و الثورة الاسلامية العالمية الكبرى عبر التاريخ.

قال رسول الله ﷺ: «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^{٦٥} و لاشك في أن المعرفة المذكورة في الرواية، و التي دعا لها رسول الله ﷺ و أوجبها، هي ليست المعرفة السطحية الهامشية! أو معرفة اسم الامام المهدي عليه السلام و نسبه، بل المعرفة الحقة لولاية الامام عليه السلام في كافة الجوانب و الشؤون، كمعرفة الولاية التكوينية و التشريعية، و مقام خليفة الله، و الولاية الالهية المطلقة، و القيادة السياسية، و صدور الأحكام و القضاء، و المرجعية العلمية و الدينية و غيرها من الأمور. و من ثم معرفة سيرة الامام المهدي عليه السلام و الصفات و الخصائص التي تتمثل في شخصيته المباركة، و مرتبته الرفيعة في المنظومة الوجودية و الكونية، و متابعة أعماله و تطبيقاتها.

روى عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال: «أما لو أن رجلاً قام ليلة، و صام نهاره، و تصدق بجميع ماله، و حج جميع دهره، و لم يعرف ولاية ولى الله، فيواليه، و يكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز و جل حق في ثوابه، و لا كان من أهل الايمان».^{٦٦} فهذه هي المعارف التي تعطّشت لها البشرية عبر التاريخ، و ضاعت في اشتياقها لظهور

كما أنها بحاجة الى الامام عليه السلام في كافة وجودها، فهي تسعى لهذا الفهم: و هو تحدى الشبهات التي يثيرها الملحدون، والوقوف بوجه الاعمال و الممارسات الاجرامية واللاأخلاقية، و القيم و المبادئ اللادينية.

و لا يخفى أن من دلائل غيبة الامام المهدي عليه السلام هي: عدم معرفة الأمة بالامام عليه السلام، و جهلها بحقيقته، فلم تعرف الأمة قدره عليه السلام في زمان حضوره و تواجده، و لم تستفد من هدايته، فأخفى الله تعالى آخر حجته عنهم. فكما أن عدم المعرفة كانت سبباً في غيبته، فكسب و تحصيل المعرفة الصحيحة، و العمل الصالح سيكون سبباً في الظهور أيضاً.^{٦٧}

و سيعرض سبحانه و تعالى هذا المنجى الموعود و الدرة الالهية المكنونة على المجتمعات البشرية في آخر الزمان، و قد امتلأت قلوب منتظريه بالمطالبات و الأمنيات الحقيقية.

خرج توقيع من الناحية المقدسة الى الشيخ المفيد جاء فيه: «و لو كان أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، و لتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا، على حق المعرفة، و صدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم، إلا ما يتصل بنا مما نكره، و لا نؤثره منهم».^{٦٨}

إن من مسئوليات الدولة الاسلامية هو إحياء و نشر الثقافة المهدوية الصحيحة في المحافل العلمية و إقامة المنتديات العالمية و العروض في الداخل و الخارج للتعريف بالامام المهدي عليه السلام و على أجهزة و وسائل الاعلام الحكومية و دور النشر و الصحافة المؤثرة القيام بمهامها في تغطية هذا الحدث الالهى المهم، و تزريق المعارف المهدوية في المجتمع، و إصلاح المعتقدات البدائية و المنحرفة حول الامام المهدي عليه السلام في أوساط الأمة، و رفع و استخلاص الشبهات.

و على الحكومة أن تقوم بهذه الانشطة و الاقدامات المؤثرة في نشر الفكر المهدوى،
باتخاذها الأساليب التالية:

- إقامة دورات تخصصية مهدوية في سطوح تعليمية مختلفة.
 - الدعم المالى للمؤسسات الثقافية المهدوية. و التكفل بها، و تغطية كافة أنشطتها.
 - فتح قنوات مهدوية (على الصعيد الداخلى و العالمى).
 - حماية و دعم المبلغين و الدعاة فى العمل المهدوى (على الصعيد الداخلى و العالمى).
 - تزريق المعارف المهدوية الى المجتمع عبر وسائل الاعلام و الاجهزة الحكومية.
 - إقامة مؤتمرات (داخلية و عالمية)، و دعم الدولة الخاص لها، و متابعة أعمالها.
- و على الحكومة الاسلامية بذل الجهود الحثيثة و المكثفة عبر هذه الاساليب المذكورة
و أساليب أخرى، لاستئصال جذور الاستضعاف الفكرى و المعرفى على الصعيد
العالمى، و نشر و توسيع هذا الاعتقاد بين المسلمين فى كافة أرجاء العالم، و التمهيد
المعرفى و الفكرى و النفسى، ليكون عاملاً مساعداً و علامة من علامات ظهور الإمام
المهدى عليه السلام

٢- تربية الكوادر و الكفاءات اللازمة:

إن هناك ضرورة و حاجة ملحة الى وجود الانصار فى الحركة الاصلاحية، و التعرف
على برامج و أهداف تلك الحركة، و الاعتقاد بها، لكى لا يحصل تقاعس و إحباط عن
نصرة قائد هذه الحركة الكبرى العالمية أو التخلف عنه.

فلا يمكن الحركة والعمل دون مناصر منتظر أو معين ! وإن كان القائد على أهبة
الاستعداد!.

إن الحاجة الى المناصرين و المؤيدين للثورات الاسلامية عبر التاريخ الاسلامى، هو
شاهد واضح على أهمية هذا الحدث الالهى العالمى و الانجاز الكبير. فعندما أمر الله

سبحانه نبيه ﷺ ليعلم عن دعوته جهاراً، أمره بدعوة عشيرته وأقربائه وهم من وجوه القوم و رؤسائهم، فأبلغهم دعوته و رسالته، قائلاً لهم: «أيكم يؤازرنى على هذا الأمر...».

و نتساءل هنا: لماذا أصبح على ﷺ قعيد البيت، و عزل نفسه عن السياسة و المجتمع بعد وفاة رسول الله ﷺ؟ رغم بطولاته و تضحياته فى إعلاء كلمة الاسلام، و وصفه بالشجاعة التى شهد له بها الاعداء، و الفضل ما شهدت به الاعداء؟!

و لماذا قبل الامام الحسن المجتبى ﷺ الصلح مع معاوية، و فرض عليه قبول ذلك؟! و كم من العبر و المواعظ فى فى كلام زينب ﷺ ليلة عاشوراء، و قد خاطبت أخيها الحسين ﷺ قائلة له: أخى حسين! هل استعلمت أصحابكم نياتهم؟ لكى لا يسلموك عند الوثبة؟! الوثبة؟!

إن نظرة خاطفة و سريعة الى التاريخ، تجعلنا نلمّ و نتعرف فيها جيداً على دور و منزلة ظاهرة «الأنصار» فى الحركات التحررية و الثورات العالمية.

فلماذا حصلت الغيبة؟! فلو لم تتخل الأمة عن دورها الحقيقى فى نصره أهل البيت ﷺ، و لم يتخلف الناس عن ركب الأئمة المعصومين ﷺ، أو يتركوهم لوحدهم، فهل تحصل الغيبة أيضاً؟!.

فكما أن عدم المسايرة و المتابعة سبب فى الغيبة، فان المسايرة و المتابعة سبب فى الظهور أيضاً.^{٦٩}

إن من أهم شروط ظهور الامام المهدي ﷺ هو وجود الأعوان و الأنصار الأقوياء الأوفياء و الأكفاء، الذين لا يخافون فى الله لومة لائم، و يمتلكون استعداد و قابليات عالية فى البعد الجسدى، والروحي، و الفكرى، و المعنوى، لتحمل أعباء المسؤولية، و الكفاح و الجهاد، و التصدى و المواجهة، فى كافة الأصعدة، و من خلال التحولات

العالمية، والغلبة على أعدائهم. ومن ليس لهم هذا الاستعداد والتهيؤ، فانهم يتركون الساحة بأقل الضغوط من جهات وأطراف عالمية أخرى، فيتركون إمامهم عليه السلام وحيداً في ساحة الصراع والمواجهة والتحدى.

إن تدارك القوى الكفوءة التي تمتلك إعداداً واستعداداً وتجهيزاً عالياً يتناسب مع عظمة الحركة المستمرة للامام المهدي عليه السلام وثورته العالمية الكبرى، هي ضرورة وحاجة ملحة فرضتها طبيعة المرحلة والظروف السياسية القائمة، التي لا يمكن تجاوزها وعبورها بسهولة.

و على الدولة الممهدة للثورة العالمية القيام بأدوار وأنشطة عالمية واسعة في تربية الكوادر والقوى التي تعتمد عليها في حركتها.

و تتصف هذه القوى بقدرات إيمانية ونفسية، و لياقة بدنية، وإعداد و تنظيم عسكري، و ثقافة علمية ونبوغ فكري، و اختصاصات عالية، و قد مارست في هذا النهج اختبارات صعبة، و مجاهدات عملية شاقّة، و تعليمات أخلاقية و اجتماعية، و ظهرت من طبيعة هذه المرحلة قيادات سياسية مثالية، لتكون على أهبة الاستعداد لأي عمل طارئ، و يكون لها القدرة على المشاركة في الثورة العالمية الكبرى و الفريدة للامام المهدي عليه السلام.

و تتصف هذه الكوادر أيضاً من خلال تفهمها الناضج، و أسلوبها الواضح، و استيعابها للأحداث، و بلوغها و نموها الفكري و الروحي: أنه لا يمكن إزالة و رفع المعاناة و المشاكل الكبرى في العالم البشري، و الظلم و الجور بسهولة و بدون عناء، بل ينبغي التضحية بالغالي و الرخيص، و بذل أقصى الجهود، و تحمل المشاق و الصعاب و الآلام في طريق ذات الشوكة.

و عندها ستصدق هذه الكوادر: أن انتصار ثورة هذا المنجى و المخلص العالمي، لا

تحصل بسهولة دون تضحية و قتال، و إراقة الدماء، و لا يتيسر الأمن و الاستقرار و تحصيل النعم إلا عبر هذا الطريق.

إن على الشيعة في ظل هذه الجهود و الخطط و البرامج التي تقوم بها الدول و الحكومات الاسلامية الممهدة للظهور، الحركة الدؤوبة و المستمرة للوصول الى مرحلة البلوغ، و القدرة على نصرة الامام عليه السلام في إدارة المجتمعات العالمية، و القابلية على تغيير العقائد و الثقافات، و القيم و المبادئ المحلية، و و استبدالها بقيم و مبادئ إسلامية، و التبعية لها، لان الاسلام الذي يعرضه الامام المهدي عليه السلام مجهول للأمة، و بعيد عن تصوراتها، و هو يختلف تماماً عما اشتهر و عمّ في أوساطها.

و من هذا المنطلق، فان من أهم و أكبر مسؤوليات الحكومات الشيعية في عصر الغيبة، هو التمهيد للظهور عبر تربيته للكوادر الانسانية، التي تنسجم و تتلائم مع مسؤوليات حكومة العدل العالمي للامام المهدي عليه السلام.

إن هذا الاستعداد و تربية الكوادر، ينبغي أن يكون بصورة فاعلة و حيّة في المجتمع الاسلامي، و تسرية و تصدير هذا الأداء المدبّر و الحكيم من قبل الحكومات الشيعية الى المجتمعات الاسلامية الأخرى أيضاً.

و نشيد هنا بدور العلماء و المفكرين و النخب و الكتل السياسية الواعية و الملتزمة في العالم السنّي و العالم الشيعي تحديداً، حيث ألقى على عاتقهم أعباء و مسؤوليات خطيرة في هذه المرحلة، فعليهم مضاعفة الجهود على الصعيد العالمي أيضاً.

٣- مواجهة التبليغات السلبية المغرضة و اليائسة من قبل الاعداء و إحباطها:

يمكن القول بشجاعة: أن الاعتقاد بالمهدي الاسلامي و الشيعي الموعود معرّض اليوم الى تهديدات، و محفوف بالمخاطر أكثر من أي زمن آخر، أي: تهديدات الاعداء العقلاء، و أضرار الأصدقاء الجهلاء. فمن خلال مشاهداتنا لحجم الكتب في المطبوعة و المنشورة

في السنوات الأخيرة في الردّ على المعتقدات الشيعية، وتحديدًا على موضوع المهودية و الانتظار، و دور أجهزة المخابرات الصهيونية العالمية التي تدعمها قوى الاستكبار، كأمريكا و بريطانيا و الكيان الصهيوني، فقد أقدمت هذه الأجهزة العميلة على نشر هذه الكتب، و نشط عمل الصحافة و دور الإعلام بشكل واسع و مكثّف في كافة أرجاء العالم. و كان الهدف من نشر و بثّ هذا الحجم الهائل و الأعداد الكبيرة من الافلام الدعائية و الأفلام السينمائية المنتجة في العقدين أو الثلاثة عقود الأخيرة في العالم، هو نشر و ترويح فكرة آخر الزمان المسيحي اليهودي، و تقبيح فكرة آخر الزمان، و الاعتقاد بالموعود الاسلامي.

و لو شاهدنا حجم و أعداد الكتب المتدنية و الفاقدة للمحتوى العلمي، و على مستوى العوام، المبتنية على معتقدات ضعيفة و خرافية، و التي كتبت في بلدنا في السنوات الاخيرة حول فكرة المهودية، و شاهدنا الأعداد المتزايدة للمجالس و المحافل الاكاديمية و غيرها، التي تعقد بين آونة و أخرى باسم الامام المهدي عليه السلام في أطراف مترامية من هذه البلاد أيضاً، فبدل تنمية و بثّ روح الأمل، و الحيوية و النشاط، و الكفاح و السعي، في قلب الشباب في هذه البلاد، و الارتقاء بمستوى المسؤولية و المعرفة، و أخذ الحيطة و الحذر، و التهيوّ و الإعداد و الاستعداد للظهور، فانها تزرع بذور الشقاق و اليأس و القنوط، و العزلة و الرهبانية، و عدم الشعور بالمسؤولية، و الغفلة، و الضعف و الوهن و الارتحاء في قلوبهم.

و لو أردنا أن نرفع رؤوسنا قليلاً الى الأعلى لدرأ الشبهات عنا، و الإجابة عن التساؤلات التي تنشر في كل زاوية من زوايا مجتمعاتنا الاسلامي حول الامام المهدي عليه السلام فسنرفض كافة الادعاءات و الأقاويل التي أثّرت حول هذا الموضوع. فإن كل ما قيل هو عار عن الصحة تماماً، و لا أساس له على الاطلاق.

إن يتامى آل محمد ﷺ هم أكثر حاجة اليوم من أى زمان آخر الى قيادة علماء الدين ومفكرهم، وعلى رأسهم دولة الامام المهدي ﷺ

إن من أهم مسؤوليات و وظائف الحكومات الاسلامية فى الظرف الراهن، و علماء الدين كذلك، هى:

١- تأليف و تدوين الكتب و التشريعات، و استخدام المصادر الشيعية الأصلية المتقنة، و المعارف المهدوية، بعيداً عن الأوهام و الشكوك و الالتواء، و وضعها فى متناول جماعات مؤثرة و مفيدة، بسنين و أعمار مختلفة تضم أعمار «الاطفال البراعم، و الأحداث، و سنین الفتوة و ريعان الشباب، و كبار السن» و شرائح اجتماعية مختلفة تضم طبقات «المثقفين الواعين، و العلماء، و الباحثين و المفكرين، و الموظفين، و العمال، و الفلاحين، و الشريحة النسوية، و ربّات البيوت، و...»، و تعريف كل من هذه المجموع و الأصناف الشعبية بوظائفهم و مسؤولياتهم تجاه إمام العصر و الزمان ﷺ.

٢- نشر الكتب و الآثار التى تستعرض شبهات و أسئلة فى قسم البحوث و الدراسات المهدوية، و رفع الاتهامات و الغموض الذى طرأ و يطرأ فى خصوص فكرة المنجى و المخلص العالمى، و إجابة الشيعة بصورة عالمة و واعية عن تلك الاستفسارات و الغموض و الاتهام، متناسبة مع ذهن المخاطب، و لغة الأجيال المعاصرة.

٣- رصد المواقع الانترنتية و الالكترونية الدائم، و القنوات الفضائية، و المطبوعات، و الكتب الأجنبية، و تحضير الإجابات المناسبة على الشبهات المعروضة.

٤- نشر الكتب و التشريعات التى تتناول المعارف و المفاهيم و الاطروحات المهدوية، و تعريبها و ترجمتها بلغات أجنبية معاصرة، و وضعها فى متناول الراغبين لهذه المعارف فى كافة أرجاء العالم.

٥- مواجهة الانحرافات و البدع، و الاعوجاج و سوء الفهم، و حالات الافراط و

التفريط، في مجال البحوث و الدراسات المهدوية التي شاعت و انتشرت في مجتمعاتنا الاسلامية.

٦- معرفة سبق الأحداث، و المواجهة و التصدي الجاد لكافة المجرىات السياسية و الثقافية المشبوهة، و ذلك في عروض:الكتاب، المنشورات، و الاجهزة و البرامج الكمبيوترية، و مواقع المعلومات الانترنيتية و الالكترونية، و.. التي تواجه فكرة الموعود الشيعي.

٧- نقد و تحليل آراء المفكرين الغربيين حول عالم المستقبل و مستقبل العالم.^{٧٠}
إن تحقق هذه الانجازات و المجاهدات في المجال العلمي و الثقافي، و مواجهة أصحاب الشبهات، لا يختص برجال الدين و حدهم، أو الدعاة المبلغين، و الأساتذة، و المسؤولين العاملين و المعنيين في القطاع الثقافي الحكومي، و الدولة الاسلامية فحسب، بل على الأمة أيضاً أن تتسلح بسلاح العلم و المعرفة و المنطق الصحيح، عبر جهود المعنيين في القطاع الثقافي في البلاد، و الاسراع في مواجهة حزب الشيطان.

و على الدولة و الحكومة الاسلامية أن لا تكتفى بالحركات المعتدلة، و الأنشطة و الفعاليات الهامشية و الجانبية و المقطعية، في مواجهة الهجمة الشرسة المتمثلة في أمواج الضلال و الفساد و الانحراف، حتى لا يصاب المجتمع المنتظر بمحالات من الاكثاب و العزلة، و الاضطراب و التشكيك، أمام التبليغات المسمومة و الممارسات المخادعة و المضللة، و المؤامرات التي تحاك من قبل الاعداء و الأصدقاء الجهلاء، بل عليها أن تساهم من خلال الجهود المستمرة و الحثيثة المنظمة: في إيجاد حالات عالية من الاستعداد و التهيؤ التام لاستقبال رسول العدالة المرهفة، و أسوة التقوى، الامام المهدي عليه السلام.

٤- الإعداد العسكري و الدفاعي:

أكدت التعاليم الدينية و المباني الاعتقادية على ضرورة الاعداد العسكري و الدفاعي في مواجهة تهديدات الأعداء، و دفع شرهم و كيدهم الى نحورهم. و قد صرّح بذلك في

القرآن الكريم، فقال سبحانه و تعالى: «و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم».^{٧١}
 إن هذه المبادئ و التعاليم السامية هي عامة للجميع، و تضم كافة العصور و الأزمنة، و لا تختص بطائفة أو فئة و شريحة معينة، و لا كيان أو تيار سياسي محدد، و لا عصر من العصور.

و لكن أهمية و حساسية عصر الغيبة، و لزوم الإعداد و التحضير أكثر في هذا العصر، سيكون له غاية الأهمية، و قد ورد التأكيد على ذلك في أقوال المعصومين عليهم السلام، و وصاياهم و سيرتهم العملية المشرقة.

روى عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليعدن أحدكم لخروج القائم عليه السلام و لو سهماً، فان الله تعالى إذا علم ذلك من نيته، رجوت أن يُنسأ في عمره حتى يدركه [فيكون من أعوانه و أنصاره].»^{٧٢}

و قد صرحت الأخبار و النصوص الاسلامية: أن الامام المهدي عليه السلام يقيم الحجة على البشرية في كل العالم، ثم يعلن عن حربه الدموية المصيرية و الاستنزافية الكبرى ضد الأعداء و المعاندين، و استعانت به بأنصاره و أعوانه في هذه المواجهة، فيستعدون لهذه المنازلة الكبرى، و يجاهدون أعداءه ببسالة و شجاعة.

إن إلقاء الانسان نظرة في التاريخ الشيعي، سيجعله يغور في عمق اعتقاد الأمة حول موضوع الظهور، و الإعداد الدائم و الخالد له تحقيقاً لهذه الأهداف.

كتب ابن بطوطة في مذكراته عن رحلته حول العالم فقال: «يقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب، و قد قدموا مركباً مسرجاً ملجماً، و بأيديهم السيوف و الخيول و ينادون: اخرج الينا يا مولانا يا إمام، فان الناس منتظرون، و الخلق حائرون، و الظلم عام، و الحق مفقود، فاخرج الينا، فتقرب الرحمة من الله في آثارك، ثم

يقولون بسم الله ثلاث مرات، فيهتفون باسمه، وهم على ذلك لهذا العهد بجهازه وجليته، ينادون بأصوات متوسطة، ويكررون ذلك الى أن تبدوا النجوم ثم ينصرفون الى الليلة القابلة هكذا دأبهم».^{٧٣}

أما كيفية هذا الإعداد والتهيؤ للظهور، فهو مرهون باقتضاء الزمان والمكان، فالروايات والنصوص وإن تحدثت حول إعداد الخيول والسيوف لظهور ولى الأمر عليه السلام و ذكرت له فضائل وسجايا كثيرة، إلا أنها لا تعنى أن لهذه الأمر ماهية وطبيعة موضوعية، بل إن الدقة وإمعان النظر فيها قليلاً يوضح: أن ذكر هذه الموارد هى على سبيل المثال لا سبيل الحصر، وهو بيان للزوم الإعداد العسكرى والدفاعى لنصرة آخر حجة الحق فى الأرض.

وعلى الشيعة فى هذا العصر تعلّم فنون التدريب والتسلّح بأحدث الأجهزة العسكرية والدفاعية المناسبة مع تكنولوجيا العصر، والاستعداد للمنازلة الكبرى مع أعداء قائم آل محمد عليه السلام

إن من أهم وظائف ومسؤوليات الحكومة الإسلامية، والقوى المسلحة فى البلاد، هى: أن تكون فى أتم استعداد أمنى وعسكرى، للاستعانة بها فى النفير العام فى أى لحظة ممكنة بفضل الله وقوته، وإرادته بتعجيل الفرج، وظهور المنجى والمخلص للعالم البشرى، لتقوم بمسؤولياتها ووظائفها، ودعمها له عليه السلام بأتم الوجوه وأكملها.^{٧٤}

النتائج:

اتضح لنا مما سبق: أن التعاليم الدينية والقيم والمبادئ الإسلامية ذكرت أن الهدف الغائى والاخير من خلق الانسان هو الوصول الى العبودية والتقرب الى الله، وأن الطريق الوحيد هنا: إظهار آخر حجة للحق، والتبعية له، وتطبيق أوامره وإرشاداته و هدايته.

و ليس عنصر النجاة و الانتقاذ في ظل ظهوره ﷺ خاص بالدين الاسلامى، بل إن كافة الشعوب المتحررة في العالم هى في انتظار و شوق و لهفة لمجىء هذا المنجى و المخلص العالمى، إلا أن ظهوره ﷺ يتطلب إعداداً و تهيؤاً و استعداداً عالمياً، كما أن عدم الإعداد و التهيؤ و الاستعداد سيكون سبباً في غيبته ﷺ. فاذا لم يكن لهذا الاستعداد و التهيؤ مفهوم و حقيقة، فسوف لن يخرج الامام ﷺ من وراء حجاب الغيبة أبداً، إلا أن يشاء الله.

أن هذا التهيؤ و الإعداد و الاستعداد هو بحاجة الى التمهيد و التحضير و التوطئة، فعلى كافة منتظرى الظهور، المساهمة و المشاركة في هذا النوع من التمهيد و الإعداد. و على الحكومات و الدول الاسلامية الممهدة للظهور دوراً مهماً و خطيراً في هذه المرحلة. فعليها أن تخطو خطوات بعيدة المدى و مؤثرة للإعداد و التهيؤ العالمى، عبر عرض البرامج و المشاريع الصحيحة و الهادفة.

و يلزم على الدول و الحكومات الاسلامية الممهدة للظهور متابعة هذه الأهداف في جهتين:

الأهداف العامة.

الأهداف الخاصة.

أما الأهداف العامة، فهي موازية لأهداف الحكومات النبوية و العلوية. و على كافة الحكومات و الدول الاسلامية، أن تكون نموذجاً في التجربة الناجحة للحكومة المهدوية و لو نسبياً، و عليها أن تعرف العالم على خصائص النظام المهدوى، و تعدد العالم إعداداً قوياً لقبول حكومة الامام المهدي ﷺ.

و من أهم هذه الأهداف:

١. السعى لاقامة العدل و الأمن.

٢. القدرة و عدم التبعية.

٣. مكافحة الفساد.

٤. إحياء القيم و المبادئ الأخلاقية الاسلامية.

٥. مقارعة الظلم و عدم المساومة.

٦. توزيع و إيصال الخدمات الى الأمة.

٧. الدعوة الى الوحدة و الانسجام بين شرائح المجتمع و فئاته.

أما الاهداف الخاصة:

فهى عبارة عن أهداف الحكومات الاسلامية و الدول الممهدة للظهور، فعليها أن تبذل أنشطة مكثفة و جهود مضاعفة و شاملة للوصول الى هذه الاهداف و تحقيقها، و التهيؤ و الاستعداد الخاص و اللازم لنصرة حكومة الامام المهدي عليه السلام.

و من أهم أهداف و عناوين المعرفة المهدوية:

١. تربية الكوادر الكفوءة.

٢. تحدى و مواجهة التبليغات و الثقافات الدخيلة السلبية المسمومة، والهجمة

الشرسة و المغرضة للأعداء، و الاعداد العسكرية لها.

١. رحيم كارگر، مستقبل العالم (الدولة و السياسة في الفكر المهدوي)، ص ٨٧، الطبعة الأولى: دار نشر المؤسسة الثقافية للإمام المهدي عليه السلام قم ١٣٨٣ ش.
٢. المصدر السابق نفسه.
٣. نيراجاندوك، المجتمع المدني و الدولة، ص ٦٢، ترجمة فريدون الكاظمي و وحيد بزرجي، نشر المركز، طهران ١٣٧٧ ش.
٤. السيد جواد طاهائي، فكر دولة الحداثة، ص ٢٥، الطبعة الأولى: انتشارات عروج، طهران ١٣٨١ ش.
٥. عبدالحميد أبو الحمد، المباني السياسية، ص ١٤١، الطبعة العاشرة: انتشارات طوس، طهران ١٣٨٤ ش.
٦. سورة النور، الآية ٥٥.
٧. اقتباس من بيانات آية الله مصباح يزدي، المجلة الخيرية في تقريرها الصادر عن المؤتمر العالمي للنظرية المهدوية العالمية، (المستقبل المضيء)، ش ٦، اسفند ٨٦، ص ٩.
٨. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.
٩. سورة القصص، الآية ٥.
١٠. العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ٥١، ص ٨٧، الطبعة الثانية: انتشارات مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ ق.
١١. المصدر السابق نفسه، ج ٥٢، ص ٢٣٨.
١٢. المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٣.
١٣. صحيفة النور (مجموعة إرشادات الامام الخميني عليه السلام)، ج ٢٠، ص ١٩٦-١٩٧، الطبعة الأولى: انتشارات تنظيم وثائق و أسناد ثقافة الثورة الاسلامية، طهران ١٣٦٩ ش.
١٤. المصدر السابق نفسه، ج ٧، ص ٢٥٥.
١٥. المصدر السابق نفسه، ج ١٩، ص ٣.
١٦. سورة النحل، الآية ٩٠.
١٧. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحت عنوان «عدل».
١٨. ابن منظور، لسان العرب، تحت عنوان «عدل».
١٩. الشيخ الطوسي، المبسوط في فقه الإمامية، تصحيح و تعليق محمد باقر البهودي، ج ٨، ص ٢١٧، انتشارات المكتبة المرتضوية.

٢٠. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٧١، الطبعة الثالثة: انتشارات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٣ ق.
٢١. نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٧.
٢٢. سورة الحجر، الآية ٣٩.
٢٣. نجف لك زائي، مقال تحت عنوان «العدالة المهدوية استمرار لرسالات الأنبياء» مجموعة حوارات في المهدوية؛ الحوار السادس، ص ٨٢-٨٤، الطبعة الأولى: باهتمام مؤسسة البحوث و الدراسات المختصة في انتظار النور، نشر المكتب الاعلامي الإسلامي، قم ١٣٨٥ ش.
٢٤. علي بن عيسى الأربلي، كشف الغمة في معرفة الاثمة، ج ٢، ص ٤٧٦، انتشارات مكتبة بني هاشمي، تبريز ١٣٨١ قمرى.
٢٥. صحيفة النور، ج ٢٠، ص ١٩٨-١٩٩.
٢٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.
٢٧. مواضع و بحوث هذا القسم موجزة عن: إبراهيم شفيعى السروستاني، معرفة إمام الزمان عليه السلام و تكاليف المنتظرين، ص ٣٠٣-٣٠٥، الطبعة الاولى: انتشارات موعود العصر، طهران.
٢٨. مجار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٥١.
٢٩. السيد جواد الورعى، حقوق و وظائف المواطنين، ص ٤٤١، الطبعة الاولى: انتشارات أمانة مجلس خبراء القيادة، قم، ١٣٨١ ش.
٣٠. سورة الشورى، الآية ٣٨.
٣١. سورة آل عمران، الآية ١١٠.
٣٢. سورة النساء، الآية ٥٩.
٣٣. نهج البلاغة، الخطبة ٣٤.
٣٤. سورة ص، الآية ٢٦.
٣٥. سورة النساء، الآية ٥٨.
٣٦. حديث الولاية، مجموعة إرشادات سماحة ولى أمر المسلمين الإمام الخامنى (دام ظله)، ج ٧، ص ١٧٥، الطبعة الاولى: إخراج و تنفيذ و تنظيم مكتب سماحة ولى أمر المسلمين الإمام الخامنى (دام ظله)، انتشارات منظمة الاعلام الاسلامي، طهران ١٣٧٦ ش.
٣٧. سورة الحديد، الآية ٢٥.

٣٨. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، ص ٦٠ - ٦١، الطبعة الثانية: انتشارات دارالكتب الاسلامية.
٣٩. نهج البلاغة، المخطبة ١٢٦.
٤٠. إسماعيل برور، مركز معلومات العدالة، ص ١٢٦، الطبعة الاولى: انتشارات مكتب الاعلام الاسلامي، قم ١٣٨٢ ش.
٤١. نهج البلاغة، المخطبة ١٣١.
٤٢. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، تصحيح و تعليق علي أكبر غفاري، ص ٤٣٨، الطبعة الثانية: مؤسسة النشر الاسلامي، قم ١٤٠٤ ق.
٤٣. بحار الانوار، ج ٢١، ص ١٢٥.
٤٤. نهج البلاغة، المخطبة ٢٧.
٤٥. موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، ص ٣٣١-٣٣٢، الطبعة الاولى: معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام انتشارات دارالمعروف، قم ١٤١٥ ق.
٤٦. سورة الرعد، الآية ١١.
٤٧. سورة محمد صلى الله عليه و آله و سلم: الآية ٧.
٤٨. سورة النساء، الآية ٧٥.
٤٩. مواضيع هذا القسم مواضيع و قبسات من كتاب: حقوق و وظائف المواطنين، ص ٥٢٩-٥٣٨.
٥٠. سورة النساء، الآية ٥.
٥١. سورة الانفال، الآية ٣٩.
٥٢. سورة الانفال، الآية ٦٠.
٥٣. سورة النحل، الآية ١٢٥.
٥٤. سورة الحج، الآية ٣.
٥٥. صحيفة النور، ج ٢٠، ص ١١٤.
٥٦. سورة الذاريات، الآية ٥٦.
٥٧. نهج البلاغة، المخطبة ٢٧.
٥٨. صحيفة النور، ج ٣، ص ١٩٨.
٥٩. المصدر السابق نفسه، ج ٢٠، ص ١٣٢.

٦٠. بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٣٨.
٦١. المصدر السابق نفسه، ج ٤٠، ص ١١٣.
٦٢. المصدر السابق نفسه، ج ٧١، ص ٣١٩.
٦٣. المصدر السابق نفسه، ص ٣١٦.
٦٤. تفسير أبو الفتوح الرازي، ج ٢، ص ٤٥٠. برواية: محمد اشتهازي، الامام المهدي عليه السلام، إشرافه الولاية، ص ١٣٨، الطبعة الثالثة عشر: انتشارات مسجد جمران الشريف، (قم ١٣٨٥ ش).
٦٥. بحار الانوار، ج ٨، ص ٣٦٨.
٦٦. الكافي، ج ١، ص ١٨٥.
٦٧. محمد أمين بالا دستبان، وآخرون، شذرات الخلق، ص ١٤٧ - ١٥١، الطبعة الثانية: انتشارات مؤسسة المهدي موعود عليه السلام الثقافية، قم ١٣٨٤ ش.
٦٨. الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٢٥، انتشارات النعمان، النجف الأشرف ١٣٨٦ ق.
٦٩. ذخيرة و نفائس أنصار المهدي عليه السلام ص ٢١٣ - ٢٢١، الطبعة الأولى: إخراج و تدوين مركز المهدوية التخصصي، انتشارات مؤسسة الامام المهدي موعود عليه السلام الثقافية، قم ١٣٨١ ش.
٧٠. إبراهيم شفيعي السروستاني، معرفة إمام الزمان و تكاليف المنتظرين، ص ١٨٢ و ص ٣٨٩ - ٣٩٠.
٧١. سورة الانفال، الآية ٦٠.
٧٢. ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني، الغيبة، تحقيق و تصحيح على اكبر غفاري، المترجم محمد جواد غفاري، ص ٣٢٠، الرواية العاشرة، الطبعة الثانية: انتشارات مكتبة الصدوق، تهران ١٣٧٦ ش.
٧٣. رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ٢٧٢. برواية: إبراهيم شفيعي السروستاني، انتظار ما يجب و ما لا يجب، ص ٤٤، الطبعة الاولى: انتشارات مؤسسة الموعود الثقافية، قم ١٣٨٣ ش.
٧٤. المصدر السابق نفسه، ص ٤٤ - ٤٥.

سوق المهدوية في عصر الغيبة و تبعيته لحوار منهج الحداثة في قوانين الطبيعة

الدكتور محمد جواد جاويد

نبذة

لا تعيش البشرية في آخر الزمان، إلا أنها تتعامل في نهجها و كأنها تعيش في آخر الزمان، و كأن القيامة ستحلّ عليها عن قريب!. فهل هذا الأسلوب في التعامل هو انعكاس طبيعي و حقيقي لسبل و طراز الحياة البشرية المعاصرة؟ اصطلاح بعض الفلاسفة و علماء الاجتماع المعاصرين تسميتهم هذه الفترة بعصر «تعددالقراءات» و عصر تنوع الروايات، لكن أغلبهم يري أننا نعيش في برزخ، مستقبلنا ظلام دامس، و ماضينا مليء بالانحرافات و الأخطاء. فالبشرية المعاصرة لا تدعي لنفسها العبودية، و لا ترضي التأله، بل فصلت نفسها عن ماضيها، و هي غير متفائلة بماضرها و مستقبلها. لذا، فهي تقبل أي شيء، و لا تختار كل شيء، و اصطلاح الفلاسفة و علماء الاجتماع علي هذه الفترة «بعصر الحداثة» أو عصر «ما بعد التجدد». فهل هناك فترة تنصف باليأس، و أخري بالخوف، نراها تختلف تماماً عن ماهية طبيعة الفترة التي سبقتها، حيث تكون محتاجة أكثر ما يكون الي «نبي» ينشر فيها القيم و

المبادئ؟! أو هناك عصر يسمّى الانسان فيه نفسه «بالاله» و ينعزل عن إرادة السماء؟! بيتني أساس و فكرة هذا البحث حول فرضية «عدم خاتمية الدين بالنبي»، و أن إحدي علائم الحياة الأبدية و الخلود هو «أصل المهدوية»، حيث يظهر هذا الأصل في إطار قوانين الطبيعة.

المفاهيم الأصلية في البحث:

القوانين الطبيعية، عصر الحداثة، المهدوية، النبوة، الاسلام، المجتمع، آخر الزمان.

المقدمة

اصطلح كثير من الكتاب الغربيين و المفكرين تسمية عصر الأنبياء و أوصيائهم الى عصر القرون الوسطى في أوروبا «بالعهد القديم» أو «العصر الكلاسيكي التقليدي»، حيث تأثرت هوية الفرد و المنظومة الاجتماعية و الدينية و المعنوية بهذا العهد، و اتسمت بطابعه العام، فتشكّلت الملكية و الحكومة اعتماداً على الواقع العملي و الحقيقي للأمة، فعلى رغم وجود عدم تساوى درجات الخلوّص لهذا الجوهر المثالي المتعالى و الروحاني عبر التاريخ، إلا أنه لم يكن أى تصور لدى أحد بموته، لأن كل واحد يراه معين الحياة في هذه الملكية؛ و يتعرف على تمهيد الهوية الموحدة لبقاء الجميع، ليكون ميزاناً للحق و الباطل، و مفسراً لكل ذلك في وحدته.

إن قيمة قبول و نجاح هذا الجوهر المتعالى المثالي تدريجياً، أصبح سبباً في أرباح و منافع محبي الدنيا و المشغوفين بها، المتظاهرين بالزّي المعنوي و الزهد، الذين صنعوا لأنفسهم سلالم المجد و الرقي السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي، بتحضيرهم نسخ كاذبة و مزيفة تستهدف الدين ابتداء، فكان ظهور المنجى بهذه النسخ الكاذبة و الموضوعة علائم و إشارات واضحة في سوق عكاظ، فلا تتردد البشرية طرفة عين أبداً في التصديق ببدء الوحي السماوي و الالهى، و وجدت نفسها أمام هذا النداء السماوي و الالهى، بما هي فيه من كمال اجتماعي، و توسعة و ازدهار، و تحضّر بشري و

لقد خلق هذا الفكر المتطور و منهج الحداثة و التقنية و التكنولوجيا المتطورة مواقف و أساليب مضادة بين الانسان و ربّه، و الأرض مع السماء، و الروح أمام الجسد، و العلم اللامنسجم مع الدين و المذهب، و العقل ضد الوحي، و السياسة فى مواجهة الدين، فكانت الاثنينية وليدة فكر الحداثة و التقنية المتطورة.

إن رقى الانسان و تطوره، و صعوده بآليات العقلانية الاقتصادية، و سيره باتجاه قمم و سفوح روح الاستثمار، كان سبباً فى الاهتمام بالجوانب و القضايا «الالهية»، و أوامر «الله» من زوايا و وجهات خاصة، و منظار محدد. و استيقنت البشرية أن نجاحها معلول لازاحة القيم و المبادئ عن شؤون الحياة فى كافة المجالات المتسمة بطابع منهج الحداثة، و كون شكل الحكومة مصطبغاً بالصبغة الشعبية، و ليس للحاكم أى صبغة دينية أو مذهبية و إلهية. و هكذا ابتعد الانسان فى عصر الحداثة فى أوروبا من خلال النظرة السيئة فى التفكير عن السماء و الوحي، و ضعفت العلاقة بينه و بين ربّه، و سعى الى محورية ذاته و تقوقعها فى هذه العلاقة، و حرّم على نفسه عطاءات السماء بنظرة ملؤها الأمل، و لكنه قرّر أن يبدأ الحركة و المسير.

و فى الحالة الأولى: سمى نفسه أنه «الله» و ادعى الألوهية، و فى الحالة الثانية: اعتقد أنه «خليفة الله» فى الارض.

إن دعوى البروتستانتية المسيحية فى إيجاد «الاقتصاد الرأسمالى» فى رسم السياسة الصهيونية نابع عن طبيعة تفسير الثورة المثالية الكلاسيكية و التقليدية، فبدون هذا التصور، سيؤدى الى حالة من الوهن و الضعف، و ستكون خطوة باتجاه الفهم الجديد لدنيا المعانى و القيم، و محصول عصر آخر، و امتداد لجسور الثقة بالمستقبل، و ربطه بتراث الماضى. لقد استيقظت البشرية من غفلتها، فغيّرت من نظرتها نحو الماضى فى

عصر التجدد والحداثة، وشاهدت بياض هذه اللوحة المنقوشة بألوان زاهية، إلا أنها غفلت عن الخطوط السوداء والنقاط المظلمة فيها. ولو نظرت البشرية الى واقعها في الماضي القريب، لانتبهت الى ما حلّ بها، ولحقها من كوارث وأضرار مادية ومعنوية في العهد القديم، وقد تم انتاجها وفبركتها في أبعاد كبيرة جداً، وهى أكثر تنوعاً في عصر التطور المفتوح والتقنية الحديثة، بدرجة أن أقل ما يحدث لها، سيوجّه ضربة قاسية ومؤلمة بفأس حديدية قويّة وحادة، تهدف الى اقتلاع جذور الانسانية وعلاقاتها ورواسبها الممتدة عبر التاريخ، وستمضى البشرية باتجاه القيم والمعاني والمبادئ الراقية والسامية، التي تبعث الأمل في أعلاها ليصل الى ذروته.

ومن هنا: فهي لا ترى أى نظرة ورؤية دينية تؤكد على الأخلاق كمحور لها، على أن نهاية هذا العالم ونهاية التاريخ في رؤيتها وتصورها هو: حلول الظلام الدامس، وبقائه على هذا الحال، دون أن تسلط الأضواء على كل أزمة في العالم، لتوجد بريقاً من الأمل والتفاؤل بالمستقبل.

إن حوار المهدوية تابع لفهم حوار النبوة، لاقتضاء ضرورة وطبيعة هذه المرحلة أكثر من أى وقت آخر.

ومن جهة أخرى: فقد حصلت إساءات وإهانات مقصودة ومتعمدة أو غير متعمدة في هذه المرحلة أكثر من غيرها عبر فترات التاريخ البشرى، وهى موجهة نحو القيم والمبادئ المهدوية وفكرها الراقى، لان قيمة وأهمية هذا الجوهر النفيس والدرّ النضيد في عصر الحداثة هى أكثر وضوحاً وتجلياً من العصور والأزمات الأخرى.

وسيتّم تسليط الأضواء في هذا المقال من خلال قراءة هذه الأزمة ابتداءً، بتوصيف المفاهيم الأساسية، ثم الاشارة الى أصول عقد رابطة المودة بين الايمان وملتقياته مع العقل، والحب، والشعور والعاطفة، ثم مع الدين. وسيتّم دراسة وتحليل السياسات

الحقوقية في مجالات خاصة، لمعرفة حقوق الانسان، و دور الدين في تحليل كلا الجهتين. و ستتضح الغاية من هذا البيان من خلال اجتياز الأدلة النقلية، و حركة البشرية حركة طبيعية و عقلانية، بعيداً عن التعلقات و التأثيرات الفردية أو التملّقات السياسية، و السير باتجاه اعتقادات أكثر رسوخاً و عمقاً في المهدوية، و ترجيح أصل ملاكات الخير على الشر في آخر الزمان عبر تلك الحركة.

إن القوانين الطبيعية في العالم هي عبارة عن اجتياز للاعتقاد الظاهري و الباطني للبشرية، و فرض العقوبات و المكافآت، بهدف الوصول الى العدالة و التعادل و التوازن الطبيعي في العالم، لأنها ابتنت على سنن إلهية و كونية، و السنن الالهية و الكونية هي خارجة عن نطاق القوانين الطبيعية، كما قال سبحانه و تعالى: «سنة الله، و لن تجد لسنة الله تحويلاً و لن تجد لسنة الله تبديلاً»^١.

مفاهيم القيم و المعاني في الحوار المعاصر

لا يعدّ فهم المفاهيم السابقة لدى كثير من الكتّاب المعاصرين أمراً سهلاً و ميسوراً، و كذلك المفاهيم الحاضرة و المستقبلية، فهي غير مفسرة، بل غامضة و مجهولة. و تثير ظاهرة وهن و ضعف فهم الاجيال - من خلال انتقادهم لغة الخطاب و التحوار، و فقدان اللغة المشتركة في عصرنا- ظهور حلقات الاتصال و التواصل بين أجيال الماضي و الحاضر و المستقبل.

فالشعور بعدم الفهم المتقابل بين أفراد الأسرة الواحدة أو جماعة الأصدقاء، هو في الحقيقة وليد أزمة فقدان الخطاب و لغة التحوار و الفهم المشترك، و هذه اللغة و الخطاب هي أصعب بكثير في عصر الحداثة و التقنية، و أكثر تعقيداً^٢، فهي ليست لغة الفهم، بل لغة الفهم و العقل. و لأجل الهروب من منازل الفكر الأعمّ و الاكمل من منهج الحداثة،

فلا خير في تنشيط الحركة و التسريع لايجاد حالة من الشفافية في حدود الذهن و لغة الخطاب و التماور، لأنه يمكن أن يحصل نوع من التغيير في هذا العصر حول المعتقدات. أما المعتقدات الأخرى و الروايات التي هي أبعد نطاقاً عن حدود المجتمع، فلا يمكن تلقيها و اعتبارها كلاماً أخيراً. فعلى سبيل المثال: يعتبر مقارعة الظلم و مكافحة الفساد، و عدم تصديق العقل و المنهج الذهني، و سوء ظن الأمة في العلم، و إمكان الوصول الى السعادة الحقيقية، هي كلها بواذر و إشارات على ضعف ما هو أبعد من نطاق روايات المجتمع في التطور السابق، و هذه حقيقة خالدة لا تتحدد بزمان و عصر معين، و هي ماضية باتجاه نتاج خاص سهل و ميسور، بل ممكن^٣. و هذا الموضوع بهذا المقدار قابل للتحليل في الظواهر الاجتماعية أو المعنوية، و كذلك في الامور الطبيعية أو المادية.

و بعبارة أخرى: لو تضاعف ملاك النطق و الكلام حول ظاهرة الحق أو عدم الحق، فستشهد الحاجة أو عدم الحاجة الى تلك الظاهرة بطريقة و أسلوب أكثر من ظواهر أخرى في إيجاد أمواج اجتماعية.

فاذا دار حديث الساعة مثلاً حول زيادة أسعار البضائع و السلع التجارية و المواد الغذائية كأسعار الأرز، أو شحّة بعض المواد الانشائية أو الشرائية كالشاي مثلاً في المجتمع، فلا شك في أن الخروج عن إثبات صحة أو سقم ذلك الخبر في القطاع الاقتصادي في المجتمع، هو أمر له واقع و حقيقة، و هو: وقوع حالة إيجابية أو سلبية حول تلك البضاعة في المجتمع، أو هي في حال الوقوع.

و الحالة الايجابية تعني: أن الزيادة غير الطبيعية هي عرض في الطريق. و لعل هناك مستثمرين من أصحاب المطاعم و النوايا السيئة ممن يصطاد هذه الفرص لبيع بضائعهم، و عرض أمتعهم في الأسواق العامة و بأسعار باهضة و هي بمحففة بحق المواطنين.

أما الحادثة السلبية: فهي تعني الحس و الشعور بعرض البضائع و السلع التجارية

بخلاف المتعارف، لأسباب و دلائل طبيعية، كنمو و تزايد التعداد السكاني، أو قلة العرض و زيادة الطلب، أو شحة الانتاج و قلة المحاصيل، و عوامل أخرى في هذا الاتجاه.

و على كل حال، فإن لغة المجتمع و طبيعة الحوار الحاكم، ينطلق من الخدمة الطبيعية أو الخيانة غير الطبيعية في هذا المضمار، لأن المجتمع يتحسس ذلك، بحقّ كان أو باطل. و الحوار بهذا الخصوص يعنى الالتهاب العام، و تصعيد المخاوف و القلق على الصعيد الشمولى و العام، و هى و إن سببت إثارات و ردود تجاهها، إلا أنه لا يمكن لأى أحد تجاهلها، أو الاغماض عنها، و عدم التعرض لآثارها و مخاطرها، ليكون في أمان عن عوارضها و أضرارها الجانبية، لأن تصور عدم السماع هو سماع في نفسه.

و على كل حال، سوف لن تكون نتيجة هذا الاقدام على العمل الجيد أو الردىء في هذا المضمار، مانعاً عن ظهور الحوار الطبيعى أبداً. و ظهور هذا الحوار يعنى الحساسية و الشعور النابع عن حاجة المجتمع، و المهدوية من هذه الزاوية و بهذا المنظار هى نوع من الحوار، يمكن عدّه في مقارنته بمحاورات معنوية أخرى في المجتمع بأنه حوار حاكم، اصطبع بدعم أكثر.

و اشتهرت هذه الحكاية في عصرنا الراهن في مرحلة عصر الحداثة، و أصبحت مقدورة و في متناول الجميع أكثر من أى عصر آخر، بسبب توسع و تطوير تكنولوجيا دنيا المعلومات، و التقنية الحديثة، و زيادة وكالات المعرفة و عالم الاتصالات.

في سوق دين منهج الحداثة:

إن من خصائص و سمات هذا العصر، هو رجوع و عودة كثير من الأمور التى اعتقدنا أنها قد انتهت، و غلقت ملفاتها نهائياً. و لكنها مع ذلك عودة حقيقية و واقعية للأمور السابقة، و قد عبّر «نيكولا دو كوز» عن هذه العودة و الرجوع بالمرحلة التى

سبقتها، نظير حركة الحزبون^٥. وهذا نفسه علامة جيدة لنمو و توسيع الفهم الانساني، ولكن ليس النمو و التوسعة في قالب الرواية الواحدة التي تهدف النظر الى عصر الحداثة، من خلال وضع ملاكات في العقلانية الاقتصادية في الغرب. و اعتقد «ماكس وبر» الكاتب و الباحث الألماني: أن مرحلة توسيع العقلانية الآلية هي من سمات و خصائص التكامل الغربي. بمعنى: ضرورة البحث عن جذور و رواسب هذا التكامل، و العثور عليه في اليهودية في العهد القديم، و عن هيكلها و إطارها العام في البروتستانتية، و الرأسمالية النامية، أو في حال النمو في أوروبا^٦. و إن رأى بعض المفكرين: أن أساس الاخلاق الرأسمالية بدأت من اليهودية^٧، و أوجدت مفاهيم عديدة مثل: العقلانية على أساس هذه المرحلة. أما نموها في هذا الاطار، فقد نتج عن مضاعفة قابلية و قدرة الانسان، و ذلك من خلال المحاسبة و الدور الرقابي و الاشراف الكامل على كافة مرافق الحياة و شؤونها العامة.

أما دور الدين في هذا النموذج، فهو أداة للتوسعة و النمو المادى. و على ضوء الاعتقاد بمنهج الحداثة، فان الدين و إن عدّ في هذا العصر من أبرز و أهم مظاهره و تجلياته، و كونه محرك عجلة الاقتصاد الأوربي، و أسباب عقلانيته الآلية، إلا أن حصر نتائج أدائه و عمله في هذا القالب، سيعود ثانية أيضاً الى منطق النظرة العامة. و ان لم نقل أنه غير صحيح، فلا ندعى بذلك مرغمين أنه كامل أيضاً.

و من جهة أخرى: عدّ «نيشه» المبدع لفكر منهج الحداثة في بعض الأبحاث، كاتخفاض معدلات الحق و الباطل، و جانب القدرة و القيم و المبادئ و المعاني. فقد كان منطق استدلاله و اعتقاده هو: أن الله قد مات، لكنه اعترف حالياً بوجود الالهة في هذا الفكر، بسبب التناقض و التضاد الملوث الموجود، و قد انتشر بلباس العرفان^٨، و التصوف.

و بعبارة أخرى: رؤية الكثير من المفكرين و الباحثين و غيرهم في عصرنا الراهن هي: انتعاش «سوق الدين»^٩ و «الرأسمالية المذهبية و الدينية»^{١٠} في عصر الحداثة، أكثر من أى عصر و زمان آخر.

و هذه المفاهيم أيضاً كمفهوم عصر الحداثة، هي مرحلة الصيرورة و التأسيس، بمعنى: أن انقضاء مرحلة التطور، و الانتقال الى مرحلة الحداثة، ليس لها معنى واضح و صريح، فكل ما عرفوه هو: أنهم لم يكونوا موجودين، فوجدوا، و لكن الى أين ذهبوا؟ و من هم؟ فهذا غير واضح و معروف أبداً، بل غير محدد.

و انطلاقاً من هذا المفهوم، رأى «مانسولى» الكاتب و الباحث الفرنسى فى علم الاجتماع، و الخبير بدراسة عصر الحداثة فى فرنسا، أن هذه الفترة و المرحلة هي ليست من مراحل عزل الاعجاز و إبعاده، كما جاء ذلك فى كلام «ماكسى وبر»^{١١}، و ليس خروجاً عن الدين^{١٢}، أو هزيمة و فشل و خجل و استحياء الدين^{١٣}، كما قال «مارسل كوشه»^{١٤}، بل هو عصر الرجوع و العودة الى الاعجاز و الاعتقاد^{١٥}. و قد ظهرت معتقدات الالهيات الاجتماعية و السياسية، كالهيات «التحرر»^{١٦} من أمريكا اللاتينية، و إلهيات «مينجانك»^{١٧} من كوريا، و إلهيات «الوطن»^{١٨} من تايوان، و إلهيات «المجاهدة»^{١٩} من الفلبين، بمنطق حديث و أسلوب متجدد^{٢٠}.

نعم، الحقيقة هي: أن هذه الروايات و القراءات، ليست قراءات و روايات عامة و شاملة، بل أشكال جديدة من حالات التدين و الالتزام، ينبغى دراستها و تحليلها، و ضمها الى مجاميع الفرق.

إن «سوق الدين» اليوم هو الأكثر رواجاً و ازدهاراً من أى مرحلة أخرى، فالفردية الدينية، و الطبيعية، و الجماعية، و الاجتماعية، و الوطنية، بل الدولية أيضاً، و الشمولية العالمية أو العولمة.. هي كلها مؤثرات و دلائل على تنوع المحاصيل و المنتوجات فى

تسويق المعتقدات، و نشرها.

تعدد القراءات و الانتخاب العقلاني:

إذا اعتقدنا بأن «كوست كنت»^{٢١} هو أول مفكر و باحث في علم الاجتماع، قد أعاد الدين الى محور النسيج الخرافي و الاسطوري، أو معثورات الفلاسفة، لتؤدي في النتيجة الى فشلها في توسيع العلم بمفهوم المنهج الثبوتي^{٢٢}، فكذلك «ماكس وبر»^{٢٣} يعدّ من أوائل المفكرين الذين ساقوا الدين نحو واد و جهة هي الأقل تديناً، و كان ناتج عمل مادي للدين، و لكن «كوست كنت» أقرّ أخيراً بضرورة تواجد الدين في المجتمع الانساني، و انتشر مذهب «عزل الاعجاز»^{٢٤} المادي عن العالم، و تدارك السعادة الانسانية بعيداً عن أنظمة تأسيس الأديان أيضاً، من خلال منطق التطور، إلا أنه أذعن بقبوله النقد اللاذع و الشديد بنظرة منهج الحداثة.

و سعى «ستارك» عالم الاجتماع الأمريكي في العقد الثمانين و بنوع يختلف عن «وبر» الى تسليط الأضواء على مبحث الانتخاب العقلاني للدين على أساس منطق التشجيع و المكافأة و الجزاء و العقاب في الأديان المختلفة، و رأى أن الأديان في منافستها للأديان الأخرى تابعة لمنطق العرض و الطلب من وجهة اقتصادية. و حلّل كل من «اينانكن» و «فينك» و «استارك» في العقد التسعين ميزان عرض الأديان في المجتمعات، فكلما كان أكثر تنوعاً، كان تسويق التدين و الالتزام أكثر حرارة و انتشاراً، و كلما كان عرض المتوجات الدينية في مجتمع القطب الواحد مطلقاً، فستتخفّض حالات الحماس الديني و الانفعال و الوهج المذهبي، و حالات التدين و الالتزام^{٢٥}. و انتقد «بروس» في عام ١٩٩٢م الانتخاب العقلاني^{٢٦} للدين في نطاق تعدد القراءات في المجتمع الواحد^{٢٧}، و اعتقد أن المنطق الاقتصادي باتجاه الدين قد تم دراسته في المجتمع الغربي كأمريكا مثلاً، و لكن لا يمكن تعميم نتائجه على الشعوب و البلدان الأخرى،

فعلى سبيل المثال: كان تطبيق مبدأ تعدد القراءات في بريطانيا عام ١٨٠٠م أقل بكثير عن عام ٢٠٠٠م، وكذلك الاتجاه نحو منطق الحداثة، فينبغى أن تكون أعداد المتدينين الملتزمين على ضوء منطق الانتخاب العقلاني أقل من عام ٢٠٠٠م، إلا أنه تبقى ٨٪ بالمائة فقط بناء على احصائية لأعداد المتدينين الملتزمين، وهى بمعدل ٦٠٪ بالمائة في عام ١٨٠٠م^{٢٨}.

أما النتائج التى أظهرتها الاستطلاعات و الدراسات الانتقادية لمنطق فهم الدين، فقد أعطت الحلول فى منهج الحداثة عن الدين نفس تلك المعتقدات الالتقاطية التى استوحاها «ماركس وبر».

ولهذا السبب، فإن نظام الرؤية العامة فى هذه النظرية أيضاً، كان قد جعل الأبعاد الاعتقادية الفردية لا تعم حالات التمايز والاختلاف الثقافى، ونظام خصائص وسمات الدين، وهى رؤية مستبعدة ومطرودة من قبل علماء الاجتماع الموحدين الملتزمين المتأخرين.

ومن هذه الجهة، فهو يهدف الى تحميل قراءات عديدة ومختلفة فى الرؤية العامة لا روايات الآخرين.

أما وجهة مرحلة الحداثة، فإن قيمة المنطقة، وحتى الزمان، متوفرة وموجودة فى منطقة وليس أكثر^{٢٩}. وبناء على هذا، فإن توجيه الانتقاد السياسى لمنطق تعدد القراءات وتسويق الدين، سوف لا يتحدد بالمنطق الاقتصادى، وسوق العرض والطلب، والبضائع والسلع والمنتجات الدينية، بل هو اعتراض على نظام مرحله الحداثة فى الانتخاب العقلاني أيضاً. بمعنى أنه لا يكون التمرکز المحض فى سوق الأديان فى عصر الحداثة على المعطيات، وأن الخروج الاقتصادى للدين وحده هو ليس أبعد نطاقاً عن حدود منطق الحداثة، بل تلحظ فيه مخاوف مادية وقلق نفسى أيضاً.

إن مرحلة عصر الحداثة اليوم هي الأكثر أصالة ورسوخاً من جهة، وهي متواجدة أساساً في مبانى الانتخاب الأول للدين. فظهرت تساؤلات واستفهامات حول طبيعة ماهية ذلك وعلله، وليس حول كلفيته و ظهوره الخارجى.

و من جهة أخرى: وكما عبّر في المنطق الاقتصادى الأخير و على سبيل المثال: عن قضايا الشمال و الجنوب بعبور أزمة التضاد و التناقض الكمى، و السير باتجاه التضاد و التناقض النوعى، فكذلك في منطق القيم و المعانى و المبادئ المعاصرة أيضاً، فإن أداء و عمل «التضاد و التناقض الكمى» يتناسب مع منطق عصر الحداثة، و يرى أن الدين منافس لتوسيع و تطوير المجتمع المدنى المتحضر، و حكم و إرادة الشعوب، و هذه مقولات عديدة مثل: الدين، الثقافة، القيم و المبادئ الاجتماعية في عصر الحداثة، فإن لها منزلة و موقعاً اجتماعياً مهماً، و هى متخلصة من المنطق العددى.

و على هذا الأساس، فإن مراحل عصر الحداثة هى السؤال الأصلى و الأساسى في هذه الفترة، و كذلك في الاستفادة من الحقيقة و امكان الوصول إليها. و على هذا، فالسؤال هو حول ميزان معايير و ملاكات الواقع مع الحقيقة، و المعيار الآخر حول الظرف الراهن، و ميزان تطابق كل واحد من الأديان مع مجموع المطالبات و الرغبات الانسانية للأفراد و الجمعيات الانسانية.

و من هنا: و تماشياً مع المطالبة و الرغبة التى اختفت وراء المخاوف و القلق المادى أو السوق الاقتصادية في العرض و الطلب الموجودين، فإن الأكثر عقلانية الدينية بين الأديان، معروض بأسلوب استفسارى و استفهامى أعمّ و أشمل، و لا يخفى أن العقلانية المعاصرة تضم كافة الأبعاد الروحية و النفسية للبشرية المعاصرة.

إن الاعتقاد بترابط الدين بالثروة هو بمنزلة محصول و نتاج عن عصر التطور، و ليس عن عصر الحداثة. بمعنى: أن التجلّى و الظهور المادى أو الاستخدام الدنيوى من الدين

كان قد ظهر ابتداءً في أوروبا، ثم استبطن في غلاف وطبيعة المتدينين الموحدين في تلك البقعة من العالم، يعنى المسيحية و اليهودية معاً. أما «البروتستانتية»: فهي بمنزلة قراءة اقتصادية متطورة عن المسيحية و الصهيونية أيضاً، وقراءة اقتصادية متطورة عن المسيحية وحدها. إلا أن الصهيونية: تعدّ بمنزلة قراءة سياسية متطورة عن اليهودية، أو أن كليهما مخارج للدين الأوربي في منطق الحداثة.

إن ولادة الصهيونية المسيحية^{٣٠}، ناتجة عن علاقة هذين الأمرين في العصر المسمى «بعصر الحداثة».

كتب «جاك اتلى» في كتابه «اليهود، العالم، و المال»^{٣١}: إن من حق اليهود أن يفتخروا بهذه الفترة من تاريخهم. و أضاف: إن الدين ملهم و مكوّن للفكر «التوحيدي» و الفكر «الرأسمالي» أيضاً، أى فكرة أن الثروة هى أداة لخدمة الانسان في الوصول الى الله، فكلما كان المؤمن ثرياً و غنياً، فسينجح نجاحاً باهراً و فريداً من نوعه في تقوية و ترسيخ أسس و دعائم الدين و المذهب، بدءاً باليهود و بصورة عملية، و انتهاء بالمسيحية، فاصبحت أداة لتهشيم فكر النظام الدينى للأغلبية الكاثوليكية في أوروبا، المبنى على الزهد، و الفقر و الطاعة. و اعتبر من علل الوصول الى هذا المستوى في الفهم الدينى، و فى النتيجة، عدّ نوعاً من الثورة الفكرية في أوروبا، من خلال مواجهة الغربيين المسيحيين للشرقيين المسلمين بعد الحروب الصليبية، كما مهّد المسلمون لمسيرة فهم الفلسفة و العقلانية عن الدين في أوروبا^{٣٢}.

أما فى مرحلة مضى و استمرار الفهم و ابتعاوه عن الدين، فقد وصل تلاقى المفاهيم ذروته فى التطور، و فى النتيجة: حصل هبوط و تدنى مبدئى و هروب عن الاعتدال، و ظهرت مجموعات مثل: وحدة المصير، و وحدة الفهم الدينى الأوربي الكلاسيكى و التقليدى فى مرحلة التجديد، و قد أظهرت حالة من الإثنية و التناقض و التضاد

الملوث، و ظهرت في عصر الحداثة مناهج و قراءات متعددة أو مناهج و قراءة واحدة.

الدين، الخرافة، و النسيج العام ضد التوسعة

اعتقد علماء عصر الحداثة: أن نزاعات عصر التطور وصلت الى طريق مسدود، و لم تكن بالموثرة، و أن أبطاله مزيفون، و هم صناعة الذهن الغربى. فهم يعتقدون: أن مثل هذا النوع من النزاعات ليس فيها رابح معين، فهم إما أن يخسروا جميعاً في هذه الصفقة على حدّ سواء، أو كلهم رابحون ! و سرّ هذه النزاعات في الغرب لم ينته بعد، و لا يزال الصراع باقياً و مستمراً، و قد كمن في تلاقى العقل و الاعتقاد، فهل أن الاعتقاد شىء يعنى قطع الصلة و العلاقة عن العقلانية ؟

والاجابة عنه بنعم، فمن جهة نقول: ليس الدين الا خرافة، فهو مخالف للعقل إذن، و تدور غاية المنطق كله في عصر التطور حول محور هذا الاستدلال:
و هو أن السنن ملوثة بالخرافات، و أن الدين جزء من خرافات عصر السنن، فالدين إذن مانع من التوسعة الانسانية^{٣٣}.

و اعتقدوا عملياً بأن الغرب قد توسع و ازدهر، بسبب نفى دور الدين عن المجتمعات. و من هنا: عدوا حركة الزمان و عبور السنن نحو التجديد أمراً مباركاً و ميموناً في حدّ ذاته. فقد اعتقد «بولس المقدس» في نظريته من خلال رسائله التى أرسلها الى ساسة و رؤساء الروم و هى مذكورة في الانجيل: بأن العقل هو أكثر عجزاً من أن يكشف عن أسرار الأيمان^{٣٤}، أما كتاب عصر النهضة و التوعية من خلال الاستدلال المعارض، فقد وصلوا الى نتائج مشابهة هى: أن الدين مخالف للعقل، لانه يبتنى على الخرافة.

و اعتقد «يختن برك»^{٣٥} الكاتب و عالم الفيزياء الالماني مبرراً نقده للدين في القرن

الثامن عشر: بأن قبول و ارتضاء الناس للدين، هو بحاجة الى استغلاله أموراً هي الأكثر خرافة.

و رأى «باسكال» الكاتب و الفيلسوف الفرنسي في القرن السابع عشر مبرراً دفاعه عن الدين: بأن الايمان يظهر في مواضع لا يظهر فيها العقل. و لهذا، يعدّ الايمان أمراً باطنياً و أمراً شخصياً، فالقلب في هذه الزاوية له منطق خاص، و هو غير مفهوم، و منسجم مع منطق العقل^{٣٦}.

و ارتضى بعض الكتاب الغربيين بدءاً من القرن السابع عشر الى القرن الثامن عشر، أمثال: «اسبينوزا» و «ولتر» و «هيوم» بمنطق إبعاد الدين أو الدفاع عنه، و ضرورة طرده عن المجتمعات، و قدموا دراسات و انتقادات حول ارتباط الدين بالعقل، و حصل لديهم الاجماع على وجود التضاد و التناقض بين هذين الأمرين، و اعتقد «ماركس»: أن «الماتريالية» هي آخر ضربة فأس وجهت ضد بناء التفاهم بين العقل و الدين، و معتقداً: بأن الدين مانع فهم الانسان لعبوديته، فقال: «بأن الدين أفيون الشعوب». و أما المساعي و الجهود الأخرى المبذولة في إلقاء الاعتقاد بوجود الله، كما سعى «دكارت» و «كانت» بل و حتى «هيوم» الى توجيه ذلك في ظل الإيمان بالأديان الطبيعية، و لم يكن أمامه سبيل آخر، فانتقص من وجود التضاد بين العقل و الدين.

و قد حاول هؤلاء الكتاب و الباحثين و المفكرين أن يثبتوا: بأن للعقل القدرة على الكشف عن الله و معرفته، و كذلك الكشف عن الدين، و لكن هل يشمل ذلك استدلال الأديان الرسمية الموجودة في الغرب أم لا؟ فهذا مما لم تنطرق له في أبحاثها.

و تطوّر هذا الفكر و ازدهر بمرور الزمان في القرن العشرين تحديداً، و هو يؤكد على أن العقل لا يبعث الحياة في الانسان، فلا معنى حقيقى لها في ظلّه، و لكن هل ينبغي الاتجاه نحو الدين في هذه المرحلة لسدّ الفراغ الموجود و النقص الحاصل فيها أم لا؟

فهناك إبهام و غموض متبقى يلف هذه المرحلة، بل إن هناك توجه سلبي يحيط بأغلب الموارد المتوفرة.

و من هنا: تعالت أصوات الشكوك و الحيرة و الدهشة في هذا المضمار، و هبت رياح و عواصف شديدة لزعة القواعد و الأسس القوية و الصلبة لثوابت التجديد الغربي، و أنهت الحرب العالمية الاولى و الثانية على الغرور و الاطماع الاستكبارية الغربية، و تركت المواطن الغربي يعيش حالات من الذهول و الدهشة و دوامة الشك و الانحراف.

الجريمة و العقاب في منطق العدالة الطبيعية:

يجرى الحديث في الغرب اليوم حول مفهوم عصر «الانتهاء» و ختام و نهاية أمور كثيرة، و مصير البشرية، كالحديث عن نهاية التاريخ، و آخر الزمان، و نهاية القيم المعنوية، و ختام السنن، و نهاية الايدلوجيات، و انتهاء عصر التطور، و نهاية الثورات و الحروب^{٣٧}، و نهاية الأديان^{٣٨} أخيراً. و قد اعتبرت هذه الأمور نهايات للغرب و بدايات للشرق، حيث بدأ الشرقيون يتألقون حديثاً. فلو تقرر أن تكون هناك نهاية للبشرية المعاصرة، فلا تفيد هذه الرواية سوى منهج الاطلاق في التنظير لمحورية الغرب و إشرافه على المجتمعات. و هذا المنطق هو علامة على نفوذ و سيطرة التطور الغربي و حداثة فكره المعاصر.

فلو أردنا من خلال هذا تعريف مفهوم التطور أو الحداثة بمفهوم «دوركهايم»^{٣٩}: على أنه حركة تمايز المؤسسات، أو بمفهوم «وبر» على أنه حركة المنهج العقلي، فان مفهوم التطور أو الحداثة و فلسفته الوجودية في عصر الحداثة، له معنى يبعث على التأمل و النقاش. إن الحدود المصطنعة بين الجانب الخاص و العام من خلال وضع الدين، فقد نال المرتبة الأولى بين أقرانه.

و بعد هذا التصنيف و التقسيم، ستهذب الاخلاق الفردية الى زاوية و ركن من أركان البيت، فتجالس الدين أيضاً، و يكونا معاً طريداً الحياة الاجتماعية. فالتعاليم الدينية و الاخلاقية لا تتحدد في مجال التعليمات العامة في المجتمع، و تلقى على عاتق الوالدين !. إن الدولة المتطورة التي تمتلك سمة الحداثة في هذه المرحلة هي حركة الفرد نحو المجتمع، فالاخلاق الجماعية و التعليمات الاجتماعية وحدها هي الملقاة على عاتق الفرد، باعتبار أن عناصره ليست مدينة للحلول و المعطيات و السلوك الديني، بل إنها تعارض المنطق الديني في كثير من الموارد، و لهذه الظاهرة عوارض و آثار جانبية مختلفة، حيث ظهرت في مجالات و جوانب سياسية و حقوقية و اجتماعية و غيرها. و قد أدان «مارسل كوشه» عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر ظاهرة أفول الدور الاجتماعي للدين في ديمقراطية عصر الحداثة للمواطنين، و اتجاههم نحو المنهج الفردي و الفردية^{٤١}، و اعتقد أنه سيتم في النصف قرن القادم عبور الدين و اجتيازه^{٤٢}. و لكن الدين المهمش و المتروك جانباً هو الدين الرسمي بأنظمة و مؤسسات سابقة في الغرب. و من هذا المنطلق، اعتقد «هرويلوزر» الاختصاصي في القضايا الدينية و الكاثوليكية المسيحية من خلال رؤيته و استقصائه أحوال المجتمعات المعاصرة، بأن هذه المجتمع عبرت و اجتازت هذه المرحلة، و ضمّ صوته الى أصوات القائلين بأن المجريات و الأحداث المعاصرة في العالم تتجه في سيرها و نهجها نحو العقلانية المذهبية، و أما حالات التنافر و عدم ملائمة و انسجام المذهب مع طبيعة المجتمع، فهي ظاهرة اصطلاحاً عليها تسميتها «بالعلمانية»^{٤٣}. و لكن هذه ليست بمعنى حذف الدين و ازالته، بل ظهور مجدد في قوالب جديدة^{٤٤}، و يستتبع هذا الحضور عواقب أخرى، مثل: أزمة الفكر و الخطاب الديني بخصوصه.

إن القوى الحاكمة في عصر تطبيق السنن، عليها مسئولية تنفيذ القرارات التي وضعت

ضد المخاطئين و المجرمين و المخالفين، و تلك القرارات هي: التنبيه و التحذير، أو التعزير، أو الإعدام في الملأ العام. و مع توسيع بعض المفاهيم من قبل الحكومات في العصر الجديد كحقوق الانسان، فقد قرّرت استخدام أسلوب الرقابة و الاشراف و المحاسبة الدقيقة بدلاً عن التنبيه و الضرب أو التعزير، أما في عصر الحداثة، فقد انتقلت هذه الرقابة و المحاسبة و الاشراف الدقيق تدريجياً الى مجالات و جوانب خاصة أخرى، و أصبح «الدين» بمثابة «الانتخاب الفردي» في هذه الأمور، فقد تدنى و هبط مستواه و معدّله في الاعوام الخمسة الأخيرة. و قد عرّضت هذه المداخلات في الفكر المحايد من جهة الدولة المتطورة و بشكل ملء بالتناقضات و التضاد الواضح في القطاع الخاص الى كثير من الشبهات و التساؤلات و الغموض، و تسببت من جهة أخرى في ظهور هويات جديدة في قوالب الدعاوى المذهبية.

و تابع «جان بوبرو»^{٤٤} و بصورة دقيقة قضايا و مسائل علمانية في فرنسا في إطار دراسته للأديان في المجتمعات، معتقداً بأن عصر الحداثة يمر عبر ثلاثة مراحل هي:

١-الابتدائية.

٢-المتوسطة.

٣-والنهائية.

و سنشهد تغييراً واضحاً في حدود القطاع الخاص و العام في البرهة الاخيرة. فقد أشارت المادة العاشرة لاعلان حقوق الانسان عام ١٧٨٩م، المصادق عليها في منظمة الأمم المتحدة، المصرحة بحرية الأديان و الاعتقاد الديني و المذهبي، معلنة و لأول مرة بصورة رسمية و مباشرة بأن «الدين» هو أمر شخصي و فردي، يهتم بأمور البشرية في كافة أرجاء العالم!، و هذه كما ترى خطوة أولى نحو تطبيق العلمانية في المجتمعات.

و مع هذا، ليس هناك دور مساو لتعلّق الرجل و المرأة بواحدة من هذين القطاعين،

لأنه ألقى على عاتق أكثر الشرائح التسوية دور التعليم الديني و الاخلاقي في الأسرة، و أما الرجال، فقد تصدّوا لمسؤوليات سياسية في القطاع السياسي و القطاع العام^{٤٥}.

أما المرحلة الثانية، فهي: بدء تفكيك هذين القطاعين في القرن التاسع عشر و العشرين، حيث تم رفع و إزالة الحياة التقليدية القروية و الريفية البسيطة، من خلال غزو و انتعاش الحياة السكانية في الحضر، و ازدهار توسع المدن و الكثافة السكانية، و ذلك من خلال تشييد المدارس، و زيادة سكك الحديد، و انتشار المؤسسات و المنظمات الحكومية و الوطنية، و اتساع الفواصل و المساحات الشاغرة، فكان تلقى الدين في تلك الفترة الانتخابية على شأن خصوصي و فردى.

و قد عملت الحكومة من خلال إيجاد المنافسة غير الواضحة بين الأديان، الى تأسيس المدارس الحكومية، و تقوية أمر التربية و التعليم الحكومي، و فرض الضرائب الحكومية، و الاخلاق الاجتماعية و...، لتحلّ في موقع العمل الجماعي للدين.

و في المرحلة الثالثة: حطّمت هذه الظاهرة و بصورة قوية و عنيفة كل الحدود الديموغرافية المرسومة في الماضي، و تعرّضت المؤسسات و المنظمات التي كان يهدف منها الحفاظ على أساليب العمل الجماعي و المصالح العامة، الى يد تخريب المصالح الفردية، و من أمثلتها البارزة: عدّ حالات الاجهاض أمراً مشروعاً، و معترف به رسمياً من قبل الحكومة، و مع ذلك، رفض الاطباء في فرنسا قبول و إجراء فحوصات أو عمليات جراحية في الاجهاض، و عدوه جريمة يعاقب عليها القانون.

و النموذج الآخر: في تلاقي المصالح في القطاع الخاص و العام، يعود الى مسألة الحقوق و الزنا و الفحشاء و اللواط و غيرها، فالفواحش من النساء، تطارد من قبل الحكومة في السويد على ضوء القانون، بل إن من يتم شراؤهم من الرجال و النساء لهذا العمل، هم مطاردون أيضاً من قبل القانون.

و قد حظر القانون في بلجيكا ممارسة الزنا واللواط، لان كثيراً من البلدان الأوروبية و بأدلة و شواهد عديدة، لا تطبق القانون، كالارهاب و الشذوذ الجنسي مثلاً و غير ذلك. و قد تسببت المصالح الحكومية و ليس المصالح العامة أو المنافع الوطنية و القومية في أن تبقى مجالات الحقوق الفردية و الجماعية غير مفسرة و غامضة، بل مجهولة في كثير من الموارد.

و حكم الإعدام هو نموذج آخر من تلك المجالات المجهولة و غير المفسرة، حيث تم رفع حكم الاعدام و إزالته في كثير من البلدان الأوروبية الغربية، كفرنسا تحديداً، رغم المطالبات الشعبية العامة، و الأساليب و الممارسات الديمقراطية^{٤٦}.

أما حول مشروعية الشذوذ الجنسي و زواج الذكور بالذكور و الاناث بالاناث و اللواط، فان حدود المصالح و المنافع الوطنية، و المطالبات الفردية، كان سبباً في اتخاذ أساليب قضائية مختلفة و متعددة في الغرب. بل حتى في بعض البلدان الأوروبية نفسها، فان هناك اتهامات و غموض حول قضايا الزواج الشاذ، و نوع هذا الارتباط الرسمي، و المسائل الحقوقية، كالإرث، و حضانة الأبناء، و التكاليف المتقابلة الناتجة عن تعدد الزيجات، التي تزيد من فترة مراجعة هذه الملفات، لاصدار الأحكام بشأنها.

و تواجه الشريحة النسوية المعاصرة مشاكل و صعوبات جدية و حادة في قضاياها و شؤونها الحقوقية و الحقيقية^{٤٧}. و من ناحية أخرى: تطالب كثير من العوائل و الأسر فصل أبنائهم الذكور عن الاناث في المدارس و الجامعات و المحصص الدراسية المختلطة. و لكن مع ذلك، و على رغم أن الأنظمة الحقوقية الليبرالية تثير نقاشاً و جدلاً حاداً اليوم حول مسألة الانتحار، و تبحث عن دوافع هذه الظاهرة و عللها الحقيقية في تلك المجتمعات، إلا أنها لا تعنى بالمطالبات الفردية في هذا النوع من القضايا، و لا تولى لها اهتماماً بالغاً رغم انتشار هذه الظاهرة بسبب الأزمة التي تعيشها هذه المجتمعات.

فلو حكمت هذه الأمور عن ازدهار القيم و المعاني في تلك المجتمعات، فانها بنفسها إجابات صريحة و طبيعية حول ظاهرة غير طبيعية في السابق، و إن عصر الحداثة يقرب تعارض و تناقض المجتمعات البشرية الى الاعتدال المتداول.

و يحترم المنطق الجزائي في الاسلام سير القوانين الطبيعية.

و على هذا الأساس، ينبغي معالجة تلك الازمات الاجتماعية بشكل طبيعي، فالإنسان في المنظر الاسلامي يولد على الفطرة، طاهراً بريئاً، و ليس مجرمًا، و لن يكون كذلك^{٤٨}، هذا من جهة.

و من جهة أخرى، ليس المجتمع وحده مسئولاً عن أخطاء و جرائم الآخرين، بل إن هناك مجموعة عوامل و أسباب تؤدي الى وقوع الجريمة في المجتمع، و تعاقب القوانين الجزائية في الاسلام أيضاً بهذا الأساس على الجريمة، و ليس المجرم وحده. و من الطبيعي أن عمل أى فرد في المجتمع ليس له انعكاسات جماعية، و كذلك للعامة تأثير و تأثير أيضاً، لذلك قيل: إن معنى حق الحرية الديني هو: أن حرية كل فرد معين غير مهددة من قبل الطرف الآخر، بل ربما يكون المواطن نفسه عرضة للتهديد، و هى هذه الحالة. فلا يحق لأى حكومة مهما كانت: أن تصدر إذناً عاماً بالاقدام على الانتحار، و فسخ المجال أو التشجيع على ذلك، على ضوء احترام حقوق مواطنيها و رعاية الشعور و الضمير الإنسانى، أو تلتزم الصمت حيال هذا العمل الاجرامى، و تبقى متفرجة على ما يجرى في المجتمعات.

و لا شك في أن الشارع الاسلامي وضع المصلحة العامة في أولويات قراراته، كقضايا الحدود و التعزيرات الاسلامية، و لزوم عدم الخدشة في القضايا و الموازين الاخلاقية و النظام العام في البلاد، و هذا الأمر هو من الدلائل الأصلية في ترسيم هذه التعزيرات و العقوبات. لذا، فان أكثر العقوبات في اللغة العلمية و الأكاديمية المعاصرة و الفهم العام،

هى عبارة عن الأحكام و القرارات الجزائية التى سنّها المشرعون الالهيون و غير الالهيين فى المجتمعات البشرية.

و فائدة مثل هذه العقوبات تظهر فى حالتين:

أحدهما: منع المجرم أو الآخرين عن ارتكاب الجريمة و تكرارها، من خلال العقوبة التى تولّد الخوف و الرعب فى نفس المجرم، فتصدّه عن إعادتها و تكرارها.

و لهذا يمكن تسمية هذا النوع من العقوبات «بالتعزيرات».

و الفائدة الأخرى: هى إيراد غليل المظلوم، و تشفيّه من مرتكب الجريمة، و يكون هذا فى موارد هى من نوع الجرائم و الاعتداء على الآخرين.

أما العقوبات و الاحكام الصادرة هنا، فهى ناظرة الى الجريمة و المجرم، و لا تعنى هذه المسئلة تحقير المجرم والاستهانة بكرامته، بل هو نوع وقاية له و للآخرين، و كما قال «دوركيم»: لا يتلقى ارتكاب الجريمة على أنه أمر طبيعى^٩، بل على الجميع اعتقاد أن هذا هو أمر غير طبيعى، و شذوذ فى العلاقات الاجتماعية، و إن كان وقوع الجريمة فى المجتمعات عملياً هو أمر طبيعى.

لذا، فإن كون الجريمة هو أمر طبيعى، سوف لن يقلل من كون الجريمة عدوى مسرية، و طر و المرض أخيراً على كيان المجتمعات.

و من هنا: ففى حالة الحاجة فى ظلّ المصالح العامة، يمكن الاكتفاء الذاتى و الاستغناء بالتضמיד السطحى الهامشى و البسيط، أو القيام بعملية جراحية، أو قطع عضو المصاب نهائياً. و من خلال هذه الوجهة، فإن مسئلة تناسب الجريمة و الحكم يرتبطان بأحكام اعتبارية و ليس واقعية و حقيقية أو ذاتية.

أما العقوبات و المجازات الطبيعية الناتجة من التخلف عن القوانين الطبيعية، فهى من نتائج و لوازم العمل الطبيعى، تستتبعها آثاراً تكوينية. فكل ظاهرة فى نظام العلة و

المعلول في العالم له موقع خاص به، فلا يمكن أصلاً أن لا تأتى العلة الواقعية و الحقيقية بمعلولها الحقيقي و الواقعي. و قد ادعى الاسلام في النتيجة أن ترسيم القوانين الجزائية و صدور الأحكام، قد استندت على أساس القوانين الطبيعية، و يمكن تعميم هذه القواعد على أساس أصل عولة الاسلام أيضاً. فاستدلال النبي ﷺ مثلاً و أسلوبه حول هذا الموضوع مؤيد للفلسفة الطبيعية، و طبيعة المجتمعات الانسانية.

روى عن النبي ﷺ واصفاً علل و أسباب هلاك الأمم و الاقوام السالفة بعد أن سأله أصحابه: «قالوا: يا رسول الله، تقطع امرأة شريفة مثل فلانة في خطر يسير؟ قال: نعم، إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا. كانوا يقيمون الحدود على ضعفائهم و يتركون أقوياءهم و شرفاءهم، فهلكوا»^{٥٠}.

لذا، فان استقرار الحكومة الدينية العالمية للامام المهدي ﷺ هي خاضعة للقواعد و السنن الطبيعية و الالهية أيضاً في تطبيق العدالة الشاملة في العالم، و منها: استعداد و رغبة شعوب العالم و شوقهم لذلك الانجاز العظيم. إن الحكومة الدينية المبتنية على السنن القطعية الالهية، إذا أنعم الله على عباده فيها بنعم، فعليها أن تكون مستجيبة و شاكرة لأنعمه سبحانه. قال سبحانه و تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»^{٥١} و من هذا المنطلق: ينبغي أن يكون تثبيت الحكومة و ترسيخ دعائمها بحاجة الى رغبة و استعداد جماهيري و شعبي لحصول دواعي القبول، فليست الحكومة فرضاً على الشعب، و حكراً على الأمة، أو مخالفة لرغبة الجماهير و مطالبات المواطنين، و هي مطالبات حقّة طبيعية و مشروعة في كل المجتمعات العالمية، لا في تشكيلها و لا استمرارها.

و ينبغي أن تقوم الحكومات على أساس رغبة و إرادة جماهيرية و شعبية، و عزم و إرادة الأمة و استمرارها، و سيتحقق دين الله في هذه المجتمعات بعد قبولها و ارتضاءها

له، فتطالب هذه الجماهير بإقامة حكومة دينية من خلال هذا القانون الطبيعي، و سينصر الله هذه من ينصره من هذه الشعوب و الأمم و إن كانت قليلة باذنه. أما إذا لم يكن لهذه الشعوب و الأمم تواجداً و حضوراً فاعلاً و نشاطاً في المعترك السياسي و الصناعي و الفكري و غيره من المجالات، فان هذه الحكومة الاسلامية ستبوء بالفشل الذريع، و تؤوب الى السقوط، و إن كان ذلك الحاكم و المدير هو أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه!

«هذا على ضوء سير القوانين الطبيعية في عالم الكون و الخلق»^{٥٢}.

و كما أن لسوء^{٥٣} أو حسن^{٥٤} غير العقوبة و الجزاء الاعتباري انعكاسات و ردود غير طبيعية أيضاً^{٥٥}، فان هناك عوارض أيضاً للشذوذ و الحالات غير الطبيعية في المجتمع، جزئية كانت أم عامة، و كذلك الأعمال الاجرامية التي يرتكبها الأشخاص في المجتمع. ثم إن القوانين الجزائية كانت و لا تزال تؤكد في جلّ اهتماماتها بالدرجة الأولى وحدها على ميزان الخدشة، و إدخال الضرر على الحقوق الفردية و الجماعية معاً للأشخاص في المجتمع، و قد غصّت نظرها عن العثور على حقائق الجذور و الآثار العامة التي يمكن أن تخلّفها الأعمال الاجرامية في أجواء طبيعية، أو ليس لها معرفة بذلك في المجتمعات العالمية.

و ينبغي النظر الى أيّ حدٍّ و مستوى يبتنى فيه النظام الحقوقي، و منها العقوبات و المجازات و الاحكام الاعتبارية الصادرة في ظلّ القوانين الطبيعية، أو المستوحاة منها. لقد عرفّ الانسان في المذهب الحقوقي الاسلامي في الحقيقة على خلاف المذهب الثبوتي الحقوقي، في هرم الحالات الغير طبيعية و الحقوقية الشاذة، كما إننا نسير بأى ميزان و حدٍّ من قمة الهرم و أعلاه، ثم نطلق باتجاه قواعده، فان معاقبة المقصرين و المسيئين، ستتضاعف بسبب الأضرار الباهضة التي سيخلّفها في تلك المجتمعات، و لزوم

العمل بالوظيفة و المسؤولية. فلو انتشرت هذه الجرائم و تفشت في المجتمعات، فسيزداد حجم و أعداد وقوع الجرائم، و يتضاعف و يتفشى بنفس تلك النسبة أيضاً. و لو لم تعاقب القوانين الموضوعة للخاطئين و المقصرين و المتخلفين، فإن المرحلة الطبيعية للكون و الخلقة هى التى ستلاحق المجرمين، فتوقع بهم الأذى لتحقيق العدل.

و ربما تكون هذه الحركة هادئة و بطيئة، و متتابعة فى سيرها، إلا أنها غير مهمة و لا متروكة أو منفصلة. و هذا القانون هو فى الواقع مستبطن فى قلب الحدث من هذا العالم. فالاعتقاد الدينى هو: أن الله تعالى كان قد وعد و ضمن تحقيقه و تطبيقه على الأرض، و قد ورد هذا المعنى فى آيات عديدة من القرآن الكريم، فى إطار السنن الكونية و الالهية الثابتة و الحتمية، مثل قول الله سبحانه و تعالى: «سنة الله فى الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلاً»^{٥٦}. و قال تعالى أيضاً: «سنة الله التى قد خلت من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلاً»^{٥٧}، و قال عز و جل أيضاً: «سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا و لا تجد لسنةنا تحويلاً»^{٥٨}.

إن فكرة و موضوع «العدل» الذى سيحققه موعود آخر الزمان هو تابع لمنطق القوانين الطبيعية. فعلى ضوء القرآن الكريم، سوف يتمشى العدل مع مستقبل البشرية و الاجيال القادمة، و سيرافق إحقاق حقوق الفقراء و المستضعفين، فكذلك المسير الطبيعى و الحقيقى لمجريات الأمور فى تحقيق شعارات و مبادئ الفكر المهدوى.

قال الله تعالى: «و نريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين»^{٥٩}. فلا يقوم الأنبياء بأفعال خارقة هى أعلى من نطاق القوانين الطبيعية، أو خارجة عن قابليات الطبيعة البشرية، بل كان فيها رعاية النطاقات فى نفسها، و احترام القوانين و السنن الكونية و الالهية. قال سبحانه تعالى: «ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدراً

لقد كان قانون التكوين هذا موجوداً من قبل في المجتمعات و الأمم السالفة. و يستوحى من مطالعة و دراسة الحالات الشائعة و البارزة في الأمم السالفة و الشعوب الماضية و مصير الحكومات: أن الظلم لا يدوم، و لن يدوم، و لا يخلد، لأن سيطرة الظلم هو أمر غير طبيعي.

قال الله تعالى واصفاً هذه الظاهرة: «أ و لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم و كانوا أشد منهم قوة و ما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات و لا في الأرض إنه كان عليماً قديراً»^{٦١}، و قال أيضاً: «استكباراً في الأرض و مكر السيئ و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلاً و لن تجد لسنة الله تحولاً»^{٦٢}.

و من ناحية أخرى: لو عاقب الله تعالى المذنبين المسيئين خارج المسير الطبيعي لقوانين الكون و الخلقة، فستكون فلسفة الخلقة أقلّ فهماً و استيعاباً، كما ورد هذا المعنى في آيات كثيرة من القرآن الكريم، قال سبحانه و تعالى: «و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة و لكن يؤخّرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً»^{٦٣}.

نهايات لأساس لها في عصر الحداثة:

لقد خلقت البشرية في عصر التطور بعض المفاهيم و المصطلحات، مثل: الله، و ما وراء الطبيعة، و القيم و المبادئ و المعاني السامية، و المذهب، و عدّه أمراً شخصياً و فردياً، لكنها غفلت عن ردودها و انعكاساتها الاجتماعية. و لكي تعوّض عن هذه الغفلة، استبدلت أنظمة مشابهة مدنية بدلاً عن الأنظمة الدينية، ف وقعت في شرك هذا الحوار،

لحسن الصدفة أو سؤئها، بعد أن حاولت أن تفرّ من الوقوع في هذا الفخ. قال «انتوني كيدنز» في كتابه «نتائج التطور»: تتبع المؤسسات و الأنظمة المدنية لأصل كيان الاعتماد و الثقة المتبادلة. و يبتنى اعتماد لزوم الاعتقاد و الثقة على ثلاثة عناصر ضرورية أخرى هي:

أولاً: الاعتقاد بالصحة و الاعتبار. و كذلك الايمان بمطلوبية أهداف تبحث عنها هذه المؤسسات.

ثانياً: التصديق و الايمان بفكرة أن هذه المؤسسات كانت قد شقّت لها طريقاً و صراطاً واحداً مستقيماً و مباشراً للوصول الى الأهداف المرسومة في مسيرتها إلى الأمام. ثالثاً: الاعتقاد الراسخ بهذه المقولة و هي: أن مسئولى هذه المؤسسات و المعنيين بها في المجتمعات من الناحية الفنية و الانسانية مبرؤون عن أى خلل و عيب أو نقص، و هم معصومون^{٦٤}. و قد طبقت هذه الأصول الثلاثة بين فترة و أخرى على كافة المجتمعات المتطورة في الربع الأخير من القرن العشرين، إلا أن «بير بورديو» لا يرى أى من الأصول الثلاثة العلمانية خالية عن العيب أو النقص، و هي سبب في إيجاد حالة من الثقة و الاطمئنان و نوع من التوازن، معتقداً بأن التزلزل في كل من الاركاب الثلاثة و عدم الثبات موجود و ظاهر للعيان^{٦٥}، لأن المجتمع الذى يرتضى فيه المواطن حق من يحمل شهادة الماجستير بأقل المعيشة و المؤونة، مواجهاً لكثير من المشاكل و المعاناة، و الطبيب الذى يماطل على درأ حق الانتحار و يراهن عليه، فليس هناك أى حديث عن الاعتقاد المستتبع للهدف، و لا معنى للنظام الاجتماعى هنا.

و الأمر الثانى هنا هو مفهوم التوحد، و عدم وجود الرقيب و المنافس، أو القطب الواحد، لئلا يحدث فيه التزلزل و عدم الثبات و الاستقرار.

و من خلال مشاهدة قضايا التعليم و البيئة اللذان هما ركنان أساسيان في المجتمع،

فانهما يدعمان توسيع الرقابة في البعدين الداخليين بالتركيز على تبليغ وأنشطة المراكز التعليمية و المستشفيات المقبولة، و في البعد الخارجى: التأكيد على المراكز الخصوصية ذوى الدعم التعليمى و الصحى.

و يظهر هنا بوضوح حالات الانفصام في المعنى و المبدأ في العنصر الثانى للحدثاءة. و في المرحلة الثالثة: فمن خلال الاعتراف بحق الوالدين و تقدمه على موارد عديدة كاختلاف النظر الطبى و الصحى، و التقدم الفردى على أصل حق الحياة. وستعطى المؤسسة الخاصة في المجتمع هذه النتائج و هى: أن عنصر الحدثاءة عمل على نقض حق عصمة المجتمع. و أخيراً، فان العناصر الثلاثة المذكورة سابقاً هى: أولاً: عدم اعتبار التمحوذ الذاتى و الحالة الانحصارية في فكر المؤسسة بكافة خصائصه.

ثانياً: استبدال الفرد بدل المؤسسة في مرحلة اتخاذ القرارات المستبطنة في المجتمع. و من هذه الناحية، فان النظرة في المنهج الفردى الغربى في مسئلة الجزاء، و إصدار القرار و الحكم النهائى في حق شخص معين، كصور حكم بوجوب قتل إنسان برىء بدل القاتل الأصلى، و وصف القاتل بكونه صاحب الصفات الانسانية؛ بدل المقتول؛ و ادعاء القاتل بأنه مستحق للكرامة الذاتية و الانسانية، و في النتيجة: اعتقاد القاتل بأن له الحق في استمراره في الحياة! هذا من جهة، و من جهة أخرى: فان الشخص المقتول يتسم بهذه الصفات و الخصائص أيضاً، مضافاً الى أن القاتل لم يكن ليمثل نفسه، حتى يسقط بعمده و تقصيره عن الانسانية!.

إن إلقاء نظرة سطحية و أولية على مسألة حقوق الانسان في الغرب، يجعلنا نتصور أن حقوق الانسان هى مسئلة فردية و شخصية. و غض الطرف عن الانسانية و الكرامة للفرد المقتول، سيؤول الى دعم و حماية الحقوق الفردية في الدفاع عن النفس.

و من هذا المنطلق، فإن من الطبيعي جداً: أن تصبح المصالح العامة و يستتبعها الحقوق العامة ضحية للحقوق الفردية. و هناك شبهات جادة في أساس ذلك بعد ارتكاب الجريمة. لذا، ينبغي الاعتقاد بأن فشل الحوارات البديلة عن أسلوب الدين في المجالات العامة في عصر الحداثة هو من أهم دلائل نزل و زعزعة المباني و المعتقدات. و تعود كافة هذه التناقضات و التضاربات الى قراءة الغرب عن الدين، الذي أصبح بإرادة أو غير إرادة جزءاً لا يتجزأ من تشكيل الثقافة أو الهوية الانسانية الغربية.^{٦٦} و في الوقت نفسه، لا ينحصر المنطق الاسلامي في هذا التفكير المملوء بالتناقض الغربي، ليكون حاكماً و مسيطراً على العالم، و لم توضع أساليب و حلول لذلك، و ليس أمام العقل في عصر الحداثة أسلوب و طريق آخر سوى تخريب الحوار السابق. و لكن أى حوار ثابت و شامل لعقل النبي في عصر الحداثة؟ فهذا مما لم يسلم به بنفسه.

و على كل حال، ينبغي القول في وصف حالة التعقل في عصر الحداثة، بأنه ليس معالج، بل يستند كآلة و وسيلة لتخفيف الأوجاع و تهدئة الآلام الناجمة عنها، فهو -أى العقل- يعلم الماضي جيداً، و مطلع عليه تماماً، ولكنه يائس قنوطاً نحو المستقبل، و متعب مرهق من الخصام و الجدال. و مع هذا، لم يعثر على إجابات مقنعة في تفسيره كثيراً من الظواهر و الأحداث، و بقي يفكر في أن كثيراً من القضايا و المسائل بقيت دون إجابات و تفسير.

و من هذا المنطلق، لا تفاوت بين مرحلة عصر التطور و مرحلة عصر الحداثة، لأن ما عثر عليه لم يكن صحيحاً.

و عبر هذا المنطق: وجهت انتقادات شديدة و كثيرة نحو مرحلة عصر الحداثة. فلو كان منهج تعدد القراءات هو منطق نظري مقبول لمرحلة عصر الحداثة، فإن الحوار العام و الشامل، و الحالات الكلاسيكية و التقليدية، و حالات عصر التطور و عصر الحداثة،

ينبغي أن تضمّ ميزاناً عالياً من الحق. على أن الحوارات للمجموعات الثلاثة هي في عرض أحدهما للآخر وليس في طولها.

و من جهة أخرى: يعدّ منهج عصر الحداثة متقدماً كثيراً على الافكار السابقة، لأنهم على الأقل يعلمون بأنهم لا يعلمون أكثر مما مضى، وهذا هو جهل مركب، بمعنى أنه توصّل قبل الماضين الى عمق بحر العجز الانساني، وأنه يمضي بسرعة فاتكة أكثر من الماضين في موازاة صنع حالات الجهل البشري. فما دامت البشرية غارقة في مستنقع الدهشة و الحيرة الخطير، ينبغي أن يتواجد النبي كضرورة صالحة و حاجة ماسة في المجتمعات العالمية، لينقذها من الحيرة و الدهشة و الضياع.

نتائج البحث:

كلما ازداد الحديث عن ظاهرة ما بحق كانت أو باطل، فان الحاجة ستظهر بنفس المستوى لذلك، أو تفضي عدم الحاجة الى هذه الظاهرة، و ستمهد و تدعو الى إيجاد موجة اجتماعية أيضاً، حيث يتم فيها دراسة و تحليل حوار المهدوية، كما ظهر في هذا المقال، من خلال رسم الاجواء الاجتماعية للانسان المعاصر في هذا الاعتقاد.

إن افتقاد الفكر الاصيل و نماذج التأسى و الاقتداء كان سبباً في حيرة البشرية المعاصرة و ضياعها و دهشتها. و هو يعتقد في الوقت الحاضر بكافة القضايا السماوية و الأرضية، الخرافية و الأصيلة، الدينية، و الجسدية، و العقلية و الروحية و الفكرية، و... و لكنه لم يقنع بكل ذلك، و لا يقين له بها، و بقي هذا الانسان المعاصر يعاني من عدم وجود ملاكات و موازين في الحياة، فهو يحترم كل شاخص و ملاك.

إلا أن أكبر خطأ ارتكبته البشرية و جنتها على نفسها في عصر الحداثة هو أنها بدل التأمل المدروس و البرمجة و التخطيط الأساسي، أصيبت بوعكة و دهشة و ذهول في منتصف الطريق، و ضلت في متاهات الكسل و الفشل الفكري لأسباب عديدة، منها:

استحيائها و خجلها مما منيت به من فشل ذريع في ماضيها في عصر التطور، و اعتقادها أن منهج التشكيك و التكثير هو أمر مقبول، و أن فهمها يعجز عن كشف الحقائق. فالنبوة لازمة و ضرورية لمرحلة برزخ الحياة البشرية لتعرفه جوهر وجوده الكامن فيها.

إن تمهيد النظرة لإزالة سوء الفهم السابق يكون في حسن الاستفادة الصحيحة و المناسبة، فيعثر على هذا الرسول في مذهب تلاقي و تعاطف النبي الباطني و هو العقل مع النبي الخارجي المبعوث من السماء، و يتم الاعتراف بهويتهما معاً، أى الدين الذى هو ليس قديم، و لا ولادة دين جديد، فالدين الخالد هو الذى عقد القران مع نظرة الطبيعة و رؤية الانسانية. فمادام كل من العقل و القلب دليلان لهداية البشرية، فستخطو البشرية خطوات باتجاهات عديدة لتمضى في مسير القوانين الطبيعية للحياة. فاذا حصلت الموازنة في المجتمع أيضاً، فسيشعر المواطن بنشوة السعادة ليصل الى ذروتها. أما إذا استغل الانسان، و أسىء اليه في بعده الوجودى لمنفعة الآخر و إقصائه عن دوره الحقيقى، كما لو أثقل جزء من المجتمع كاهل الآخر و عبئه، و حمّله أكثر من طاقته، و استغلّه في أمور أخرى، فسينهار كيان الموازنة و التعادل معاً. و في هذه الظروف، و قبل أى فترة أخرى، ينبغي انتظار العودة الطبيعية للتعادل، و العدالة الطبيعية، و ستتحقق فكرة المنجى و المخلص في آخر الزمان بتخطيط و إرادة إلهية مسبقة.

أما الحياة الانسانية، فلا يمكن تحميلها و فرضها على البيئة و المحيط الانسانى خارج دائرة القواعد الطبيعية.

و بهذا النحو، لا يغلب حوار المهدوية أيضاً بدون فلسفة. و لهذا فان العصر المعروف بعصر الحداثة، يمكن استثماره و الاستعانة به قبل آخر أدوار تاريخ الحياة البشرية، من خلال عرض الفكر المهدوى و أطروحته التكاملية.

الهوامش

١. «فلن تجد لسنن الله تبديلا و لن تجد لسنن الله تحويلا» (سورة فاطر، الآية ٤٣).
٢. انظر: استفنكتز، كيف نتعلم منهج الحدائة، تضييق الازمات، العدد ١٥.
٣. انظر: محمد سعيد حنائى الكاشانى، «هايدغر، الانسان، الوجود» مجلة ارغنون الفصلية، العدد ١١ و ١٢، ص ٥٠.
4. MAFFESOLI (Michel), reenchantment du monde, in Sciences de l'Homme & Societes, dec. 2004/jan. 2005, N 73, p. 14.
5. Nicolas de Cuse
6. MAFFESOLI (Michel), Sur la Post-modernite, Center detudes sur l'actuel et le quotidien-Sorbonne, Paris V, 2000.
7. WEBER (Max), [Protestantisme et capitalsme], Armand Colin, 1970.
8. ATTALI (jacques), {Les Juifs, le monde et l'argent}, Fayard, Paris, janvier 2002.
٩. يعتبر المنهج الهندوسى و البوذى فى الغرب فى عصرنا الراهن من جهة، و العلمانية و التمحوذ الذاق و المنهج الفردى من جهة أخرى أحد المباني العرفانية بعد عصر الحدائة. انظر «حميد رضا مظاهرى سيف»، نقد عرفان عصر الحدائة، صحيفة كيهان، الثلاثاء، ٨ آذر، ١٣٨٤ - ش ١٨٣٩٣.
10. Religious Marketing / Marche religieux.
11. Religious Goods / Biens religieux.
١٢. مفهوم «عزل الاعجاز عن العلم (Entzauberung der Welt) نشأ من هنا، فالمفهوم الذى استعاره «وير» عن الشاعر الألمانى «شيلر» عبّر عنه بمعنى «إخراج السحر و الشعبة عن الاشياء». فهو ليس مأوى الانسان الآخر فى ذلك البستان السحرى الكبير.
13. La sortie la religion.
14. La disenchantment du monde.
15. GAUCHET (Marcel), Le disenchantemnt du monde, Une histoire religieuse politique, Paris: Gallimard, 1985, 307 p.
16. MAFFESOLI (Michel), Reenchantment du monde, in Sciences de l'Homme & Societes, dec. 2004/jan. 2005, N 73, p. 14.
17. Liberation theology.
18. Minjung theology.
19. Homeland theology.
20. Theology of straggle.
٢١. انظر: دانييل جى آدمز، «إلهيات منهج الحدائة»، ترجمة السيد عبدالمجيد الطباطبائى، مجلة أفق الحوزة، العدد ١٧١.
22. Augste comte (Isidore Marie Auguste Francois Xavier Comte) (1798-1857).
23. Walter DUSSAUZE, Essai sur la religion d'apres Auguste Comte, preface

- d'Angele Kremer-Marietti, L'Harmattan, 2007, G. CHABERT, Un nouveau pouvoir spirituel. Auguste Comte et la religion scientifique, Presses Universitaires de Caen. 2004.
24. Max WEBER (1864-1920)
٢٥. اعتقد وير أن الانسان الذي يجد موقعه و وجهته في هذا العالم و العالم الآخر، و يشعر بالأمن و الرخاء، لا حاجة له الى المدح و الثناء، أو تحضير الأرواح، ثم لا داعى الى إثباته ببعض الشعائر و الطقوس العبادية و المناسك الدينية، والاتصاف بسمه الصلاح و التقوى، و سيفقد الاحساس و الشعور بحضور المشيئة الالهية في حياته.
26. STARK Rodney & BAINBRIDGE William S., A theory of Religion, New York, Peter Lang, 1987.
27. Rational Choice.
28. BRUCE Stevre, "Pluralism and Religions Vitality", in S. Bruce (ed.) Religion and Modernization, pp. 170-194. Oxford University Press, 1992.
29. BRUCE Steve, Choice and Religion; A Critique of Rational Choice, Oxford University Press, 1999.
30. ISSR, Social compadd, Sages publications, Volume 53, number 1, March 2006, pp 5-49.
31. Sionistes chretiens
32. ATTALI Jacques, Les Juifs, le monde et l'argent, Paris: Fayard, 15 janvier 2002.
33. BENCHEIKH (Ghaleb), [Alors, c'est quoi l'Islam?], Paris, Presses de la Renaissance, octobre 2001.
٣٤. محمد جواد جاويد، «دراسة و تحليل موانع التوسعة السياسية في إيران»، صحيفة القدس، الأحد، ٥ أذر ١٣٨٥.
35. 1 Co 1: 20-27: [Ou est-il, le sage ? Ou est-il l'homme cultive ? Ou est-il, le raisonneur de ce siecle ? Dieu n'a-t-il pas frappe de folie la sagesse du monde ?].
36. LICHTENBERG Georg Christoph (Ober-Ramstadt, Darmstadt, 1742 – Gottingen, 1799).
- وقد كان متأثراً بأفكار فرويد أيضاً.
37. RUSS J., Les chemins de la pensee, Paris: Bordas, pp 163.
38. HUNTINGTON smuel Phillips, The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order ; The Clash of civilizations?, article du Foreign Affairs, Summer 1993, v72, n3.
39. Jean-Claude RUANO-BORBALAN, La fin des religions ? in, L'univers de la religion, Mensuel N 34, Decembre 1993 ; [http:// WWW.scienceshumaines. Com/l-univers-de-la-religion _ fr _ 127. htm](http://WWW.scienceshumaines.Com/l-univers-de-la-religion_fr_127.htm).
40. Durkheim.
41. Cf. GAUCHET (Marcel), Lareligion dans la democratie. Parcours de la laicite, Gallimard, Paris, 1998, pp. 75-85, 107.
42. GAUCHET (Marcel), op., cit., 307p.
43. HERVIEU-LEGER (Daniele, Expose de), Conference-debat a l'Ecole normale catholique, le 23 avril 1997.

44. Ibid.
45. Jean Bauberot.
46. Cf. Elsa DORLIN, L'evidence de l'egalite des sexes, une philosophie oubliee du XVIIe siecle, L'Harmattmn 2000.
47. 18 septembre 1981 (Assemblée nationale en 2e lecture).
48. Chtistine FAURE, La democratie sans les femmes, essai sur le liberalisme en France. PUF 1985.
٤٩. روى في الحديث النبوي الشريف أنه ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة.» (احياء العلوم، ج ٣، ص ١٣).
٥٠. روى في الحديث النبوي الشريف أنه ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة.» (احياء العلوم، ج ٣، ص ١٣).
٥١. انظر: لوى برول، مسائل علم الاجتماع الجزائية في حقوق علم الاجتماع، ترجمة مصطفى رحيمي، ص ١٩ - ٢٠، انتشارات أمير كبير، طهران ١٣٥٨.
٥٢. مرتضى المطهرى، حول الثورة الاسلامية، ص ١٥٣ - ١٥٤، الطبعة التاسعة: انتشارات صدرا، ١٣٧٢.
٥٣. سورة الرعد: الآية ١١.
٥٤. انظر: عبدالله جوادى آملی، ولاية الفقيه؛ ولاية الفقاهة و العدالة، ص ٨٠ - ٨٤، نشر الاسراء، ١٣٧٩.
٥٥. يعاقب المسيء الى الوالدين مثلاً في هذا العالم الدنيوى، وخاصة إذا وصلت هذه الجريمة الى حد ارتكاب قتل الوالدين ! فستضاعف عقوبته وإن كان الأب والأم كافرين أو فاسقين. فانه لا يبقى من دون عقوبة أو جزاء. «روى أن المنتصر العباسى قتل أباه المتوكل، فقتل بعد مدة قصيرة، رغم أن المتوكل كان رجلاً خبيثاً و قدراً». (انظر: مرتضى المطهرى، العدل الالهى، ص ٢٠٥، صدرا، ١٣٧٢؛ بحار الانوار، ج ١٠، ص ٢٩٦، مطبعة آخوندی).
٥٦. قال على عليه السلام واصفاً الاحسان وانعكاساته على المجتمع، و إيصال الخدمة الى الناس، وإغاثتهم في هذا العالم الدنيوى: «لا يزهديك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشركك عليه من لا يستمتع بشيء منه، و قد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر، والله يحب المحسنين» (نهج البلاغة، الحكمة ١٩٥).
٥٧. قال المولوى حول العمل و ثماره و نتائجه ما مضمونه:
- إن هذا العالم جبل، و فعلنا نداء. يصطدم صوتنا بالجبل، فيعود الينا من جديد.
- وقبل حول المكافأة الطبيعية:
- شاهدت بأم عيني عند المعبر، تخليق طائر جاء ليلتقط روح ثملة، و بينما هو محلق في الطريق، و قبل أن يصطادها بمنقاره، إذ أقبل طائر آخر أعظم منه، قد جاء محلقاً أيضاً، فقضى على هذا الطائر، فاذا عملت سوء

فلا تأمن من غدرة و بوائقه، لأن الطبيعة أقسمت و أوجبت على نفسها بمعاقبته.

٥٨. سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

٥٩. سورة الفتح، الآية ٢٣.

٦٠. سورة الاسراء، الآية ٧٧.

٦١. سورة القصص، الآية ٥.

٦٢. سورة الاحزاب، الآية ٣٨.

٦٣. سورة فاطر، الآية ٤٤.

٦٤. سورة فاطر، الآية ٤٣.

٦٥. سورة فاطر، الآية ٤٥.

66. GIDDENS A, Les consequences de la modemite, Paris, Harmattan, 1994.

التجربة السياسية في إيران والأفق المهدوي الموعود دراسة فلسفية سياسية

عبد اللاوي محمد

مقدمة

قد كشف تخطيط المهدويات المتعلمة في هذا العصر عند مدى التدهور الذى لحق بالسياسة وهذه الظاهرة ليست خاصة بالمهدويات المتعلمة بل هى تشمل كذلك المهدويات الدينية اليهودية (الصهيونية) والمسيحية (المتصهينة) بسبب غياب المرجعية الصحيحة نتيجة لتحريف الكتب السماوية.

فهذه المهدويات الدينية والمتعلمة هى كلها من صنع الأساطير، فالأساطير سواء كانت دينية أو نتيجة لعقلانية تكفى نفسها بنفسها، هى المؤسسة للمستقبل وليست الكتب السماوية أو الدراسة العلمية للتاريخ لاستكشاف المستقبل، فالمستقبل فى أفق

هذه المهدويات هو مستقبل مصطنع لكيانات مصطنعة، فالمهدويات الدينية والمهدويات المتعلمة اندمجت في مشروع استعماري وأصبحت مجرد تحديث في أحسن الأحوال أى تحديثاً قاهراً للشعوب.

في هذا السياق تتجلى حقيقة التجربة السياسية في إيران، فالوجود "الامبريقى" للدولة أى ميدان ممارستها أو حاضرها لا يستغرق حقيقتها لأنها دولة التطلع إلى الظهور أى إلى نموذجية الدولة الكونية أى الدولة المثالية، فعلى هذا الأساس العقائدى تتخذ التجربة السياسية في إيران موقف التطلع وتجاوز العوائق، فهى تتحرك من "الوجود" إلى الصيرورة" أى من ما هو كائن إلى ما يجب أن يكون، ومعنى هذا أنه من الضروري البحث عن أدوات الفهم والتحليل للدولة في إيران خارج بديهيات الفلسفة السياسية الغربية والرؤية الفلسفية إلى التاريخ التى تركز عليها، فلا يمكن استخدام أدوات الفلسفة الغربية كفلسفة هيغل وماركس وغيرها إلا من موقع نقد هذه المفاهيم وتجاوزها.

إن علاقة الدولة بالظهور تضع التجربة السياسية في الزمان وفي حركة التاريخ. إلا أن هذه التجربة لا يمكن فهمها من خلال الفلسفة الهيجلية التى تدمج المعقول في الواقع "كل واقعى معقول وكل معقول واقعى".^١

فواقع التجربة ليس معقولاً لأنه ليس إلا مرحلة سيتم تجاوزها في أفق نموذجية الدولة الكونية المنتظرة. فالتجربة السياسية توجد في التاريخ وتتحرك عبر مراحل إلا أنها لا تجسد حقيقة السياسة وحقيقة الدولة الإسلامية إلا على أساس علاقة ما هو نسبي بما هو مطلق. أى على أساس علاقة الاجتهاد بالنص وبالعصمة وعلاقة ولاية الفقيه بالإمام المهدى عليه السلام فحركة التاريخ هى الطريق المؤدى إلى الظهور، لكن هذه الحركة تتم على أساس مسؤولية الإنسان التى تجسدها التجربة السياسية اليوم في إيران.

أى تتجسد في تعامل الجمهورية الإسلامية مع الواقع المحسوس ومع القضايا بكل تعقداتها انطلاقاً من مجتمع أشخاص وذوات واعية لا انطلاقاً من مجتمع ككل عملاق وكتلة صماء، فإيران هي في هذا العصر ميدان لممارسة وتنظير رؤية سياسية جديدة في أفق رؤية مستقبلية جديدة.

فلسفة التجربة السياسية في الأفق المهدوي:

غير أن هناك من يرى بأن الحكومة الإسلامية في إيران هي حكومة لا تقوم على أساس نظرية سياسية أو مذهب فلسفي سياسي،^٢ مثلاً في المجال الاقتصادي والسياسي ومجال حقوق الإنسان والعلاقات الدولية، ومعنى هذا وحسب هذا النقد للحكومة تمارس عملها السياسي بصورة فوضوية وفي إطار ردود الفعل.

هذا الموقف غير صحيح فولاية الفقيه تجسد العقل الإسلامي الذي لا يقوم على ردود الفعل الجزئية تجاه الأحداث. أى لا ينطلق من رؤية جزئية إلى الواقع والأحداث والتاريخ. فحقيقة العقل الإسلامي كما تجسدها ولاية الفقيه هي حقيقة اجتهادية أي تنظيرية تنطلق من رؤية كلية لا تنفى الجزئى ولا تنفى الواقع لتحلق فوق التاريخ، فالأسس النظرية للتجربة السياسية في إيران حاضرة، إلا أنها أسس نظرية لها خصوصيتها لأنها تختلف عن "النظرية" و"الأسس النظرية" التي تقوم عليها الأنظمة السياسية في العالم. فماذا كان مصير هذه الأنظمة التي تقوم على النظرية وعلى النسق النظرى، فهذه الأنظمة انتهت إلى طريق مسدود. فهذه الأنظمة، خاصة النظام الليبرالى، لا تستمد إلا عن طريق استغلال الشعوب المتخلفة. فمهدويتها هي مهدوية شيطانية كما يرى نوام شومسكى،^٣ أما الأنظمة القائمة في العالم الإسلامى فهي أنظمة لا تقوم لا على نظرية ولا على مبادئ بل على الاستبداد. فالفكر غائب عن السياسة في هذه

الأنظمة. فكل ما هناك لجوء تلفيقي إلى عناصر الفكر السياسي الغربي لتبرير استمرارها كالديمقراطية والديمقراطية الشعبية وحقوق الإنسان والطبقات... فالثورة الإسلامية لم تكن لتقوم لولا النقلة النوعية التي أحدثها الإمام الخميني عليه السلام في مجال الفقه وفي مجال الفكر الإسلامي على العموم. فالإمام ركز كل اهتمامه على أصول الفقه وفتح الفقه على علم الكلام وعلى الفلسفة والعرفان. فتأسيس الدولة في إيران لم يتم على أساس فقه الفروع أى على أساس الفتاوى والحلول الجزئية للقضايا بل تم على أساس أصول الفقه ورؤية جديدة إلى الغيبة وإلى علاقة الأمة بالإمام المهدي عليه السلام وعلى أساس رؤية جديدة إلى ولاية الفقيه وعلاقتها بالسياسة وبحركة التاريخ. وعلى العموم إن مسار التجربة السياسية في إيران يقوم على فقه منفتح على علم الكلام وعلى الفلسفة وعلى العرفان ومنفتح على العلوم الإنسانية وفلسفة التاريخ. فالأفق المهدوي لهذه التجربة جعل المفكرين الإيرانيين يطرحون السياسة في إطار فلسفي إسلامي وفي سياق رؤية مستقبلية. أى يطرحون المشكلة السياسية على أساس رؤية فلسفية إلى التاريخ.^٤ لذلك لا يمكن فهم الحقيقة السياسية في إيران بدون رؤية فلسفية إلى التاريخ يؤسس لها فقه يقوم على أساس أصول الفقه لا على أساس فقه الفروع، فالثورة تم تفجيرها وقيادتها عن طريق الاتجاه الأصولي الذي فعل الفكر الإسلامي مع متطلبات العصر وثقافة العصر وعن طريق صياغة فكر سياسي إسلامي لتنظيم وتوجيه التجربة السياسية لدولة ما بعد الثورة. فولاية الفقيه استوعبت كل القيم السياسية كالحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية والتداول على السلطة استوعبت هذه القيم بصورة اجتهادية. أى عن طريق إعادة صياغتها حسب متطلبات الإسلام واهتمامات الأمة وحسب موقع إيران في الأفق المستقبلي.^٥ فالعقل المؤسس والموجه للتجربة السياسية في إيران (وهو عقل اجتهادي ملازم لولاية الفقيه) هو عقل في "وضع" أى في "حالة" وليس عقلا مجردا، عقل في وضع

بمعنى أنه يعالج قضايا راهنة في سياق حركة تاريخية، أى في سياق "غيبية" مفتوحة على مستقبل موعودا عقائديا لا مجرد مستقبل تمت صياغته فلسفيا وإيدولوجيا، ولأن هذا العقل اجتهادى أى في وضع فإنه عقل ذو طاقة استيعابية كبرى لعطاءات العصر في المجال السياسى، لذلك انفتحت التجربة السياسية في إيران عن الديمقراطية والتعددية وعلى كل المؤسسات الملازمة للقيم السياسية. لكن هذا الانفتاح لم يتم من موقع التوفيق بين الإسلام والفكر السياسى الغربى بل تم من موقع الاستيعاب النقدى لهذا الفكر، لأن الفكر السياسى الملازم للعقل الاجتهادى هو فكر سياسى مهدوى. أى هو فكر لا يمكن تصور وجوده بدون مشروع وبدون إستراتيجية كأداة لتحقيق هذا المشروع. والسلوك السياسى للجمهورية الإسلامية يدل منذ تأسيسها على ما نقول فقد تبنت الجمهورية الإسلامية القضية الفلسطينية والمقاومة في لبنان، وتبنت كل القضايا في مجال العلاقات الدولية على أساس الأفق المهدوى للعلاقة بين المستضعفين والمستنكرين ويمكن القول بأن العقل الاجتهادى حرر السياسة من الاستغراق في الراهنية وفي الواقع القائم، حررها في المحايثة التي قتلتها وقتلت الإيديولوجيا وقتلت التاريخ. فالتجربة السياسية في إيران هى من هذا المنظور تجربة سياسية مبدعة لأنها تجاوزت الحداثة بفضل انطلاقها من العقل الاجتهادى الذى يسعى إلى التغيير والتجديد لا إلى مجرد التحديث المرادف لمعنى التغريب. فحقيقة العقل الاجتهادى هى حقيقة نقدية وإبداعية لأن العلاقة العقائدية للتجربة السياسية بالمستقبل تحدد طبيعة صورة العقل وموقفه من الحاضر والأحداث. فعلى عكس العقل الغربى الملازم للحداثة فإن العقل الاجتهادى ينظر في المجال السياسى انطلاقا من التطلع إلى المستقبل الموعود. فهناك ثقة بالمستقبل عكس العقل الملازم للحداثة فإنه ينظر في المجال السياسى على أساس العلاقة بمستقبل مجهول وصلت إلى حالة من "الرعب من المستقبل". وقد أحدثت هذه العلاقة اختلالا في الرؤية السياسية

انتهت إلى التنظير لموت السياسة.^٦ فالعمل السياسي أصبح في الغرب عملاً لا يقوم على معايير ثابتة، فالسياسة تحولت إلى سياسة بالمعنى المتبدل. فالسياسة أصبحت لفا ودورانا وتغيراً للمواقف تبعاً للمصلحة واستغلال الآخر، ومن هنا المفاهيم الجديدة كمفهوم الشرق الأوسط الجديد. أو المفاهيم الجديدة كالديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات. كل هذه المفاهيم وظفها الغرب لخدمة مصالحه. فالديمقراطية وحقوق الإنسان أصبحت تجسيدا لمعايير مزدوجة لا لقيم ثابتة.

وهكذا فالرؤية المستقبلية تنعكس سلباً أو إيجاباً على الرؤية السياسية وتؤثر في صورة أو طبيعة النظام السياسي وصيغة تعامله مع المجتمع ومع الشعوب. وتتميز التجربة السياسية في إيران بعلاقتها العقائدية مع الأفق المهدوي الموعود وتفاعلها معه. فتركيبه النظام السياسي الذي تؤسس له هذه التجربة هي تركيبة تقوم على أساس النبوة والإمامة والمستقبل الموعود. والمحور الذي تدور حوله هذه التجربة وتفاعل معه تفاعلاً مرجعياً وقيادياً هو محور يتخذ موقعه في خط الإمامة من موقع النيابة: ولاية الفقيه.^٧ لذلك يتخذ النظام السياسي في إيران موقف التمهيد لعصر الظهور. فهذا الموقف هو الذي أسس للمواقف الثورية التي تميز بها النظام السياسي في إيران تجاه كل القضايا سواء كانت محلية أو إقليمية أو دولية، فكل مواقف الدولة الإيرانية تنطلق في سياق وفي أفق هذا البعد المهدوي. والفكر الموجه للدولة هو فكر ملازم لهذا البعد المهدوي إذ لا يمكن تسيير الجمهورية الإسلامية عن طريق فلسفة سياسية لا تتجاوز دائرة العقل الوضعي ولا تتجاوز دائرة التجربة بالمعنى الامبريقي للتجربة (الزعة التجريبية)، أي ربط الممارسة السياسية للجمهورية الإسلامية بمحدودية طريقة المحاولة والخطأ، وهنا تتجلى الحقيقة العقائدية والمعرفية والسياسية لولاية الفقيه وعلاقتها بالتجربة السياسية من موقع التنظير والتوجيه،^٨ فالاجتهاد الذي يقود هذه التجربة يجسد فكراً ورؤية سياسية

خارج الحداثة، فالحداثة فصلت بين الدولة والدين وأصبح هذا الفصل من البديهيات في حين أن الفكر الموجه للتجربة السياسية في إيران هو فكر مبنى على "التجاوز": تجاوز العقل لا نفيه، هذا التجاوز يتم انطلاقاً من الفقه الذى تتم إعادة صياغته في إطار أصول الفقه وفى أفق الانفتاح على علم الكلام والفلسفة والعرفان. لذلك لا يمكن فهم ما يجرى في إيران ولا يمكن فهم حقيقة الممارسة السياسية للدولة وحقيقة مواقفها دون ربط السياسة بالبعد الروحي، يقول كريستيان جانبي (Christian Jambet) في هذا السياق وفي تقديمه لكتاب: زمان بين الأزمنة لليلى أشغى: "... ترى الكاتبة بأنه لا يمكن فهم معقولة أحداث الثورة الإسلامية والوقائع السياسية دون الانطلاق من الميتافيزيقا".^٩

وتجدر الإشارة إلى أن العرفان لا يعطى أو يضيف الطاقة التجاوزية للشرعية بل يجسد هذه الطاقة ويعبر عنها. فالإمام الخميني كان دائماً يؤكد على علاقة التفاعل لا التنافر أو التناقض بين الشرعية والحقيقة. فاجتهاد الولي الفقيه الذى يقوم على هذه العلاقة التفاعلية بين الشرعية والحقيقة هو اجتهاد لا يعرف النهاية. أى هو اجتهاد ينتج فكر التجاوز. والتجربة السياسية التى يوجهها هذا الاجتهاد هى تجربة تؤسس لدولة المسافات البعيدة، فالتجربة السياسية فى الأفق المهدوى تقتضى هذا النظام المعرفى، فالنظام المعرفى الذى يتم فى إطار العقلانية الوضعية أو فى إطار النزعة التجريبية يتناقض مع التجربة السياسية فى إيران ولا يتمكن من فهمها، فهو نظام معرفى "محجوب" فالوجود السياسى الإيرانى هو وجود سياسى مهدوى. فالتجربة السياسية فى إيران اليوم تمهد لكونية ذات مصدر إلهى، تمهد لكونية تجسد مشروع كل الأنبياء ﷺ لذلك لا يمكن فهم هذه التجربة فى الإطار الضيق للسياسة بمعنى فن الممكن، فالسياسة فى إيران هى دائماً سياسة المواقف الكبرى، فكل الأحداث التى وقعت منذ قيام الثورة الإسلامية وكل مواقف الجمهورية الإسلامية تدل على ذلك: القضية الفلسطينية عزل بنى صدر،

قضية الرهائن، الحرب المفروضة وحروب الخليج، الحصار، الملف النووي والوقوف الحاسم واللامشروط مع المقاومة في لبنان وغزة. فالسياسة هنا تنطلق من الواقع، فهي ليست أحلام المدن الفاضلة، ولكنها تتجاوز "الممكن" لأنها تقوم على أساس "الواجب" فهي ليست وجوداً فحسب بل صيرورة كذلك. هذه هي الحقيقة المهدوية لسياسة النظام السياسي الإيراني في هذا العصر. فالتجربة تفكر بالمستقبل وتفكر المستقبل. ومعنى هذا أن الثورة الإسلامية ليست محدودة بزمانها، زمان تفجير الثورة، زمان الغليان العاطفي. فحقيقة الثورة الإسلامية وحقيقة الدولة المجسدة لها لا يمكن فهمها دون وضع الثورة في إطارها العقائدي وفي زمانها التاريخي ومكانها الجيوسياسي، فكل هذه الجوانب متفاعلة ومتكاملة. لقد جاءت الثورة الإسلامية في مرحلة تاريخية ظن مفكروها بأن كل شيء قد تم تنظيره بصورة نهائية: فلاشترائية ثورة نموذجية والديمقراطية الليبرالية تجسد المثل الأعلى في المجال السياسي والاقتصادي، وهيجل وماركس لا يمكن تجاوزهما في المجال السياسي. أما الميتافيزيقا (وجود الله ووجود العالم الآخر وخلود الروح) فقد انتهت باسم العلم وباسم العقل الوضعي فلا يمكن تجاوز كانط (Kant)، لكن لا يمكن تجاوز أ.كونت (A.Comt) كذلك فانتهت الفلسفة إلى إجابة غريبة على تساؤلات الإنسان: العدمية والعبث. وجاءت الثورة الإسلامية على أساس خلفية عقائدية تربط السياسة بالدين، أي على أساس عقل يتناقض مع عقل الأنوار لأن العقل المفجر للثورة وللدولة في إيران هو عقل منفتح على الغيب وينظر للثورة وللدولة من موقع انفتاحه على الغيب، فدخلت الأمة في مرحلة جديدة هي تفاعل الزمان التاريخي والزمان السياسي مع الزمان المهدوي،^{١٠} هذا التفاعل حول السياسة إلى سياسة مهدوية والفكر الإسلامي المعاصر إلى فكر مهدوي أي فكر النقد والتجاوز والتجديد خارج العقل الوضعي. فمن جملة عطاءات المهدوية في المجال الفكري والسياسي:

١. أن الإنسان لا يقف حيث يقف عقله، فمفهومها العدمية والعبث لا يشكلان إجابة على تساؤلات الإنسان بل يشكلان سؤالاً يقتضى الإجابة وفتح المجال للمعنى.
٢. أن الدولة في إيران تمارس عملها لتجسيد مشروع منفتح على مستقبل موعود من موقع اقتناع إيماني وليس مشروعاً تتم ممارسته في حاضر مغلق ليس أمامه إلا المجهول ورعب المستقبل، على غرار علاقة الشعوب الغربية وأنظمتها السياسية بالمستقبل.
٣. التجربة السياسية في إيران تتم ممارستها على أساس المعنى التعبدى للسياسة عكس الأنظمة السياسية الغربية التي تمارس السياسة في حاضر مغلق وفي جو عديم أدى إلى موت السياسة.
٤. الديمقراطية في الغرب تتم ممارستها في جو عديم حولها إلى ديمقراطية الفرع، هذه الصفة الجديدة للديمقراطية أصبحت موضوعاً متداولاً للبحث والتحليل في الفكر السياسى الغربى في هذه السنوات الأخيرة.^{١١}
٥. لقد طرحت التجربة السياسية في إيران رؤية جديدة إلى الديمقراطية على أساس دينى وشعبى يضع الديمقراطية في حركة تاريخية تسير نحو تجسيد مشروع كوفى، فإذا كانت الديمقراطية في الغرب لا مرجعية لها إلا الواقع الذى تعبر عنه الأغلبية فإن الديمقراطية في إيران ترتكز على مرجعية (الشعب والأغلبية) مرتبطة بما يتجاوزها (الأحكام والقيم الدينية).
٦. بذلك كانت هذه الديمقراطية ديمقراطية الآفاق، أى ديمقراطية تفعل العمل السياسى في أفق المستقبل أى في أفق المهدوية الموعودة.
٧. وهكذا يمكن القول بأن الثورة الإسلامية أسست عن طريق الدولة مرحلة مفصلية من مراحل الزمان المهدوى: مرحلة التمهيد للظهور.
- لقد استوعبت ولاية الفقيه في إيران مبدأ الإسلام دين ودنيا ودين ودولة استيعاباً من

موقع ربط التجربة السياسية بمتطلبات الدين على أساس شعبي وفي أفق مستقبلي يعطى للتجربة الهدف الذى يوجهها ويحفظها من الانحراف، بل ويحفظها من العياء والإحباط على اعتبار أن هذا الهدف ليس مجرد تخمين فكرى أو تنظير للمستقبل على غرار فلسفات التاريخ، بل هو هدف عقائدى.^{١٢} إن استيعاب ولاية الفقيه لمبدأ الإسلام دين ودولة على أساس شعبي ومهدوى أعاد الثقة إلى الشعب الإيراني وفعل طاقته الروحية والعاطفية تجاه الأمة ومصيرها. وهذا على عكس دولة "الزعيم" التى قتلت فى المسلم الحماس والتطلع. فدولة الزعيم ليست دولة بل هى مجرد قوة مهيمنة. وهكذا فقيادة التجربة السياسة تشخص طبيعة العلاقة مع الواقع ومع الأحداث ومع متطلبات المرحلة وتوضح الطريق الذى يؤدى إلى الظهور ويمهد له. فولاية الفقيه تفعل علاقة الأمة مع الهدف أى مع الأفق المهدوى عن طريق الدولة: دولة المؤسسات، العلاقة مع الأفق المهدوى تقتضى الحماس والغليان العاطفى والالتزام العقائدى الذى يتجاوز حدود قبول الفكرة أو النظرية والإيديولوجيا ومن هنا ضرورة شعبية النظام السياسى الذى يقود الأمة فى عصر الغيبة خاصة فى مرحلة التمهيد للضمور. إذ لا يمكن تصور نظام سياسى يربط الأمة بالمستقبل الموعود عن طريق نظام ثيوقراطى أو نظام أمنى يقوم على الحزب الواحد. لذلك كان النظام السياسى فى إيران نظاما دينيا شعبيا، طبيعة النظام السياسى متلازمة مع طبيعة المستقبل الموعود، فلا يمكن مثلا أن تكون دولة الانتظار وتفعيل الانتظار دولة اشتراكية أو رأسمالية، ولقد استفاد الإيرانيون من اللحظة التاريخية فتبنت ولاية الفقيه المفاهيم والقيم السياسية الغربية كالتداول على السلطة والتعددية والانتخاب والديمقراطية والجمهورية، تبنت هذه المفاهيم والقيم بعد نقدها وإعادة صياغتها حسب متطلبات الإسلام واهتمامات الأمة. فالزمان السياسى تحرك فى إيران حسب متطلبات الزمان المهدوى والزمان التاريخى. فولاية الفقيه لم تستغرقها اللحظة التاريخية حتى تسعى

إلى التوفيق المنفعل بين الإسلام والاشتراكية أو بين الإسلام والديمقراطية الليبرالية بل على العكس فإنها أبدعت رؤى جديدة في المجال السياسي من موقع النيابة القائمة على الاجتهاد. فقد حررت السياسة من الأزمة القاتلة، فمن التنظير الغربي لموت السياسة وديمقراطية الفراغ فتحت ولاية الفقيه السياسية على الغيب أى على الأفق الذى لا نهاية له وأسست لديمقراطية المعنى والفعل: الديمقراطية الدينية (الحكومة الدينية الشعبية) التى تقوم على مبدأ الأغلبية فى إطار الدين. أو بالتعبير الفلسفى فى إطار ما يتجاوز الأغلبية: تعالى أو الغيب. فالسياسة تقوم على التجاوز لأن الأفق المهدوى الذى تنفتح عليه هو أفق يتجاوز منطق حركة التاريخ دون ينفيها. لذلك تتميز السياسة فى إيران بطابع الثورية الجذرية التى تؤسس لتاريخ معاكس أى لحركة تاريخية ذات أفق مهدوى. وذلك فى عصر هيمنة لا مثيل لها فى تاريخ البشرية.

فالسياسة التى تمارسها الجمهورية الإسلامية ليست سياسة نظرها عقل يكفى نفسه بنفسه، بل تتم صياغتها فى أفق مهدوى ومن طرف عقل متفتح عن الغيب، أى منفتح على ما يتجاوز، فولاية الفقيه أسست لسياسة تقوم على تفاعل الشريعة مع الحقيقة^{١٣} فالإمام الخميني أعاد صياغة السياسة وأعاد صياغة العرفان^{١٤} وهذا ما فتح المجال فى إيران لممارسة وتنظير السياسة كعبادة ولتنظير جديد للعرفان فى علاقته التفاعلية مع السياسة. لذلك تتميز الدولة فى إيران عن كل دول العالم بأنها تمارس العمل السياسى على أساس التغيير لا على أساس التسيير وحده، فالمرجعية الدينية للسياسة وقيادة ولاية الفقيه والتلازم التفاعلى بين الشريعة والحقيقة وعلاقة السياسة بالعرفان كل ذلك أسس لرؤية جديدة إلى السياسة تتخذ فيها السياسة طابعا مهدويا أى طابع التطلع إلى المشروع الكونى لا التغيرات الجزئية والظرفية. فعلى أساس هذه الخلفية أسست الجمهورية الإسلامية فكرا مقاوما بدلا من الفكر الاستسلامى (تدعيم إيران للمقاومة

في فلسطين ولبنان وعلاقة سياسية مدعمة للشعوب والدول المستضعفة).

وهكذا أصبح الوجود الإيراني منذ الثورة الإسلامية وجود كونيا أى وجودا سياسيا بالمعنى التعبدى والمهدوى للسياسة، فمصير إيران هو مصير الأمة الإسلامية بل هو مصير البشرية كلها لأن السياسة هنا هى سياسة ذات أفق مستقبلى كونى، سياسة متفاعلة مع المستقبل الموعود لا يمكن استيعابها وفهم حقيقتها عن طريق نظرية نهاية التاريخ أو نظرية صدام الحضارات، ففى "قم" نهاية النهاية ونفى النفى الذى ينتج الإثبات، فقم انتصرت على نهاية التاريخ وعلى موت السياسة لأنها صاغت رؤية جديدة إلى السياسة تتفاعل مع رؤية جديدة إلى التاريخ أى مع رؤية جديدة إلى المستقبل لا يمكن أن تنسجم مع التاريخ القائم. أى لا تنسجم مع هذا العصر الذى فصل بصورة نهائية بين الدين والسياسة وغلق الحدود الكونية فى الغرب عن طريق نهاية التاريخ وأنهى زمان الثورات الكبرى وكل ثورة بموت السياسة، فلم يبق إلا التسيير: تسيير الواقع القائم. لكن الثورة الإسلامية قامت: وهى واقع والدولة الإسلامية تأسست: وهى واقع لذلك يحق لنا أن نؤكد بأن "كل واقعى معقول، وكل معقول واقعى" ولكن ليس فى أفق الجدلية الهيجيلية والماركسية، بل فى أفق "تاريخ معاكس" أى أفق الانتظار. فنحن هنا أمام رؤية جديدة إلى السياسة، فالسياسة ليست التمسك بالسلطة وليست مجرد تسيير، فالسياسة لا يتم تنظيرها عن طريق "الظاهر" الذى حولته الرؤية المتبدلة والمنحرفة إلى ظاهر محدود وساكن (فضحته غزة) بل عن طريق ظاهر متفاعل مع الباطن فى سياق علاقة تكاملية بين الشريعة والحقيقة، فهذه هى حقيقة العلاقة بين السياسة والعرفان فى اجتهاد ولاية الفقيه وهذه هى الحقيقة التعبدية والمهدوية للتجربة السياسية فى إيران اليوم.

وهذا ما أعطى للفكر الإسلامى المفجر للثورة المسافة تجاه الواقع والأحداث، وهى

مسافة مكنته من النظر إلى كل مهدويات الحداثة، وما بعد الحداثة من مهدوية هيجلية وماركسية أو مهدوية غربية أمريكية اليوم، على أنها مهدويات التشاؤم والهدم. فهي تؤسس لزمان بلا غد أى لزمان مغلق وهدم مطلق.^{١٥} فبنية الفكر الغربى لا تمكنه من فتح أفق جديد أمام الموت والنهايات: موت السياسة ونهاية التاريخ. فهو فكر لا يتجاوز "الإنسان كائن من أجل الموت" كما يقول سارتر، ولا يتجاوز مهدوية هيجل التى ترى فى الجدلية المعنى الوحيد لمواساة البشرية يقول. برنار هنرى ليفى فى هذا السياق: "إن كل ما يمكن قوله الآن هو أن زوال المعنى ليس مجرد فكرة مجردة أو فكرة تخص ذات الفرد بل هو واقع نعيشه فهناك عدمية فاعلة نعيشها اليوم"^{١٦} وهكذا فتغيب تعالى أدى إلى هيمنة المحايثة وغياب الآفاق. ففي إيران أرض الكونية التى تضرب بجذورها فى العمق العقائدى والتاريخى للأمة الإسلامية فجر حضور تعالى الثورة وأسس الدولة وكشف عن زيف مهدويات الجدلية والعدمية.

مهدوية الإيديولوجيا ومهدوية العقيدة:

وهكذا فالدولة المرتبطة بالمهدوية عاقائديا، أى الدولة العقائدية ليست كالدولة الإيديولوجية، يجب التحفظ فى استخدام المفاهيم لأن الإيديولوجيا غير العقيدة، فالإيديولوجيا من صنع الإنسان والتاريخ أما العقيدة فى المنظور الإسلامى فهي ذات مصدر فوق -تاريخى وفوق - إنسانى. لذلك فإن زمان الدولة الإسلامية فى إيران هو زمان التداخل والتفاعل بين الروحى والسياسى، خاصة وأن هذه الروحانية لها خصوصيتها، فهي ليست روحانية مريحة وتعويفية عن قساوة الواقع، فالروحانية هى روحانية جهادية، كما أن تفصل الروحى مع السياسى ليس متروكا لأى تأويل. فالتفصل يتم عن طريق ولاية الفقيه كناية واجتهاد. أى من خلال الفقه ذى الأفق

المهدوي في عصر الغيبة. فقيادة ولاية الفقيه والأفق المهدوي للدولة يحفظان الروحانية والعرفان الملازم لها من أن يتحوّلا إلى إيديولوجيا الانعزال عن الواقع والابتعاد عن حركة التاريخ. فالأمة من منظور ولاية الفقيه تخرج عن طريق الروحانية والعرفان من التاريخ الذي يهيمن عليه الأقوياء لتصنع تاريخا آخر: تاريخا معاكسا عن طريق التجربة السياسية ذات الأفق المهدوي، فإذا كان العرفان قد شكل خطرا على الكنيسة وأسس لإيديولوجيا الخروج من التاريخ فإنه في الثقافة الإسلامية التي أعادت صياغتها ولاية الفقيه قد فتح المجال أمام الاجتهاد للإبداع وتفجير الثورة وتأسيس الدولة.

لقد طرح عقل الأنوار مفهوم التقدم كبديل للمهدوية المسيحية فحلت المهدوية الإيديولوجية محل المهدوية العقائدية^{١٧} وعلى العكس من هذه الرؤية فإن الفكر المفجر أن للثورة والمؤسس للدولة في إيران تجاوز هذه الثنائية بين الدين وحركة التاريخ حيث الأفق المستقبلي هو أفق مهدوي لا يتناقض مع عقائدية الدولة وشعبيتها بل هما جانبان متلازمان ومتفاعلان. فالأفق المهدوي هو من العوامل والأسس الجوهرية في تفجير الثورة واستمرارية الدولة في خط الثورة، فالعلمنة هنا لا معنى لها لأن السياسة والتقدم والثورة وتأسيس الدولة على أسس دينية وشعبية: كل ذلك يستمد طاقته المعيارية والعاطفية والمفاهيمية من العقيدة الإسلامية. من علاقة الشعب الإيراني بالإمامة وبالأفق المهدوي من خلال قيادة ولاية الفقيه كنيابة لا كمجرد قيادة أو زعامة سياسية.

لقد أصبحت أكثر الشعوب لا يتشكل زمانها عن طريق دينها. ففي الغرب مثلا الزمان ليس زمانا مسيحيا وإلا بصورة شكلية ونفس الأمر بالنسبة للشعوب الأخرى تقريبا باستثناء الشعوب الإسلامية فإن زمانها يتشكل عن طريق الزمان الإسلامي مع العلم بأن إسلامية هذا الزمان قد تكون صورية في بعض جوانبها، إن لم نقل في أكثر جوانبها، لأن الأنظمة السياسية تسير في خط إيديولوجي لا في خط عقائدي أي

إسلامي، فزمان هذه الشعوب ليس زمانا إسلاميا إلا بصورة شكلية كالأعياد وغيرها، وهنا يستثنى في هذا العصر، الشعب الإيراني والدولة الإيرانية حيث أن علاقة الزمان السياسي بالإسلام أو الزمان الإسلامي، هي علاقة عقائدية وسياسية معا. أو هي علاقة سياسية في إطار عقائدي وليست مجرد علاقة سوسيولوجية في إطار إسلام سوسيولوجي.^{١٨} ويعبر عن هذه العلاقة بولاية الفقيه والحكومة الدينية الشعبية أي الجمهورية الإسلامية،^{١٩} فزمان الدولة الإيرانية هو زمان إسلامي وذلك أن الرجوع إلى الأصل أي الرجوع للعقائدي (لا الإيديولوجي التبريري) إلى النبوة عن طريق الإمامة والتطلع للعقائدي إلى المستقبل عن طريق الإمام الموعود، كل ذلك يختلف عن الإسلامات السوسيولوجية الملازمة للأنظمة السياسية في العالم الإسلامي وهي إسلامات تتناقض مع الإسلام العقائدي الذي تستبطنه الشعوب عن ثقة إيمانية وتتناقض مع الإسلام العقائدي الذي تمارسه التجربة السياسية في إيران عن طريق قيادة ولاية الفقيه، فإيران تعيش عن طريق ولاية الفقيه، في عمق الزمان المهدوي، فزمانها زمان إسلامي، فمهدوية الدولة الإيرانية هي المهدوية الوحيدة التي تتجاوز في هذا العصر الأفق الزماني الذي يهيمن عليه الحاضر، فكل المهدويات تخلت عن الآفاق التي تتجاوز ألقها المحدود بالعدم من جراء التخلي عن الألوهية وعن الغيب، لذلك تحولت هذه المهدويات إلى "مهدويات عكسية". فبدلا من التطلع إلى المستقبل رجعت إلى الماضي، إلى ماضي خيالي ومصطنع باسم العرق والقومية. لذلك تحولت إلى سياسة بالمعنى المتبدل. وهذا أدى إلى اعتبار "العقل الجيوسياسي" كعقل قائم بذاته ومهيمن على العلاقات الدولية والعلاقة بين الشعوب والثقافات. وقد انتهى الفكر السياسي الغربي والممارسة السياسية إلى التنظير لخطاب النهايات (نهاية التاريخ ونهاية الإيديولوجيا والسياسة ونهاية الصراع الطبقي)^{٢٠} وقد هيأت الكونية القائمة على القوارة لهذه الأزمة، أزمة النهايات في

هذه المرحلة التاريخية مرحلة النهايات طرحت الدولة الإسلامية في إيران قيما ومفاهيم سياسية جديدة تتجاوز الإيديولوجيات. لاشك أن الفكر الغربي حاول التنظير لقيم ومثل عليا "لما بعد الإيديولوجيا".^{٢١} غير أن هذا التنظير يفتقر إلى المرجعية التي تؤهله لقيادة حركة التاريخ وتوجيهها، فهذا التنظير هو بدوره نتاج هذه الحركة ولا يتمتع بالمسافة التي تعطيه سعة الأفق والقدرة على المبادرة والتوجيه، فالتنظير هنا أصبح مجرد إيديولوجيا ميتة داخل موت الإيديولوجيات، أى موت الرؤية المستقبلية أو المهدويات المتعلمة.

فلم يبق أمام الفكر العربي إلا اللف والدوران عن طريق استخدام مصطلحات المراوغة كالنطرف والإرهاب ودول الاعتدال. فهذه المفاهيم سقطت سياسيا وسقطت فكريا من حيث هي مفاهيم ملازمة للمواقف الاستعلائية للغرب، فدول العالم الإسلامي التي تسير في هذا المسار هي دول منفصلة عن شعوبها. في هذا السياق تتجلى قدرة الفكر الإسلامي المؤسس للدولة في إيران على التنظير لما بعد الإيديولوجيات وعلى التنظير لما بعد موت السياسية وموت الإيديولوجيا. وتعتبر الثورة الإسلامية بداية لمرحلة ما بعد الإيديولوجيا ولما بعد بعد الحداثة. فوجود دولة إسلامية عقائدية في إيران اليوم يدحض كل المهدويات الوضعية وكل مهدويات التقدم ومهدويات النهايات. فهذه المهدويات لم تكن تتصور بل لم تكن تتخيل قيام ثورة وتأسيس دولة على أساس ديني. في حين أن الأساس الديني هو الذى يعطى للفكر المؤسس والمسير للدولة في إيران القدرة على طرح البديل والتأسيس لمرحلة ما بعد موت السياسية وموت الإيديولوجيا.

وهكذا فالحقيقة المهدوية للدولة في إيران لا تكمن في تطلعها إلى عصر الظهور فحسب بل هذه الحقيقة المهدوية تكمن في مجرد وجود مثل هذه الدولة أولا ثم في

ممارستها ومواقفها ثانيا، فالثورة الإسلامية لم تؤسس دولة فحسب بل أسست لمرحلة تاريخية جديدة من مراحل عصر الغيبة هي مرحلة التمهيد لعصر الظهور. لذلك يمكن القول بأن الدولة الإيرانية هي دولة كونية في مرجعيتها وفي تطلعتها وفي ممارستها السياسية ومواقفها من القضايا الإقليمية والدولية.^{٢٢}

الجمهورية الإسلامية هي الدولة الوحيدة التي تمتلك مستقبلا في هذا العصر، عصر الأنظمة السياسية القومية والوطنية والفتوية أو عصر الدول الغربية الاستعلائية التي لا تتجاوز حدود المصالح. فالتركيبة العقائدية للجمهورية الإسلامية قد دفعت بالممارسة السياسية منذ قيام الثورة في مسار الدفاع عن القضايا الكبرى.

فإيران لا تدافع عن نفسها فحسب بل تدافع عن الأمة الإسلامية وعن الإنسانية كلها. إنها كشفت عن ضعف القوة... فبقدر ما تقترب الممارسة السياسية من الموقف الإسلامي بقدر ما تكون كونية وذات مستقبل موعود. فالزمان المهْدوى يجعل الوقت في غير صالح أعداء الجمهورية الإسلامية.

لذلك يمكن القول بأن السياسة في إيران قد تجاوزت، بفضل عقيدتها المهدوية، كل الفلسفات التي اتخذت صورة المهدوية التي لا يمكن تجاوزها. فالرؤية السياسية التي تقوم على أساسها الدولة الإيرانية قد تلتقي في بعض جوانبها ببعض الرؤى السياسية عند كبار الفلاسفة من أمثال هيجل وغيره، ولكن هذا الالتقاء يتم من موقع التجاوز والاستيعاب. فالجمهورية الإسلامية تحررت منذ تأسيسها من منطق ثنائية الاختيار بين الرؤى السياسية الغربية. فالسياسة لها معنى وهدف وليست مجرد أداة، فالسياسة تحقق الحرية لذلك أصبحت ملك للشعوب، أو يجب أن تكون ملكا للشعوب، غير أن الشعوب الغربية بمجرد أن تحولت الحرية إلى واقع يومي لم تعرف هذه الشعوب كيف تمارس الحرية لأن الرؤية السياسية المجسدة لهذه الحرية هي رؤية ناقصة بسبب غياب المعنى:

معنى الكون والإنسان. وبسبب غياب القيم الملزمة، وقد أدى هذا إلى العدمية: الإنسان حر ولكنه لا يعرف ماذا يفعل بالحرية في الواقع الحى الذى يعيشه.^{٢٣}

وهكذا فالفلسفة السياسية انتهت في هذا المسار العدمى إلى متناه عند نيتشه. وعلى عكس هذا المصير العدمى والعبثى للسياسة وللمهدوية المؤسسة لها، فإن السياسة الملازمة للمهدوية الإسلامية تجسد عن طريق الثورة والدولة في إيران، الحرية على أساس الصرامة المبدئية والصرامة العقلية. فالسياسة في إيران ليس ميدانها ما هو نهائى كما يرى هيجل. فالجمهورية الإسلامية تمارس السياسة (أو تحاول أن تمارسها) على أنها عبادة. فالنظام السياسى بقيادة ولاية الفقيه أسس لانتظار مبنى على السياسة كعامل أساسى وضرورى اتخذ معنى الواجب والعبادة. وهكذا فبدلاً من العدمية هناك المعقولة العقائدية للفعل السياسى الذى يتم في أفق مهدوى كونه يعمق المعنى ويعمق الطاقة التحريرية للسياسة، فلا وجود في هذا السياق لمنطق ثنائية الاختيار بين الرأسمالية والاشتراكية^{٢٤} أو بين هيجل ونيتشه. فالسياسة المهدوية ليست شرقية وليست غربية بل هى سياسة مهدوية عقائدية وكونية تتجاوز كل المهدويات ذات المرجعيات المحايثة. وهذه الرؤية قد طرحها الإمام الخميني^{رحمته الله} منذ بداية الثورة من خلال المبدأ الذى يتجاوز حدود الشعار، ويتخذ معنى المفهوم المؤسس لرؤية سياسية جديدة ولنظام سياسى جديد: "لا شرقية لا غربية، جمهورية إسلامية".

وهكذا فقد أخطأ المنظرون لنهاية الإيديولوجيا لأنهم لم يميزوا بين الإيديولوجيا لأنهم لم يميزوا بين الإيديولوجيا والعقيدة. فالتاريخ كشف في هذا العصر عن حقيقة مهدوية الإيديولوجيا حيث تبين بأن هذه الإيديولوجيات هى إيديولوجيات قاتلة والكونية الملازمة لها هى كونية قاتلة، فالإيديولوجيا تستمد وجودها من التاريخ كمرجعية مطلقة ومن هنا عجزها عن "تجاوز" الأحداث ورضوخها إلى ثقل التاريخ ومحايثته. وفي حين

أن العقيدة مصدرها فوق تاريخي فهي تعطى المسافة والمبادرة للإنسان تجاه حركة التاريخ. فمهدويتها هي مهدوية "التجاوز" والثورة والتغيير لامهدوية التبرير والموت والنهاية.

وتجدر الإشارة إلى أن الاجتهادات المنحرفة الملازمة للسلطات المنحرفة تحول العقيدة إلى مجرد إيديولوجيات. لكن الاجتهاد الحقيقي المبني على العلاقة التعبدية والعقلية بالنص، أي ولاية الفقيه، يوطر علاقة الفكر بالنص لكي لا تفقد العقيدة حقيقتها الإلهية وتفقد دورها في تغيير الأمة وتوجيهها نحو المستقبل الموعود.

لاشك أن هناك تغيرات كبرى وقعت على أسس إيديولوجية إلا أنها وقعت في اللامعنى لذلك فلا أفق لها على المدى التاريخي. فالطريق يبقى مسدودا أمام هذه التغيرات. فهناك انسداد لأن الفكر الغربي عاجز عن القيام بمراجعة نقدية وجذرية لبدهيته ومسلماته. فهناك انسداد إيديولوجي يمنع الفكر الغربي من اللحاق بالفكر المهدوي الذي فجر الثورة وأسس الدولة الإسلامية في إيران في هذا العصر.

فبالأنظمة السياسية الغربية مازالت تتخذ موقعها داخل "مهدوية" العقل الكوني كما نظره هيجل.^{٢٥} فالسياسة في هذا السياق هي سياسة تسحق الفرد وتذيبه في كل عملاق ومجهول هو المجتمع أو التاريخ أو الواقع المهيمن. فالمهدوية الهيجلية لا يمكن أن تؤسس لنظام سياسي يعبر عن تطلعات الشعوب لأنها مهدوية تنفى تعددية القوميات والثقافات. فمهدوية العقل الكوني هي تبرير فلسفي وإيديولوجي لاستعلاء الغرب. وقد نظرت تنظيرا مبتذلا لمفهوم آخر الزمان أي لنهاية التاريخ التي حولت "الظهور" إلى طريق مسدود وإلى مقبرة للمعنى.

في مقابل هذه المهدوية تتجلى حقيقة وأهمية وثروة المهدوية الإسلامية المبنية على الغيبة والانتظار والتطلع المبني على علاقة ذاتية وشخصية بين الأمة والإمام المهدي عليه السلام

وبين كل فرد والإمام. هذه العلاقة الشخصية والذاتية تؤسس لسياسة غير سياسة العقل الكوني وغير سياسة الدولة الكونية بالمفهوم الهيجلي.^{٢٦} فهذه السياسة "مبنية للمجهول" ولا يمكن أن تنتج إلا الاستبداد وقهر الشعوب. فباسم العقل الكوني، أى باسم الحداثة، تم استعمار الشعوب وإبادتها. فالمهدوية الإسلامية تؤسس، وقد تأسست بالفعل في إيران للسياسة بمعنى جديد: لسياسة ذات معنى تعبدى أى للسياسة التى تتبع من ذات الفرد ومن المجتمع عن اقتناع داخلى أى اقتناع إيمانى، فإذا كانت مهدوية العقل الكوني قد أنتجت ديمقراطية الفراغ^{٢٧} وموت السياسة وموت الثورة، فإن المهدوية الإسلامية هيأت الأرضية لسياسة التطلع لا سياسة الضغط: ضغط العقل الكوني أو ضغط الضمير الجمعى، أى سياسة لا أفق لها إلا لمجهول والرعب من المستقبل وغياب المعنى مقابل سياسة المعنى والآفاق: معنى الديمقراطية الدينية (أو الحكومة الدينية الشعبية) وآفاق التطلع نحو المستقبل الموعود.

لقد أصبحت الفلسفة السياسية فى الغرب تكرر تجسّدات نهاية التاريخ من نابليون^{٢٨} إلى لينين إلى الديمقراطية الليبرالية التى نظر لها فكوياما على أساس نهاية التاريخ. إن إنهاء التاريخ أى إنهاء النموذجية فى نظام سياسى أو فى شخص معين يذكرنا، من بعض الوجوه، بنظرية "السلطان المطاع" و"المستبد العادل" التى نظر لها الغزالي والماوردي وكثيرا من الفقهاء فى تاريخ الأمة، وعلى عكس هذا الجو العبثى والعدمى تتميز المهدوية الإسلامية بالحضور المكثف والقوى للمعنى، فالمعنى مرجعية للمعقولية وللفاعل لأن الشعوب لا تتحرك وتثور وتغير أوضاعها إلا باسم المعنى، فالمهدوية الإسلامية تعطى المعنى للتاريخ وتعطى نتيجة لذلك، المعنى للسياسة والدولة. فى الفلسفة الغربية أدى غياب المعنى إلى موت الثورة وموت السياسية، أما فى الفلسفة السياسية الملازمة للمهدوية الإسلامية فحضور المعنى فجر الثورة وأسس الدولة وأعاد الحياة إلى

السياسةز فالانتظار فجر الثورة وأسس الدولة في إيران لأن الانتظار "معنى" في حين أن المهدويات التي تخلو من المعنى (مهدويات الإيديولوجيا) أصبح التطلع من خلالها إما رعباً من المستقبل ومن المجهول أو حلمًا تعويضياً لا تطلعا إلى مستقبل موعود.

إن الثورة الإسلامية ثورة مهدوية أى ثورة الآفاق الواسعة والبعيدة لذلك فهى لا تعرف التركيب على الطريقة الهيجلية والماركسية. فهى ليست مجرد تركيب هادئ ومنفعل لأطروحة ونقيضها لأن الثورة الإسلامية تتجاوز مستمر للتاريخ كواقع مهيم تفرضه الشعوب القوية. والسياسة الملازمة للثورة الإسلامية هى سياسة التجاوز وليست سياسة فن الممكن فحسب أو سياسة التوفيق بين الإسلام والرأسمالية أو بين الإسلام والاشتراكية. ومكتسبات الثورة هى بدورها مكتسبات تتجاوز الحاضر والمرحلة ولا يمكن معرفة أهمية دورها وآثارها ونتائجها إلا بوضعها في سياق الأفق الذى تنزع نحوه وتمهد له.

وهكذا فالسياسة المهدوية لا تنهى التاريخ الكونى وتغلقه وتذيه في الدولة على غرار الرؤية الفلسفية الهيجلية. فالدولة وسيلة وحركة نحو ما يتجاوزها. هذه الرؤية إلى السياسة وإلى الدولة هى التى جعلت الممارسة السياسية في إيران تتجاوز الحدود الوطنية والقومية وتنتفتح على العالم. فالممارسة السياسية في إيران تتم في سياق كونى عن طريق التطلع نحو مستقبل كونى يشمل البشرية كلها.

فإذا كانت فلسفة هيجل السياسية قد انتهت إلى تبرير القومية وأحيانا، وبصورة غير مباشرة إلى تبرير العرقية والنازية باسم مرجعية "عقلانية وواقعية" التاريخ فإن الأساس العقائدى والنظرى للدولة الإيرانية والأهداف التى تتطلع نحوها، كل ذلك جعل هذه الدولة دولة كونية من حيث القيم ومن حيث الهدف، فهى دول تكسر نظرية نهاية التاريخ وتؤسس لحل التناقضات بين الفرد والمجتمع، وبين المجتمع والدولة وبين الشعوب

عن طريق تأسيس التغيير على التعالى (الغيب) لتجاوز مآسى جدلية العلاقة بين السيد والعبد أى بين المستكبرين والمستضعفين. إن تأسيس التغيير على أساس مجتمع يجسد ذواتا واعية لا مجتمع ككل عملاق أو كتلة صماء قائمة بذاتها، بل مجتمع يعبر عن تفاعل "الأشخاص" على أساس مرجعية ضرورية وكافية: الغيب. فهنا تتجاوز السياسة المهدوية "الرغبة فى الاعتراف"^{٢٩} لتؤسس العلاقات الاجتماعية والدولية وحركة التاريخ على "العزة" و"التعارف"^{٣٠} أى تؤسس السياسية والدولة على رغبة فى الاعتراف تحركها القيم الروحية ويحركها تاريخ يستمد معناه من الله ومن مسؤولية الإنسان كخليفة لله فى الأرض.^{٣١} فالدولة فى إيران تسير فى هذا المسار ونحو هذا الأفق: تسير فى تاريخ منفتح على ما يتجاوزه عن طريق السياسة كعبادة أى السياسة التى تؤسس للتعارف الذى يضع تعددية الثقافات ضمن الوحدة البشرية.

وهكذا لا وجود لنهاية للتاريخ بالمعنى الهيجلى والغربى على العموم فى السياسة المهدوية التى تمارسها الدولة فى إيران، أى لا وجود لنموذجية سياسية وحضارية كونية بدون سيرورة (Processus) توحيدية عالمية أى بدون حركة نحو وحدة عالمية لا نحو نموذجية سياسية وحضارية لا تتجاوز الحدود الوطنية أو القومية، فالفلسفة السياسية الغربية عندما تطرح مفهوم نهاية التاريخ فإنها تطرحه على أساس صيرورة كونية (Devenir) للوجود السياسى والثقافى الأوروبى أى الوجود السياسى والثقافى الأوروبى كنموذج للإنسانية كنموذج للكونية. فالتاريخ الكونى الوحيد حسب هذه الرؤية هو تاريخ الغرب. ومعنى هذا أنه لا وجود لرؤية سياسية كونية أخرى غير الرؤية السياسية الغربية، ولا وجود لمستقبل آخر غير المستقبل الغربى فى صورته الأمريكية. فالكونية السياسية والحضارية الغربية هى قدر محتوم لأن حركة التاريخ تقتضى ذلك.

إن المفهوم الإيرانى، وهو مفهوم إسلامى، للكونية السياسية القائمة على كونية

تاريخية هو مفهوم يستمد معناه من مفهوم الأمة الإسلامية. فالعلاقات الدولية والعلاقات بين الشعوب والثقافات، أى الحركة نحو الوحدة العالمية (الكونية) لا تقوم على الصراع الذى لازم الكونية الغربية حيث أن الاستعمار تم باسم كونية الحداثة وباسم المنظور الغربى إلى التقدم. إن التناقض بين الرؤية الغربية والجمهورية الإسلامية الإيرانية تجلّى فى الميدان بكل قوة ووضوح منذ قيام الثورة الإسلامية:^{٣٢} الحرب المفروضة وكل أنواع الحصار. ويتجلّى فى هذه الأيام من خلال الملف النووى الإيرانى حيث أن السياسة الغربية المسيرة لهذا الملف تجاوزت حدود الابتذال. فخطاب هذه السياسة هو خطاب المراوغة والتهديد واللف والدوران.

فتجاه سياسة الصراع والصدام بين الحضارات تؤسس إيران لسياسة "التعارف" المنتجة للحركة نحو كونية أكثر إنسانية، بل نحو كونية لم يسبق لها مثيل لأنها كونية دولة الظهور التى تتفاعل فيها الثقافات والأعراق والشعوب. فالسياسة هنا ليست "سياسية الرغبة فى الاعتراف" بل "سياسة إنسان والتعارف" الملازمة لحقيقة مفهوم الأمة الإسلامية.

وهكذا فإذا كانت المهدويات الفلسفية والمتعلمة قد فشلت فى المجال السياسى بزوال الذات فى كل عملاق هو المجتمع ككتلة صماء، وانتهت الديمقراطية إلى أزمة، فإن السياسة المهدوية فى إيران أنتجت ديمقراطية الذات المتفاعلة مع المجتمع ووضعت إيران فى سياق قيادتها للمعركة الكونية بين المستضعفين والمستكبرين بعد فشل فلسفات الجدلية وكل أنواع الصراع الطبقي والقومى والصراع بين الشمال والجنوب.

لقد حولت الفلسفة السياسية الغربية منذ هيجل مفهوم المدينة الفاضلة إلى مفهوم نهاية التاريخ. فأصبحت بدايات الدولة النموذجية تنجسد إما فى بينا (Iena) أثناء غزو نابليون لألمانيا، أو فى موسكو عن طريق لنين وتأسيسه للدولة الاشتراكية. وأخيرا

أصبحت الديمقراطية الليبرالية التي نظرها فوكوياما بعد سقوط جدار برلين، هي النموذج الاسمي والأخير الذي يجسد منتهى حركة التاريخ. لقد انتقد بعض المفكرين الغربيين هذه الرؤى. فقد أشار الفيلسوف الفرنسي برنار هنري ليفي إلى إمكانية خطأ أصحاب هذه النظرية، أي هيغل (Hegel) وكوجيف (Kojève) وفوكوياما.^{٣٣} غير أن هذا المفكر قد بسط، كغيره من المفكرين الغربيين، تحليله النقدي لمفهوم نهاية التاريخ وأبعاده السياسية ولم يتحرر من استعلائية الفكر الغربي وأحاذيه. فالفكر الغربي ينظر للنموذج السياسي والحضاري الأخير والنهائي دون أية إشارة إلى ما يجري في العالم الإسلامي، خاصة الثورة الإسلامية ودولتها والمقاومة في فلسطين ولبنان، في حين أن التأسيس للنموذج السياسي والحضاري الكوني قد بدأ في هذا العصر خارج محور: بينا- موسكو- واشنطن وخارج مفهوم نهاية التاريخ الذي يعبر في حقيقته عن أزمة الفكر الغربي نتيجة لغياب مرجعية الضرورية والكافية، فقد أدى هذا الغياب إلى سقوط المطلقات المزيفة والتأسيس لنموذجية سياسية وحضارية لا أساس لها ولا مرجعية لها، ففي هذا العصر، عصر النهايات والطريق المسدود والعبث والعدمية^{٣٤} قامت الثورة الإسلامية وتأسست دولتها في محور المعنى الكوني للتاريخ وللسياسة وللحضارة: محور المدينة المنورة- الكوفة- كربلاء- قم. أي محور النبوة والإمامة وولاية الفقيه وأفقها الموعود، فقم هي بداية لاستمرارية المعنى للسياسة وللتاريخ بعد موت السياسة واستنزاف طاقة التاريخ. فقم فتحت البشرية على خط النبوة بعد فشل خط عقل الأنوار وأزمة الحداثة وما بعد الحداثة، أي فتحت قم البشرية على الأفق المهدوي بعد اهتزاز الجدلية وتخطيها في الطريق المسدود والزمان المغلق الذي يهيمن عليه العبث وتهيمن عليه العدمية.

فقم تجسد منذ قيام الثورة الإسلامية الصراع بين المعنى من جهة والعبث والعدمية من

جهة أخرى والصراع بين سياسة التبرير وسياسة المعنى والتغيير: تغيير التاريخ وتوجيهه نحو الأفق المهدوى. وهكذا فالدولة التى أسستها قم ليست دولة نهاية التاريخ بل هى دولة عودة التاريخ إلى خط النبوة عن طريق الإمامة وولاية الفقيه. وإذا كان النموذج السياسى لمحمود بيضا - موسكو - واشنطن هو نموذج مرتبط بمثل أعلى لا يكفى نفسه بنفسه يجمد الحركة ويقتل السياسة ويضع النظامين الرأسمالى والاشتراكى فى "متحف التاريخ" بتعبير الإمام الخمينى فى رسالته إلى غورباتشوف، فإن النموذج السياسى الذى بدأت قم فى تأسيسه هو نموذج مرتبط بالمثل الأعلى الحقيقى (الله تعالى) الذى يفتح الآفاق ويحرك التاريخ نحو المهدوية عن طريق سياسة الآفاق.^{٣٥}

الدولة والأفق المهدوى: علاقة الدولة بالثورة أو تفاعل الواقعى بالمثالى:

لذلك يمكن القول بأن المثالية فى الممارسة السياسية للجمهورية الإسلامية ليست مجرد شعار، فالمثالية هنا ليست شعارية بل هى مثالية سياسية تحمل مشروعاً، فحقيقة الدولة فى إيران لا يمكن فهمها بدون ربط السياسة بالمشروع، فالتجربة السياسية فى إيران من حيث هى ذات أفق مهدوى تقوم على أساسين: الواقع والمثال. لذلك فهى تجربة تسعى إلى إحداث تفاعل بين تسيير الدولة والمثل العليا للثورة. فالدولة تفكر بالاجتهاد أى بالجهازية النظرية والتنظيرية التى تربط الثابت بالمتغير والواقع بالمثال. وهذا ما جعل ولاية الفقيه تمتلك الحل للمعادلة الصعبة لعلاقة الدولة بالثورة.

كل دول ما بعد الثورات فى الغرب وقعت فى أزمة تكاد تكون قاتلة، هذه الثورات أنتجت دولاً ذات كونه قاتلة.^{٣٦} فالسياسة أصبحت فى أزمة بل الفلسفة السياسية الغربية أصبحت فى أزمة. إيران هى الأخرى ذات دولة كبرى لأن الجمهورية الإسلامية دولة الثورة أى دولة القضايا الكبرى والمصرية فى إيران وفى العالم الإسلامى وفى العالم كله.

فإيران إذا تخلت عن النظام السياسي القائم على مرجعية ولاية الفقيه ستصبح دولة كسائر دول العالم الثالث أو تصبح دولة إسلامية إسلاما سوسيولوجيا لا إسلاما عقائديا، فتصبح نتيجة لذلك دولة التسيير والخضوع للأمر الواقع لا دولة المشروع والتغيرات الكبرى.

فأى اختلال في العلاقة بين النظام السياسي وولاية الفقيه يحدث اختلالا بل قطيعة بين الدولة والأفق المهدوي وبين الدولة والثورة وبين الدولة والمجتمع والتاريخ. غير أن من خصوصيات التجربة السياسية في إيران أن هناك تفاعلا بين الدولة والمهدوية، وهو تفاعل جعل الدولة تتأسس على الكونية لا على ذاتية الحكم ونزواتهم. لذلك تتميز الممارسة السياسية في إيران بالواقعية والمثالية في نفس الوقت.

فمهدوية الدولة أى مثالياتها تتجسد عن طريق المؤسسات والقوانين كما تتجسد في مواقف الجمهورية الإسلامية من القضايا المحلية والإقليمية والدولية، فالفكر الموجه للدولة يحمل في تركيبته هذه الحقيقة: حقيقة التفاعل بين الغيبة والظهور أى بين الواقع والمثال أى حضور ما هو مثالي في الواقعي، هذا الفكر هو الفكر الاجتهادي الملازم لولاية الفقيه.

فالانتظار في إيران أصبح دولة، والدولة أصبحت دولة الآفاق، أى دولة المشروع والثورة والتغيير فى أفق التطلع إلى الظهور. فالمثالية أصبحت عن طريق التأطير العقائدى للتجربة السياسية جزءا من الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وهكذا فعلاقة التجربة السياسية بالأفق المهدوي تنقل السياسة إلى آفاق التغيير. غير أن هذا لا يعنى وقوع اختلال فى دائرة التسيير فالسياسة المهدوية ليست طوباوية، بل هى واقع فجر الثورة ويؤسس الدولة وكل ذلك يقتضى التعامل مع الواقع دون الذوبان فيه. فالواقعية هنا ليست واقعية تبريرية بل واقعية تغييرية. فالعامل مع القضايا

والأحداث يتم من موقع التجاوز والتغيير لا من موقع تبرير ثقل الواقع وهيمنة الغرب على غرار الأنظمة السياسية في العالم العربي. وتتمتع التجربة السياسية في إيران بالفكر الذي يستوعب هذه الظاهرة الفريدة: ظاهرة التفاعل بين الواقعي والمثالي أى التفاعل بين الغيبة والظهور بين الدولة والثورة.^{٣٧} فهذا الفكر يستوعب هذه الظاهرة ويؤسس لها ويوجهها من حيث أنه فكر اجتهادى ملازم لحجية "النائب" في عصر الغيبة لذلك تتميز ولاية الفقيه بالطاقة المهدوية التى تؤهلها للقدرة على التوقع واستباق الأحداث. أى القدرة على توجيه حركة التاريخ لا الاستسلام لها، لقد تحققت المهدوية في هذا العصر من خلال الشعب الإيرانى عن طريق الثورة وتأسيس الدولة. تحققت قبل عصر الظهور تحققا ممهدا للظهور، فالمهدوية أصبحت واقعا في إيران لأن الشعب الإيرانى اختار خط الإمامة وجسده في مؤسسات الدولة وفي مواقف الدولة تجاه الحرب المفروضة وكل أنواع الحصار وتجاه قضايا العالم الإسلامى.

وهكذا فالمهدوية تتحقق عبر التاريخ. إلا أن هذا التحقق لا يمكن فهمه عن طريق فلسفة التاريخ الغربية والفلسفة السياسية الملازمة لها. فالتحقق المهدوى يختلف عن تحقق العقل الكونى فى التاريخ فى الفلسفة الهيكلية. فالمهدوية تتحقق من خلال الانتظار المسؤول. أى تتحقق لما يمهّد الإنسان الظروف عن طرق السياسة كأداة محورية للتغيير، أى عن طريق الثورة وتأسيس الدولة.

فهناك مسؤولية فردية وجماعية وليس الأمر متروكا لصيرورة تاريخية قائمة بذاتها على غرار نظرية العقل فى التاريخ فى فلسفة هيجل.^{٣٨} وهى فلسفة من الصعب، إن لم يكن من المستحيل أن تتماشى مع مسؤولية الإنسان وحرية، فعلى الرغم من أن هيجل يولى أهمية كبرى للحرية،^{٣٩} إلا أن المرجعية المحايثة (التاريخ) تنفى بمحايتها المطلقة مبادرة الإنسان وقدرته على الاختيار، فى حين أن الرؤية الإسلامية إلى علاقة الإنسان

بالتاريخ لا تنفى مسؤولية الإنسان لأن التاريخ ليس مرجعية مطلقة ولا يستمد حقيقته ومعناه إلا مما يتجاوزه أى من علاقته بالتعالى. وهذا ما يفتح الباب على مصراعيه لمبادرة الإنسان وقدرته على توجيه حركة التاريخ لا الخضوع لها. وهذا ما تحقق بالفعل في إيران في هذا العصر حيث أن الشعب الإيراني بقيادة ولاية الفقيه حول المهدوية عن طريق الثورة والدولة، إلى واقع في عصر الغيبة. فالإمام المهدي حاضر في الدولة بكل مؤسساتها لكن حضوره ليس حضور عصر الظهور بل حضور عصر التمهيد لعصر الظهور أى حضور النيابة عن طريق حجية ولاية الفقيه. أى حضور المثالى في الدولة ومؤسساتها عن طريق الاجتهاد لا عن طريق العصمة، ومن هنا نسبية الحضور ونسبية الدولة، إلا أن ما يميز هذه النسبية أنها:

١. موجهة من طرف فكر اجتهادى، أى من طرف فكر يرجع إلى القرآن الكريم وإلى عصمة النبوة من خلال عصمة الإمامة وعن طريق ولاية الفقيه.
 ٢. إن هذه النسبية في المجال السياسى هى نسبية منفتحة على مثالية (الظهور) توجه آفاقها ولا تتركها تنه في متاهات موت السياسية ونهاية التاريخ.
 ٣. ولأن السياسة منفتحة على المثالية فإن الحضور المهدوي يقتضى وجود الدولة المتفاعلة مع الشعب والمجسدة لتطلعاته لا الدولة المفروضة على الشعب. فالدولة المهدوية (في عصر الغيبة). تتناقض مع الاستبداد، فلا معنى للمهدوية مع وجود الاستبداد، لذلك فالدولة ذات الأفق المهدوي، أى الجمهورية الإسلامية اليوم، هى دولة دينية شعبية.
- فالمهدوية حولت في إيران عن طريق ولاية الفقيه ما هو ذاتي (أى تطلعات الشعب نحو الظهور) إلى نظام سياسى، فالعنصر الذاتي لا معنى له إذ لم يتحقق في الواقع عن طريق المؤسسات والمؤسسات بدورها لا تكون ذات فاعلية إذ لم تستبطن عن اقتناع داخلى من طرف الأفراد.^{٤٠} فالتفاعل بين الذات والمؤسسات ضرورى لتصبح

المؤسسات مؤثرة في العملية السياسية، خاصة إذا كانت هذه العملية السياسية ذات أهداف كبرى على غرار طموحات وأهداف الدولة في إيران. وتجدر الإشارة إلى أن المؤسسات تسير في هذا المسار وتسعى إلى القيام بهذا الدور في إيران اليوم لأن الدولة مازالت دولة الثورة، فالثورة لم تموت في الدولة على غرار دول الثورات الأخرى، فالبعد المهدوى أعطى للدولة وللمؤسساتها طاقة التطلع نحو التغيرات الكبرى التي تتجاوز حدود التسيير في دائرة البرامج. قوانين الدولة ليست قوانين موضوعية وكونية بالمعنى الهيجلي أو الوضعي، فموضوعية القوانين والإلزام لا تنفي العنصر الذاتي بل تتطلبه وتتفاعل معه، فالقوانين تتخذ معنى الواجب الشرعي والسياسة، على العموم، تتخذ معنى العبادة وهذا من العوامل التي جعلت الدولة في إيران دولة الثورة.

وهكذا فإذا كان هيجل يرى بأن الدولة هي التي توفق بصورة موضوعية بين الفرد والمجتمع وبين الحقوق والواجبات. وأن الدولة لها دور أخلاقي في تحقيق الحرية الكونية ودمج المصالح الخاصة في المصلحة الكونية وأن الإنسان يحقق ذاتيته داخل موضوعية الدولة.^{٤١} فإن هذه الصفات للدولة وهذا الدور الكوني كل ذلك يحتاج إلى مرجعية ضرورية وكافية لتصبح الدولة موضوعية وكونية ومتحررة من ذاتية الحكام. كما تحتاج الدولة كذلك وعلى أساس هذه المرجعية إلى أفق مستقبلي يلزم موضوعيتها ودورها الكوني وهذا ما تفقده دولة هيجل وفلسفته المهدوية. وهذا ما تفقده كل الدول التي تأسست على العقل الوضعي وعلى المهدوية المتعلمنة.

وهكذا فمن العطاءات الفريدة للتجربة السياسية في إيران استمرار الثورة في الدولة. ففي كل بلدان العالم الإسلامي انطلقت الثورات التحريرية من خلفية قيم دينية ثم جردت السياسة من القيم والمفاهيم الدينية في مرحلة ما بعد الثورة: مرحلة الدولة باستثناء إيران في هذا العصر، فكل دول ما بعد الثورات التحريرية لم تتجاوز أسس

دائرة "الإسلام السوسيولوجي" في حين أن الجمهورية الإسلامية هي دولة عقائدية ذات أسس عقائدية واضحة ذات رؤية مستقبلية عقائدية وواضحة. في حين أن دول الإسلام السوسيولوجي لا تتمتع بالأفق الواضح والمحدد. فهنا تغيب الإستراتيجية ويغيب المشروع وتعيش الدولة في حاضر مقطوع من حركة التاريخ فهي دولة خارج التاريخ وتمنع الشعوب من الدخول في التاريخ. في هذا السياق تتجلى حقيقة دولة الثورة الإسلامية في إيران لا كدولة ذات عمق تاريخي فحسب بل كدولة توجه التاريخ لأن مرجعيتها عن طريق ولاية هي مرجعية ذات مصدر فوق تاريخي (النبوّة والإمامة) ولأن مستقبلها الموعود يعطيها القوة وزمام المبادرة تجاه الأحداث وتجاه الزمان التاريخي المهيمن (تاريخ الأقوياء في هذا العصر). فتقل التحديات لم يحجب الدولة عن الآفاق فالدولة الإيرانية ليست وجودا فحسب بل هي صيرورة كذلك. وهذا ما جعل كل مواقف الجمهورية الإسلامية هي مواقف رؤية سياسية مرتبطة عقائديا بالعزة وبالأفاق لا بمحدودية (التي موس) أي الرغبة في الاعتراف، فالعزة تجعل السياسة تتجاوز حدود الرغبة في الاعتراف كما صاغها كل من هيجل وفوكومايا. لأن الرغبة في الاعتراف الملازمة للعزة هي رغبة تستمد حقيقتها من علاقة الإنسان بالله تعالى، فالطابع التعبدي للسياسة في الأفق المهدوي يعطي للرغبة في الاعتراف معنى آخر غير معنى "التي موس" المحدود الأفق فالتيموس انتهى إلى موت السياسية أما العزة فقد أعادت الحياة إلى السياسة وإلى الديمقراطية وإلى حركة التاريخ. فالفرق جذري بين التيموس الهيجلي والعزة المهدوية في المجال السياسي، فالتيموس (الرغبة في الاعتراف) يتخذ موقعه في حركة تاريخية تقوم على أساس الجدلية كجدلية تكفي نفسها بنفسها. في حين أن الأمر غير صحيح فالجدلية لا تعطي معنى للتاريخ، وإذا أعطته معنى فهو معنى جد محدود، لذلك فالسلب يحيط بالتاريخ ويخنقه: فالمحاينة تخنق المحايثة، ونتيجة لذلك يحيط السلب

بالسياسة ويخضعها ولا يفتحها على الحركة لأن هذا السلب لا نقيض له بسبب غياب المرجعية الضرورية والكافية لمعنى التاريخ وللجدلية فلا مرجعية لا للتاريخ ولا للجدلية. ومن هنا يمكن القول بأن الرغبة في الاعتراف أنتجت موت السياسة ونهاية التاريخ، وهذا ما جعل الممارسة السياسية لا تقوم على قيم ثابتة، فالسياسة هي سياسة القوة، أى سياسة الواقع "ما هو كائن" كواقع مهيمن. أما العزة فقد فجرت الواقع وكسرت المعادلة القائمة على النهايات وغياب القيم. أى على القوة. فالعزة تتمتع بفضل أفعها المستقبلى المهدوى بالسلب الذى ينقض سياسة التيموس وتاريخ التيموس، لأن العزة نقد ورفض واستيعاب للواقع القائم وللمرحلة التاريخية خارج هيمنة المرحلة. فالفكر المعاصر لم يكن يتوقع قيام ثورة على أسس دينية ولم يكن يتوقع قيام حكومة دينية وشعبية فى نفس الوقت.^{٤٢}

فالدولة الإيرانية لم تمارس منذ نشأتها عملها فى ظروف عادية فهى فى موقف التحدى بصورة مستمرة وقد استوعبت الدولة الإيرانية كل التحديات بصورة إيجابية جعلتها تسير فى مسار "البنيان والمرصوص" من موقع علاقة هذا المسار بالمستقبل الموعود والمحذر للدولة من الاستغراق فى ثقل محايثة المرحلة والأحداث (الحرب المفروضة وكل أنواع الحصار...).

ومن هنا فالدولة فى عصر الغيبة هى دولة "الغيبة" أى دولة التطلع والثورة والنظام السياسى الذى يجسد هذا التطلع و يفعله هو النظام السياسى الذى يتمحور حول "النبأة" و"الحجبة" أى حول ولاية الفقيه. وإذا كانت الأنظمة العربية تحاول امتصاص تطلعات الشعوب وتعطيلها فإن الجمهورية الإسلامية كنظام سياسى مهدوى يفعل التطلع ويتفاعل مع الشعوب.

هناك من يرى بأن الثورة الإسلامية تمت على أساس "الحقيقة" أى العرفان فى حين

أن مرحلة ما بعد الثورة أى مرحلة الدولة، تتم عن طريق "الشريعة"،^{٤٣} لاشك أن مرحلة كل ثورة هى مرحلة الغليان العاطفى الذى يتفاعل وينسجم مع العرفان عندما تتم الثورة فى العالم الإسلامى. فى حين أن مرحلة ما بعد الثورة تقتضى برودة العقلانية، غير أن ما وقع وما زال يقع فى إيران يتطلب من كل باحث أن يعيد النظر حول هذا الطرح، أو يتحفظ من التسرع فى التعميم على أقل تقدير، دولة ما بعد الثورة فى إيران ليست دولة محجوزة داخل العالم وليست دولة محجوزة داخل التاريخ، فزمان الدولة زمان الآفاق البعيدة، والمشكلة المطروحة فى هذا السياق هى عظامه المنتظر وعظامه التطلع إلى هذا الهدف الكونى، فموقع الدولة فى الزمان بقيادة ولاية الفقيه وفى الأفق المهدوى. كل ذلك يقتضى ثورية الدولة وحضور الثورة فى الدولة. فمعنى السياسة ومعنى التاريخ يتخذان موقعهما خارج الراهنية أو الواقع المغلق. فالممارسة السياسية للدولة فى إيران ليست على غرار الممارسة السياسية فى الأنظمة الأخرى فى العالم الإسلامى التى تتم فى حدود الاستجابات الظرفية. فالدولة فى إيران هى دولة المسافات البعيدة وولاية الفقيه هى التى تقوم بدور التنظير والتفعيل والتوجيه لعلاقة السياسة بالزمان التاريخى وزمان الواقع (زمان العالم) والزمان المهدوى، فسياسة دولة الثورة الإسلامية ليست سياسة الزمان التاريخى لأن السياسة المهدوية هى سياسة الزمان الطويل المدى: زمان الآفاق.

فالزمان الواقعى أى زمان تاريخ الأقوياء ينتج سياسة التسيير والمهادنة، وقد أنتج فعلا "دول الاعتدال" التى لا تتجاوز فى تعاملها مع الأحداث حدود الواقع الراهن: واقع الغرب وتاريخ الغرب ومتطلبات دول الغرب، وقد فضحت "غزة" هذه الظاهرة وكشفت عن بشاعة أنظمة "دول الاعتدال" تجاه شعوبها.

فى هذا العصر الذى يحاصر فيه زمان الأقوياء السياسة تتجلى حقيقة الدولة الإسلامية فى إيران. الدولة التى تمارس تجربتها السياسية بربط الحاضر بالآفاق، فبفضل

علاقة السياسة بما يتجاوز الحاضر بل وبما يتجاوز محايثة التاريخ، أصبحت الدولة في إيران هي التي تحاصر من يحاصرونها منذ قيام الثورة الإسلامية، فالدولة في إيران تحاصر هيجل وماركس وفوكوياما من موقعها في التاريخ. فالتجربة السياسية في إيران تتم ممارستها في واقع لا تحاصره المحايثة لأن الزمان السياسى متفاعل مع زمان تاريخى يستمد معناه من تفاعله العقائدى مع الزمان المهدوى. فالدولة في إيران تؤسس لمرحلة تاريخية جديدة ومصرية من مراحل عصر الغيبة. تؤسس للمرحلة التمهيدية لعصر الظهور لذلك فهناك ما قبل الثورة وما بعد الثورة. فمرحلة ما بعد الثورة هي مرحلة لم يتمكن الفكر الغربى من فهمها لأن السياسة تعيش في هذا العصر في زمان المحدودية والنهاية، وفي زمان العقل القائم بذاته. في حين أن السياسة في إيران تعيش في زمان آخر هو زمان العقل المنفتح على الغيب، فالسياسة في سياق الانتظار لا تسير في مسار الاستنزاف على غرار السياسة المنفصلة على المعنى، فالسياسة عبادة وهذا يعنى أن المشكل الميتافيزيقى مطروح في السياسة وأن السياسة تطرح المشكل الميتافيزيقى الذى انتهى منه الفكر الغربى باسم العلم وباسم حركة التاريخ. في حين أن التجربة السياسية في إيران تطرح مشكلة الإنسان ومشكلة المصير من داخل السياسة: إلى أين تتجه الدولة؟ فالسياسة هنا تعيش الآفاق وتتجاوز حدود التسيير.^{٤٤}

لذلك فالسياسة في إيران ترسم معالم فكر جديد وواقع جديد، فليست عطاءات الثورة الإسلامية عطاءات سياسية فحسب أو اجتماعية أو اقتصادية. فالعطاء المحورى للثورة الإسلامية في إيران هو سقوط المطلقات وسقوط "بديهيات" الفكر الغربى وفتح المجال لفكر جديد يحل أزمة السياسة وأزمة الحضارة. فمع الثورة الإسلامية بدأ عهد الوعود في أفق الوعد الكونى. فإذا كان الغرب قد أنهى نفسه بنفسه في بينا (Iena) عن طريق فلسفة هيجل ثم في واشنطن عن طريق فوكوياما الذى أعاد صياغة نهاية التاريخ

في أفق فلسفة هيجل: فالغرب أنهى نفسه في حاضر مغلق: فما هو دور السياسة وأين تنجّه الدولة: دور السياسة لا يتجاوز التسيير لمجتمعات لا أفق أمامها إلا المحاشية والمجهول والرعب من المستقبل. فإذا كان الأمر كذلك في الغرب فإن "قم" أنهت النهايات وفتحت طريق البداية: بداية تاريخ جديد منفتح على الله من خلال انفتاحه على الإمام المهدي عليه السلام. فقم تمهد لأكبر انتصار للبشرية في التاريخ. لذلك تسعى الممارسة السياسية في إيران إلى اتخاذ موقعها بين الواقع والمثال، بين عالم الملك وعالم الجبروت، أي تسعى أن تكون في حركة مستمرة نحو عالم الملكوت. فالسياسة دخلت في عالم الملكوت عند قيام الثورة، فالثورة الإسلامية "انبثاق للملكوت في العالم الحسى"^{٥٠} فالثورة الإسلامية ليست حادثة محدودة بالزمان والمكان. هي ثورة مؤسسة لمرحلة جديدة من مراحل عصر الغيبة ولصورة جديدة من صور الانتظار، فهي ثورة وجودية، أي ثورة مؤسسة لعصر جديد، فإيران هي المرشحة فكريا وسياسيا وأخلاقيا لتوجيه حركة التاريخ نحو الأفق المهدوي، فقيام الثورة الإسلامية وتأسيس الجمهورية الإسلامية دخلت الأمة الإسلامية في مرحلة تاريخية حاسمة ومفصلية، فالهجم العقائدي والتاريخي والفكري للثورة الإسلامية يقتضى دولة في مستوى هذا الحجم، أي يقتضى نظاما سياسيا لا يمكن اختزاله في شخص أو حزب. فسؤال القضية الكبرى والمصرية كالثورة والدولة في إيران، يقتضى الإجابة في مستوى القضية، أي يقتضى قيادة كونية نحو مستقبل كونى، فسمو الثورة وأهدافها يقتضى سمو القيادة. وهذا ما تتميز به ولاية الفقيه التى تضع النظام السياسى في علاقة التفاعل بين الثوابت والمتغيرات. لذلك يمكن القول بأن الجانب التقنوقراطى للدولة في إيران لا يتغلب على ثورية السياسة بل يتفاعل معها، فمهدوية السياسة في إيران جعلت الدولة قادرة على الاستجابة لتساؤلات العالم في هذا العصر. الاستجابة لتطلعات الشعوب نحو تأسيس الفعل على المعنى. فالسياسة في إيران فتحت

المجال لفكر جديد يسير في مسار الحل لمشكلة القيم ومشكلة الإنسان ومشكلة العلاقة بين السياسة والأخلاق والدين ومشكلة الحضارة على العموم. فدولة الثورة الإسلامية تجسد مشروع عولمة بديلة. فمشروع ثورة في حجم الثورة الإسلامية ومشروع دولة لا تقوم على سياسة ذات أبعاد كونية هما مشروعان لا يلتقيان أبداً.

وهكذا فإذا كانت دول ما بعد الثورات في العالم الإسلامي وفي العالم على العموم، قد وصلت إلى طريق مسدود وتحولت إلى مجرد دول تعتمد على إستراتيجية بقاء الحكام في السلطة، فإن الدولة الإيرانية تمارس السياسة من خلال منطق المشروع الملازم للأفق المهدوى الموعد، والمشروع المرتبط بكونية الوعد هو مشروع دولة تفعل علاقتها مع الشعوب ومع الحضارات أى مشروع دولة تجسد قيم الأمة بالمعنى الإسلامى، أمة مبنية على كونية التعارف، فتتحرك الدولة في إيران في أفق مهدوى هو تحرك في أفق إنسانى، فالرجوع إلى الإمامة يقتضى المسؤولية التاريخية للدولة.

إن الفكر العلمانى في العالم الإسلامى يحجز الدين في العاطفة وفي الغليان العاطفى. فحسب هذه الرؤية القيم الدينية لا يمكن أن تتجاوز زمان الثورة لتصل إلى زمان التسيير والتخطيط والعقلانية. انطلاقاً من هذه الخلفية ترى المفكرة لىلى أشغى، من موقع التساؤل بأن رجال الدين يستمدون حياتهم السياسية من وجودهم كمعارضة، فوجودهم في الدولة يستنزف حقيقة وجودهم السياسى، وتتساءل هذه المفكرة عما إذا كانت النيابة عن الحادثة (أى تجسيد رجال الدين للثورة وزمان الثورة) هى نيابة دائمة ومستمرة؟^{٤٦}

تجدر الإشارة إلى أن ولاية الفقيه لا تجسد المعنى الكهنوتى لمفهوم رجال الدين، فهى ليست نيابة أو نائبة عن حادثة بل عن الإمامة. وجود ولاية الفقيه ملازم لعصر الغيبة. ودورها دور اجتهادى وقيادى وليس دورا تسلطياً باسم تجسيد الله في الأرض أو تجسيد

للعصمة. فولاية الفقيه تقود الأمة وتهبئ الأرضية للحادثة، فهي تفجر الثورة وتؤسس الدولة وتقودها، فالدخول في مرحلة الدولة (بعد الثورة) لا يعنى الابتعاد عن الروحانية وعن الغليان العاطفى الشعبى. فالإمام الخميني^{٤٦} حرر العرفان من إيديولوجيا الخروج من التاريخ أى حرره من إيديولوجيات الروحانيات المريحة وغير الملزمة، لقد أحدثت التجربة السياسية في إيران تركيا وتفاعلا بين الشريعة والحقيقة في سياق حركة التاريخ. أى في سياق زمان سياسى متفاعل مع الزمان التاريخى والزمان المهدوى.

لاشك أن ربط السياسة بالحقيقة والعرفان يؤدي إلى طغيان الجانب الذاتي في المجال السياسى، إن لم يؤد إلى الابتعاد عن السياسة. غير أن خصوصية الروحانية في الرؤية الإسلامية، أى خصوصية الحقيقة وخصوصية النظام المعرفى (الاجتهاد) الذى يقود العملية السياسية ويربط السياسة بالحقيقة على أساس التفاعل بين الشريعة والحقيقة كل ذلك يؤدي وقد أدى بالفعل في إيران إلى "موضعة" علاقة السياسة بالحقيقة عن طريق المؤسسات^{٤٧} وهذا ما جعل الثورة تستمر في الدولة ولا تذوب هذه الأخيرة في الواقع باسم الواقعية بل تذوب في المستقبل العقائدى وتتطلق من الواقع باسم هذا المستقبل. وهذا ما جعل دولة الثورة الإسلامية تتميز عن كل دول ما بعد الثورات، حيث أن هذه الدول كان أغلبها دولا ديكتاتورية، ديكتاتورية الأغلبية الديكتاتورية البروليتاريا. فدولة الثورة الإسلامية تتمحور حول الديمقراطية خارج إطلاقية مرجعية الأغلبية وخارج إطلاقية مرجعية الشعب.

فالثورة الإسلامية ليست مجرد حادثة تحتل مدة زمنية معينة فالثورة الإسلامية زمانها هو زمان الغيبة وقيادتها "نيابة" وأهدافها هى أهداف عقائدية وهذا ما يجعل من زمان الثورة زمانا يتخذ موقعه على صعيد العصر وحركة التاريخ لا على صعيد محدودية الحادية في زمان معين ومكان معين. فهي ثورة تحتوى التاريخ ولا يحتويها

التاريخ لأنها ثورة مهدوية تفتح المجال لتاريخ معاكس يقود الأمة نحو مستقبل عقائدى لا مستقبل تنتجه حركة تاريخ الأقوياء بصورة حتمية، لذلك كانت السياسة الملازمة للثورة سياسة لها خصوصيتها هى سياسة التطلع والتغير لأن زمانها هو زمان مهدوى. وهذا ما جعل الواقع يتفاعل مع المثال أى الدولة مع الثورة لأن ظاهرة الثورة والدولة أعادت الحياة إلى السياسة بعد موتها وأعادت الثورة إلى الوجود بعد موتها وأعادت الحركة إلى التاريخ بعد نهايته، وكسرت حاجز العتب الذى هيمن على الفكر الغربى حيث امتد العتب من الحياة الفردية، من "الكائن من أجل الموت" كما تؤكد الفلسفة الوجودية إلى الحياة الاجتماعية وإلى الدولة والتاريخ. فأصبح العتب عبثا شاملا ومطلقا لا يخص ذات الفرد وحدها. ففى هذا العصر عصر التنظير لموت الثورة والتنظير للعدمية قامت الثورة الإسلامية وتأسست الجمهورية الإسلامية دولة الآفاق. أى الدولة التى توجه التاريخ نحو الكونية الحقيقية التى تقف فى وجه المهدويات المزيفة وكونياتها القاتلة.

الخاتمة:

لذلك فمن عطاءات التجربة السياسية فى إيران أنها فعلت عقائديا وسياسيا معنى التاريخ ومعنى المستقبل فى عصر زوال المعنى: زوال معنى التاريخ ومعنى المستقبل وفشل وإفلاس مهدوية السياسة فى محور أثينا - موسكو - واشنطن -. فظاهرة الثورة الإسلامية والدولة جاءت لتؤسس المعنى بعد زوال المعنى: السياسة عبادة بعد موت السياسة، التاريخ يتحرك نحو المستقبل الموعود بعد نهاية التاريخ.

فإيران تجسد فى هذا العصر السياسة المهدوية البديلة التى تتخذ موقعها فى محور المدينة المنورة - الكوفة - كربلاء - قم.

1. G.H.F. Hegel: la raison dans l'histoire, plon, Paris, 1965.
٢. هذا الموقف للدكتور عبد الكريم سوروش، أشار إليه:
Rachid Benzin: Les nouveaux penseurs de l'Islam, Albin Michel, Paris, 2008, P64.
3. Noam Chomsky, Les états manques Fayard, Paris 2007.
٤. تجدر الإشارة إلى أن التنظير لفلسفة التاريخ قد تم في الفكو الإسلامي قبل الثورة من المنظرين:
آية الله مرتضى مطهري: نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، المكتبة الإسلامية الكبرى - طهران - بدون تاريخ.
- د.علي شريعي الأمة والإمامة - مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت (بدون تاريخ).
٥. هذا الطرح هو نقد موجه إلى موقف د.عبد الكريم سوروش من التجربة السياسية على إيران. وهو موقف ركز على عجز فقه الفروع في مجال التنظير، لكن هذا المفكر تغافل عن أصول الفقه وعن الطاقة المفاهيمية والتنظيرية لولاية الفقيه - أنظر المصدر السابق رقم ٢.
6. P. Birnbaum- La fin du politique, Seuil, Paris, 1975- P26-30.
٧. أنظر الشهيد محمد باقر الصدر: لمحّة فقهية تهديدية عن مشروع الجمهورية الإسلامية في إيران نشر جهاد البناء، قم، ١٣٩٩هـ.
٨. أنظر المشهد الثقافي في إيران: فلسفة الفقه ومقاصد الشريعة مؤلف جماعي، دار الهادي - بيروت ٢٠٠١.
- الكتاب كله يحتوي على بحوث في الفقه وعلاقته بالواقع الجديد: الثورة الإسلامية وتأسيس الدولة، فكل معالم مسار البحوث ترتبط بالواقع الجديد من أجل تنظيره وتوجيهه. فالدراسة دراسة منهجية وباستيمولوجية أي تنظيرية.
9. Leili Echghi- Un temps entre les temps (l'Imam le chiisme et l'Iran) Cerf, Paris, 1992, P7.
١٠. لتحديد هذه المفاهيم: الزمان التاريخي والزمان السياسي والزمان المهدوي.
- Gérard Bensussan: Le temps messianique, temps historique et temps vécu, paris, 2001.
11. J.M Guehenno: la fin de la démocratie, Flammarion, Paris 1993, PP 105- 106 et 110-111.
١٢. الشهيد محمد باقر الصدر: الإسلام يقود الحياة - جهاد البناء، قم (بدون تاريخ)، أنظر الفصل الرابع: خلافة

الإنسان وشهادة الأنبياء والفصل الخامس: منابع القدرة في الدولة الإسلامية.

١٣. الإمام الخميني: آداب الصلاة - مؤسسة نشر آثار الإمام - طهران ١٩٩١ ص ٣٠٤ حيث يؤكد الإمام بأن العرفان نابع من الإسلام وليس من الفلسفة اليونانية أو غيرها.

١٤. الإمام الخميني: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨٣ ص ١١-٨٩-٩٠ كما أن كل نداءات الإمام الخميني والإمام على خامنائي تتضمن تفاعل الشريعة مع الحقيقة والسياسي مع الروحي.

15. Bernard- Henri Lvy: Réflexions sur la Guerre, le Mal et la fin de l'histoire, Grasset, Paris 2001, P152à 154.

16 Ibid, P162.

١٧. لقد انتقد كثير من المفكرين إيديولوجيا التقدم:

Raymond Aron: Les désillusions du progrès, Calmann- Levy, Paris, 1996 PP 253-254 et 258-260.

Stéphane Mases ; l'ange de l'histoire, Gallimard- Paris 2006.

O- Spengler: Le declin de l'occident Gallimard, paris 1957, Vol 2, P96

١٨. تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن كثيرا من المفكرين لم يستوعبوا حقيقة الثورة والدولة في إيران مثلا:

Theirry Coville: La Révolution invisible la Découverte ; Paris 2007.

فالمؤلف لم يدرك الحقيقة الكونية للثورة والدولة في إيران، والحقيقة الكونية للرؤية المستقبلية التي تنطلق على أساسها التجربة السياسية في إيران.

كما أنه ينظر إلى السياسة في إيران على أنها مجرد سياسة تقوم على الصراع بين الشرعية الدينية والشرعية الديمقراطية ولم يصل هذا المؤلف إلى مستوى الفهم النسبي لحقيقة الديمقراطية الدينية كحقيقة بديلة لموت السياسة وأزمة الديمقراطية.

١٩. كان الإمام الخميني رحمته الله يقول: "الجمهورية الإسلامية بلا كلمة ناقصة وبلا كلمة زائدة".

20. Armand Mattelart: Histoire de l'utopie planétaire.

Casbah Alger, 2004-P. 12

21. Berzezinski, Z «Introduction. Note» in the Grisis of democracy. University press, New York, 1975, P11.

٢٢. رسالة الإمام الخميني إلى غرباتشيف ذات دلالات تفوق كل النظريات السياسية وكل فلسفات التاريخ المؤسسة لهذه النظريات.

ففي الرسالة دعوة إلى التوحيد أي إلى فتح آفاق المعنى الذي يفتح كل الطرق المسدودة أمام البشرية لأن أمريكا لن تحل مشكلة الاتحاد السوفياتي.

- كما أن الرسالة تعبر عن الشعور بالمسؤولية تجاه كل الشعوب الإسلامية وكل شعوب العالم.
ونفس الأمر بالنسبة لوصية الإمام، فالرسالة والوصية تعبران عن سياسة مهدوية فالإمام حذر غورباتشيف من السقوط في فخ أمريكا فتوقع الإمام هو توقع المهدوي.
23. Eugene Fleischmann: la philosophie politique de Hegel- Gallimard, paris 1992
P1V.
24. Ali Shariati: Histoire et destinée Sindbad, Paris 1982 ;, P108à113.
25. G.H.F. Hegel: la raison dans l'histoire.
26. G.H Hegel ; principes de la philosophie du droit- Gallimard, Paris, 1963.
27. N. Chomsky: Les états manques.
- يخص المؤلف الفصل السادس للمهدوية تحت عنوان "المهدوية الشيطانية" التي تنبئ "بنهاية كارثية قريبة" كما يرى المؤلف في الفصل الأول من الكتاب.
٢٨. لقد رأى هيجل في نابليون أثناء غزوة لمدينة بينا "الروح على جواد" أى التجسيد الأخير للعقل الكوني.
٢٩. مفهوم الرغبة في الاعتراف أو "التبؤوس" نظره هيجل ثم أعاد صياغته:
- A. Kojève: Introduction à la lecture de Hegel, Gallimard, Paris 1947.
F. Fukuyama: La fin de l'histoire Flammarion, Paris, 1992.
٣٠. التعارف مفهوم قرآني وهو ملازم لمفهوم الأمة ولمفهوم المهدوية:
- "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم الله عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير" (١٣ الحجرات)
٣١. خلافة الإنسان لله في الأرض أصبحت تتجسد في الدولة من خلال المؤسسات على أساس دستور الجمهورية الإسلامية.
- أنظر: الشهيد محمد باقر الصدر: لمحة فقهية تهديدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران.
- آية الله محمد علي التسخيري: حول الدستور الإسلامي في موارده العامة - منظمة الإعلام الإسلامي - طهران ١٩٣٧.
٣٢. الخطأ الذي وقع فيه المفكرون من أمثال:
- O. Roy/ l'échec de l'islam politique, Seuil, Paris, 1992- PP 237-239 et 240-242.
Daryush Shayegan ; qu'est ce qu'une révolution religieuse ?
Albin Michel, Paris 1991-PP207-209.
- أنهما لم يميزا بين الإيديولوجيا والعقيدة ولم يميزا بين الروحانية الإسلامية من حيث هي روحانية ذات أبعاد سياسية وحضارية والروحانيات الأخرى.

ففى نظر هذين المفكرين (وغيرهم كثير) أن لا علاقة بين الإسلام والتاريخ، ولا علاقة وجودية بين الإسلام والثورة، لذلك فحسب هذين المفكرين كلما ارتبط الإسلام بالتاريخ أى بالسياسة وبوقف المسلمين من الغرب فإنه يتعلمن بالضرورة ويتحول إلى إيديولوجيا.

33 .B.H. Levy: Réflexions sur la Guerre, le Mal et la fin de l'histoire P260à270.

٣٤. يشير روجى غارودى إلى العبث والعدمية من فلسفة هيغل إلى فلسفة سارتر

Biographie de XX siècle- Tougui, Paris 1987, P99.

٣٥. لقد فتح الشهيد محمد باقر الصدر للتنظير فى المجال السياسى ومجال فلسفة التاريخ انطلاقا من مفهوم "المثل الأعلى الحقيقى" و"المثل العليا المزيفة"

أنظر: التفسير الموضوعى - دار التعارف بيروت ١٩٨١ مباحث الدرس التاسع من ص ١٣٩ إلى ١٥٥.

36 .Armand Mattelard: Histoire de l'utopie planétaire, P 104à137, P245.

٣٧. آية الله محمد على التسخيرى: حول الدستور الإسلامى فى مواده العامة الفصل الثالث: أهداف الدولة الإسلامية على ضوء أسسها وخصائصها ص ٢٧-٣٧.

38 .G.H.F Hegel: La raison dans l'histoire.

39 .E. Fleischmann: La philosophie politique de Hegel

خاصة المقدمة والمبحث الثالث من الفصل الثالث: ص ٣٥٥ إلى ٣٧٢.

٤٠. أنظر: الشهيد محمد باقر الصدر: اقتصادنا - دار الفكر - بيروت ١٩٧٤ حيث أشار الشهيد هذه المشكلة فى مقدمة الكتاب.

41 .G.H.F. Hegel: Encyclopédie des sciences philosophiques Vrin. Paris 1967-P198

E. Fleischmann: La philodophie politique de Hegel P255 à 275.

٤٢. المفكر الفرنسى ريجون هارون فى كتابه:

Raymon Aron: Introduction a la philosophie politique- Fallois, Paris, 1997.

يخصص مبحثا فى الفصل العاشر حول التقابل بين الديمقراطية والثورة تحت عنوان: المهدوية والمكيافلية، وذلك كله فى سياق التورات التى أسست دولا على أسس ماركسية.

43 Leili Echghi: Un temps entre les temps. L'Imam, Le chi'isme et l'Iran,p134.

٤٤. د. على شريعق: الأمة والإمامة. مؤسسة الكتاب الثقافية بيروت ١٣٦٧هـ (مبحث السياسة) ص ٣٧ إلى

٤٧

حيث حدد مفهوم السياسة فى أفق التغيير لا مجرد التسيير وعلى أساس المعنى: معنى الوجود ومعنى الإنسان.

45 Leili Echghi: un temps entre les temps, P 58.

46 Ibid, P141

47 Ibid, P156

لقد طرحت الكاتبة مشكلة العلاقة بين الحقيقة والسياسة في سياق رؤية غير الرؤية التي تؤكد عليها في هذا البحث.

الازدهار والانتعاش و الانجازات الكبرى في الثورة العالمية للإمام

المهدي عليه السلام

الدكتور محمد رضا جواهري

نبذة:

من الضروري و الأحرى في تسمية قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامني - مدّ ظله العالی - هذا العام ١٣٨٧ ش بعام الازدهار و الابداع، أن تصب كافة الدراسات و البحوث حول معرفة هذا الجانب الابداعي في عصر ظهور قائم آل محمد عليه السلام، و أن تكون كافة الأحداث و الوقائع في الثورة المهدوية الكبرى أمّودجاً عالياً في تأسّي و اقتداء البشرية له، و اتباعه. و سيتم في آخر ثورة عالمية بقيادة الإمام المهدي عليه السلام عرض أفضل و آخر الانجازات، و أكمل الاستراتيجيات و المعطيات في عالم التكنولوجيا المتطورة و التقنية الحديثة، و القيم و المبادئ الإسلامية. استعرض الباحث في هذه الدراسة، الخصائص البارزة و السمات المهمة في الثورة المهدوية، حيث قام بدراسة حالات التجدد و الحدائث و أصل هذه الثورة التي تعتبر من أفضل التجارب التاريخية في العالم، و ذكر مجموعة من تلك الابداعات الفريدة من نوعها، و الانجازات الكبرى التي ستتحقق في الثورة المهدوية. و أشار الى الاحاديث النبوية الشريفة و أقوال

الأئمة المعصومين عليهم السلام في قسمين من بحثه، و لكل قسم منه عناوين فرعية أخرى.

المفاهيم الأصلية في البحث:

الامام المهدي عليه السلام، القائم عليه السلام، الازدهار، الابداع، الثورة، النهضة، القيام.

المقدمة

تعتبر الثورة العالمية للامام المهدي عليه السلام هي آخر و أكبر الثورات في العالم، و النهاية السعيدة للتاريخ البشري، حيث سيتحقق في هذه الثورة الالهية أكبر مشروع إلهي، و أفضل نوع من حالات الازدهار و الانفتاح، و ستشاهد إبداعات و إنجازات عظيمة و متميزة في ذلك العصر، فالثورة المهدوية فريدة من نوعها في عصر التحضر و الازدهار و الابداع، و إن أصل الثورة المهدوية هو أكبر و أفخم و أحسن نموذج في الحداثة و الإبداع منذ بدء الخليقة الى نهاية التاريخ البشري.

و سيتحقق في هذه الثورة الالهية الفريدة أعلى و أسمى نماذج الازدهار و الانفتاح و التطور في الحدّ الممكن، و ستصل البشرية و المؤمنون و المتقون الى أعلى درجات النمو و السعادة الحقيقة و التكامل و في مختلف الجوانب عبر هذه التقنية و الابداع، و ما يحققه الامام المهدي عليه السلام من مكاسب و إنجازات في تلك الأصدعة.

«التجديد» هي الصفة البارزة في الثورة المهدوية:

وصفت الاحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام أنشطة و عمل الامام المهدي عليه السلام و التغييرات و التحولات التي ستحدث في الثورة المهدوية بالأمر «الجديد».

روى أبو حمزة الثمالي قال: سمعت الامام الباقر عليه السلام يصف خروج القائم عليه السلام فقال:

«يقوم بأمر جديد، و سنة جديدة، و قضاء جديد»^١.

و روى أبو بصير عن الامام الباقر عليه السلام قال: «يقوم بأمر جديد، و كتاب جديد، و سنة

جديدة، وقضاء جديد».^٢ وروى أبو بصير أيضاً عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً أهمية عنصر البيعة للامام المهدي عليه السلام فقال: فوالله، لكأنى أنظر إليه بين الركن والمقام، يبايع الناس بأمر جديد، وكتاب جديد، وسلطان جديد من السماء».^٣ وعن عبدالله بن عطاء قال: «سألت الامام الباقر عليه السلام فقلت: إذا خرج المهدي عليه السلام بأى سيرة يسير فى الناس؟

فقال عليه السلام: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله، ويستأنف الاسلام جديداً».^٤ وقد ورد فى هذا الحديث لفظتى «يستأنف» و«جديداً»، أى صفة التجدد والحداثة فى الثورة المهدوية. وأجاب الامام الصادق عن مثل هذا السؤال، فقال عليه السلام: «يصنع كما صنع رسول الله، يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله الجاهلية، ويستأنف الاسلام جديداً».^٥

وقد أطلق الامام الصادق عليه السلام تسمية مكتسبات وأداء الامام المهدي عليه السلام «بالجديد» فى تعليم أصحابه ماهية وسماء الثورة المهدوية، وأعاد فى حوار مع أصحابه كلام أبيه الامام الباقر حول عنصر ومحور البيعة مع الأمة، التى من خصائصها البارزة هو أنه: «يبايع الناس بأمر جديد».^٦ وأكد الامام الباقر والصادق عليه السلام على هدفين ينبغى تحقيقهما فى الثورة المهدوية وهما: الدعوة نحو أمر جديد، وطبيعة وماهية هذه الثورة المسماة «بالدعوة الجديدة». روى فى الكامل عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد، كما دعا إليه رسول الله، وإن الاسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».^٧ فاستناداً لهذا الحديث، فإن هناك تشابهاً ملحوظاً و مشتركاً بين ثورة الامام المهدي عليه السلام وبعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك فى دعوتهما إلى أمر جديد. فكم هناك من التغيير الذى سينتم فى هذه الفترة الزمنية، أى منذ بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قيام الثورة الكبرى للامام المهدي عليه السلام وظهور الكثير من الحقائق والعلوم والمعارف

الإسلامية الأصيلة، و إبداء سنن و تعاليمات في الكتاب السماوي للنبي ﷺ، و أمور القضاء و الجزاء و الحدود و التعزيرات في العالم الاسلامي، و ستدعو حركة الامام المهدي ﷺ الجهادية إلى إعادة الاسلام الصحيح، و الدعوة الإصلاحية إلى أمر جديد.

روى أبو خديجة عن الامام الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم عليه السلام جاء بأمر جديد، كما دعا رسول الله في بدو الاسلام إلى أمر جديد».^٨

و قال الامام الصادق عليه السلام في تتميم كلام أبيه عليه السلام: «الاسلام بدأ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

و طلب أحد أصحابه عليه السلام أن يفسر له هذا الكلام، فقال عليه السلام: «مما يستأنف الداعي منا دعاء جديداً، كما دعا رسول الله ﷺ».^٩

و قال أبو بصير: قلت للامام الصادق عليه السلام: «أخبرني عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: إن الاسلام بدأ غريباً، و سيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء؟

فقال عليه السلام: يا أبا محمد، إذا قام القائم، استأنف دعاء جديداً، كما دعا رسول الله ﷺ. قال أبو بصير: ففقت إليه، و قبلت رأسه، و قلت: أشهد أنك إمامي في الدنيا و الآخرة، أوالى وليك، و أعادى عدوك، و أنك ولى الله. فقال عليه السلام: رحمك الله».^{١٠}

و روى أبو خديجة عن الامام الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم، جاء بأمر غير الذى كان».^{١١} و على ضوء أحاديث مدرسة أهل البيت عليه السلام، اعتبرت الثورة المهدوية مهد الابداع و الازدهار و الانفتاح، و أن التغييرات و التحولات الهامة و الأساسية للامام المهدي ﷺ و مناصريه هى فى ضمن نطاق التجدد و الابداع، و أن الدعوة الجديدة و الأمر الجديد هى عناوين إنجازات و معطيات الثورة المهدوية و مكتسباتها.

و لاشك فى أن هذه الانجازات و المعطيات تعدّ نماذج العمق الدينى للثورة، و ما تتسم به من خصائص و صفات، و هى تصب فى إطار التعليمات الالهية التى ألقى بها رسول

الله ﷺ إلى البشرية جمعاء. و لهذا السبب، فسّر الامام الباقر و الصادق عليهما السلام ارتباط الثورة المحمدية الوثيق و القوى بالثورة المهديّة بتعابير جديدة تضمنت كلا الثورتين. إن لفظة «جديدة» التي وردت في الروايات عنهم عليهما السلام تختلف تماماً عن «البدعة»، فأداء الامام المهدي عليه السلام طبيعة عمله هو «جديد»، ولكن لا بدعة في الدين، و الامام المعصوم المنزه عن الذنب و الخطأ، لا شك في أنه يحىّ التعاليم السماوية و قيم و مبادئ الوحي التي نزلت على قلب رسول الله ﷺ، و هذه التعاليم السماوية و القيم و المبادئ المهديّة هي نفس القيم و المبادئ و التعاليم المحمدية تماماً، مع فارق: أن هذه القيم و المبادئ كان قد غفل عنها، و درست عبر التاريخ، أى منذ البعثة إلى عصر الثورة المهديّة في تاريخنا الاسلامي المجيد، بل تغيرت، و تم إبعادها عن المجتمعات الاسلامية، فعطلت الاحكام، و أبعد الدين عن حياة الشعوب، فاذا عاد، فسيكون «جديداً». و سيتم إحياء و تجديد القيم و المبادئ الاخلاقية و أهداف الثورة المحمدية في الثورة المهديّة حقيقة، و ان ما لم يتحقق في عصر النبي ﷺ و في حياته، فسيتحقق في عصر الثورة المهديّة في أعلى المستويات.

إن من بين العناصر التي تؤدي إلى موت الاسلام المحمدي الاصيل و إخفائه عن واقع الحياة، و عدم التغلغل في عمق الثقافة الاسلامية، لتكون عاملاً مهماً في إفشال المشروع و المخطط الاسلامي هي عناصر: النسيان، التعطيل، التحريف المعنوي، البدعة، التفاف، التفسير بالرأى، الحرمان عن حضور الامام المعصوم في عصر الغيبة الكبرى، و الكذب على الله و النبي و الأئمة المعصومين عليهم السلام، نفوذ الاسرائيليات، المانويات، المجوسيات، و مظاهر الكفر و الشرك و الضلال، فتحيى حقائق الاسلام الأصيلة في الثورة المهديّة، و إعادة تعليمها.

و لهذا السبب، ستكون ماهية الثورة المهديّة أمراً جديداً و دعوة جديدة. روى محمد

بن عجلان عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الاسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دثر، فضل عنه الجمهور. وإنما سمي القائم مهدياً؛ لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه، و سمي بالقائم لقيامه بالحق».^{١٢}

و قد ورد في هذا الحديث الشريف لفظة «جديد» في دعوة الامام المهدي عليه السلام بشكل واضح و جميل، حيث يدعو القائم عليه السلام الناس إلى أمر قد درس عبر قرون أزمنة بعيدة تتصل بعصر الرسالة و بعثة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، و سيدعو الامام المهدي عليه السلام عبر هذه الفواصل و الفترات الزمنية، و ابتعاد الأمة عن عصر الرسالة، و ظلالتها عن الطريق القويم، و ابتعادها عن الصراط المستقيم، الناس إلى دعوة جديدة، و أنوار و إشراقات جديدة، و سيهدي من أضلوا، و يظهر الاسلام المحمدي الأصيل واضحاً و مشرقاً، و لهذا السبب: سمي «بالمهدي».

ذكر الامام الصادق عليه السلام تقريراً مفصلاً حول طبيعة عمل و أداء و خصائص الامام المهدي عليه السلام فقال عليه السلام: «إذا قام القائم... لا يترك بدعة إلا أزأها، ولا سنة إلا أقامها».^{١٣} و طبقاً لهذا الحديث، فإن التجدد في دعوة المهدي عليه السلام هو معلول إقامة و تطبيق كافة سنن و مبادئ النبي صلى الله عليه وآله، بعد موت البدع التاريخية و تحطيمها.

الانفتاح و الازدهار الكبير في الثورة المهدوية: سيكون آخر و أكبر تطور و ازدهار هو ما يحدث في عصر الامام المهدي عليه السلام فستتمشى و تتعاون أكبر منظومة طبيعية و هي الأرض و السماء، و الزمان و جسم الإنسان مع منظومة أخرى من حالات الازدهار و التطور و الانفتاح الالهي الفريد في عالم الكون و الوجود، لتحقيق السعادة و الكمال الأخير لفهم عظمة و أهمية ثورة الامام المهدي عليه السلام، و ما فيها من نعم إلهية.

تفتح و ازدهار المنظومة الأرضية: تدور المنظومة الأرضية المعقدة و الهادئة حول منظومة الامام المهدي عليه السلام و أنصاره، كما حكم القرآن الكريم بذلك، مؤكداً على أن

الامام المهدي وأصحابه سيرثون الأرض ومن عليها، فقال سبحانه وتعالى: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»^{١٤}، وقد فسّر الامام الباقر عليه السلام قوله «عبادي الصالحون»: «بأنهم آل محمد ﷺ وشيعة أهل البيت عليه السلام»^{١٥}، وعن الامام الكاظم عليه السلام: «بأنهم آل محمد ﷺ وأتباعهم»^{١٦}، ممن يكون منهم مع أصحاب الامام المهدي عليه السلام في آخر الزمان، قال الامام الباقر عليه السلام مفسراً لهذه الآية: «هم أصحاب المهدي في آخر الزمان»^{١٧}، وروى علي بن ابراهيم القمي في التفسير المنسوب للامام الصادق عليه السلام حول هذه الآية والمعنى «عبادي الصالحين» فقال عليه السلام: «هو القائم عليه السلام وأصحابه»^{١٨} فانه عليه السلام وأصحابه يرثون الأرض ومن عليها، وسيضع الله سبحانه وتعالى كافة الامكانيات في اختيارهم وتحت تصرفهم، فتمنح الأرض عطاءها، وتنمو وتزدهر للامام المهدي عليه السلام وأصحابه، كل ذلك بقدرة الله سبحانه، لتطوير أهداف الثورة المهدوية ونصرتها. وستستثمر الأرض وما عليها لإنجاح الامام المهدي بتوفيق الهى وسداد ربّانى. وقد صرح بهذه الحقيقة في أحاديث وكلام أهل البيت عليه السلام، كما ورد ذلك في تقرير الامام الباقر عليه السلام^{١٩}، والرضا عليه السلام^{٢٠}، والجواد عليه السلام^{٢١} حول النعم الالهية، التى سخرها الله سبحانه للامام المهدي عليه السلام فقالوا عليه السلام: «هو الذى تطوى له الأرض».

وقد أكدت هذه التصاريح من الأئمة عليه السلام وشهاداتهم على عظمة الشخصية الالهية الكبرى للامام المهدي عليه السلام، وأن الأرض كلها تطوى له، فيكون كل ما فيها ذلولاً له، خاضعة لأعظم وآخر قائد للثورات العالمية في تاريخ البشرية، وستعرب عن استعدادها الكامل والتام وقابليتها لدعم وتقوية هذه النهضة، والثورة الالهية الكبرى في العالم.

الكنوز، المعادن، وبركات الأرض في خدمة المهدي وأصحابه: ستمنح الأرض عطاءها ونعمها وخيراتها في عصر الامام المهدي عليه السلام، وستكون كافة الامكانيات و

المساهمات في خدمة تطوير مشروع الثورة المهدوية في عصر الظهور، و ستزدهر كافة النعم، فتصل ذروتها حدّ الكمال في تاريخ العالم.

روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ في حديث معراجة فقال: قال لي رسول الله ﷺ: «و له أظهر الكنوز و الذخائر بمشيتي»^{٢٢}. و قال جابر بن عبد الله الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يصف القائم عليه السلام فقال: «و يظهر الله له كنوز الأرض و معادنها»^{٢٣}. و روى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ واصفاً نهاية تاريخ أمته بظهور المهدي عليه السلام فقال: «تخرج الأرض نباتها»^{٢٤}.

و روى ابو سعيد الخدري في حديثه عن عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: «و لاتدّخر الأرض من نباتها شيئاً»^{٢٥}. و روى في موضع آخر عن رسول الله ﷺ قال: «لا تدّخر الأرض شيئاً من بذرها إلا أخرجته»^{٢٦}. و روى زيد بن وهب الجهني عن الامام الحسن عليه السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «تخرج الأرض نباتها، و تظهر له الكنوز»^{٢٧}. و روى عن الامام الباقر في وصفه الأرض في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام فقال: «و يخرج الله من الأرض بذرها»^{٢٨}. و روى الفضل بن عمر عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً الأرض و من عليها، و الازدهار و التكامل في الثورة المهدوية، فقال: «تظهر الأرض كنوزها، حتى يراها الناس على وجهها»^{٢٩}. و روى أبو أحمد محمد بن زياد الأزدي أيضاً عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام واصفاً نمو الأرض و ازدهارها في عصر ظهور القائم عليه السلام فقال: «يظهر له كنوز الأرض»^{٣٠}.

و يظهر في تحليل و نقد هذه الأحاديث المروية عنهم عليه السلام: أن المعادن و الكنوز و البذور و بركات الأرض و خيراتها ستظهر في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام و ستظهر الأرض بركاتها و غوها و عطائها و كافة استعدادها و إمكاناتها في خدمة الامام

طاعة سباع الأرض و سباع الطير في السماء للامام المهدي عليه السلام سيخضع كل ما في الأرض و السماء للامام المهدي عليه السلام و أصحابه، و ستسعى كل المخلوقات و الكائنات إلى كسب رضاه عليه السلام و رضاهم. روى جابر بن يزيد عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال: «كأنى بأصحاب القائم عليه السلام و قد أحاطوا بين الخافقين، فليس من شيء إلا و هو مطيع لهم، حتى سباع الأرض و سباع الطير، يطلب رضاهم في كل شيء، حتى تفخر الأرض على الارض و تقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم عليه السلام»^{٣١}.

و تفيد هذه الاحاديث المروية عنهم عليهم السلام: أن كل شيء في العالم مطيع لأصحاب المهدي عليه السلام و سامع لهم، فالجمادات، النباتات، الحيوانات، و كل من على الأرض هو تابع و مطيع لأوامر الامام المهدي عليه السلام و أصحابه. و هذه الطاعة و التبعية الشاملة و العالمية من قبل هذه الكائنات للامام المهدي عليه السلام هي أرقى نماذج و أساليب التطور و الازدهار، و استعداد الكائنات العالمية بأمر الله تعالى.

الدنيا في راحة الامام المهدي عليه السلام ستعبد كافة الطرق الشاهقة و المتنوية للقائم عليه السلام و أصحابه، ليرى كل واحد الآخر في أقصى بقاع العالم بسهولة و يسر، و ستكون الارض و من عليها في راحة المهدي عليه السلام و أصحابه، و متناول أيديهم بطمأنينة و دعة و اتساق، و ستقدم ذروة دعمها و إسنادها لهم. روى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً دعم الأرض و من عليها للامام المهدي عليه السلام فقال: «إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر، رفع الله تبارك و تعالى له كل منخفض من الأرض، و خفض له كل مرتفع، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكّم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها؟»^{٣٢}.

و روى ابن مسكان قال: «إن المؤمن في زمان القائم و هو بالشرق ليرى أخاه الذي

في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق»^{٣٣}.

وعلى ضوء هذه الأقوال المروية عن الامام الصادق عليه السلام تحديداً، فإن العالم وما فيه سيكون في اختيار القائم عليه السلام وأصحابه وتصرفهم، فتطوى الأرض بإرادة الامام عليه السلام ورغبته بأمر الله عز وجل، وإن كل من في هذه الدنيا، فهو في مرأى الامام المهدي عليه السلام وأصحابه، وإن ازدهار ونمو الأرض سيكون أمر فريد من نوعه، لتطويع مشروع الثورة المهدوية، وتحسين علاقة الامام المهدي عليه السلام بأصحابه.

إن أي عمل صعب وإنجاز كبير يتحقق من خلال تلاحم وانسجام عالم الوجود وعلاقته بالتحول الإلهي المهدوي، سيكون سهلاً وميسوراً، بفضل الله ومثله للامام المهدي عليه السلام وأصحابه. روى عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام واصفاً تسهيل أمور أعمال القائم عليه السلام فقال: «يسهل الله له كل عسير، ويذل له كل صعب، ويقرب له كل بعيد»^{٣٤} و وصف الامام الجواد الامام القائم عليه السلام لعبد العظيم الحسن فقال: «و يذل له كل صعب»^{٣٥}.

منظومة الشمس والقمر يدعمان أمر القائم عليه السلام ستساير منظومة الشمس والقمر أيضاً كمنظومة الأرض الامام المهدي عليه السلام وستدعم وتطيع أكبر قائد للثورة العالمية في تاريخ البشرية، كما دعمته وأطاعته منظومة الأرض ومن عليها، فتأتمر بأوامر قائم آل محمد عليه السلام، فكذلك الشمس والقمر سيلبيان دعوته ويستجيبان له. روى جابر عن الامام الباقر عليه السلام قال: «يدعو الشمس والقمر فيجيبانه»^{٣٦}.

لقد خلق الله الشمس والقمر، وسيلبيان نداء ولي العصر عليه السلام بإذن الله وقدرته، وسيبدلان طاقتهما وقدراتهما الإلهية لخدمة الثورة المهدوية الامام المهدي عليه السلام وتطويع مشروعه الاسلامي، وسيشارك كل الوجود في عمليات التحول والتغيير الإلهي في

دعم الرياح و السحاب للامام المهدي عليه السلام و سترسل السماء خيراتها و بركاتها على الامام المهدي عليه السلام و ستهطل عليه سحاب الرحمة الالهية بشكل مطلوب و مناسب، و ستغيثه الرياح، و تتفق مع الأهداف الالهية للثورة المهدوية. وصف النبي صلى الله عليه وآله في حديث المعراج ملائمة المناخ و مسايرة الرياح و السحاب للامام المهدي عليه السلام فقال: «إن الله تعالى قال: لأسخرن له الرياح، و لا ذلن له السحاب الصعاب».^{٣٧} و روى أبو سعيد الخدرى أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله في مسايرة السماء بهطول السحاب و الأمطار فقال: «لا تمسك السماء غيثها، الا أن ينزل».^{٣٨} و وصف الامام على عليه السلام عصر الظهور فقال: «تنزل السماء بركتها». و على ضوء أقوال النبي صلى الله عليه وآله و الروايات المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: فان الرياح و السحاب ستكون في خدمة الامام المهدي عليه السلام و ستهطل الامطار في المستوى المطلوب، و ستردهر و تفتح استعداد الرياح و السحاب في نطاق قوة و اقتدار القائم عليه السلام.

ازدهار و تطور الزمان و تطويل الايام في عصر الظهور: ستلبي منظومة الشمس و القمر نداء المهدي عليه السلام في كافة الأصعدة و في المجالات المختلفة، و أبعاد عديدة، و ستسايره و تدعّمه في كل الحالات و شتى الظروف، و سيمضى الزمان بطيئاً في عصر الظهور، و سيطول الله اليوم و الشهر و السنة، و سيساعد ازدهار و انفتاح الزمان في تطوير أهداف الثورة المهدوية و مشروعها الاسلامي.

روى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً عنصر الزمان في عصر الظهور فقال: «يأمر الله الفلك في زمانه، فيعطى في دوره، حتى يكون اليوم في أيامه عشرة أيام، و الشهر عشرة أشهر، و السنة عشر سنين من سنينكم».^{٣٩}

نمو و تكامل جسم الانسان و روحه في عصر الظهور: ستنمو و تزدهر استعدادات و قابليات أجسام و أرواح المؤمنين في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام و سيحدث بقوة المؤمنين و قدرتهم أكبر تحول و تغيير إلهي عالمي بقيادة الامام المهدي عليه السلام و ستفتح قابليات البشر المجهولة، التي لا يعلم بها إلا خالق البشر بشكل كامل، و ستظهر قابليات أصحاب المهدي عليه السلام باذن الله تعالى و أمره، و ستنمو و تزدهر استعداداتهم و قابلياتهم البدنية و الروحية، و ستحقق الثورة العظيمة و الاعجاز الالهى الفريد في تاريخ العالم.

نهاية الآفات و الأمراض في عصر الظهور: تعدّ السلامة و العافية من أكبر النعم الالهية على الانسان، فالقدرة البدنية و الروحية هما البنى التحتية لطاعة الانسان لله تعالى. فالجسم السليم قادر على طاعة الله و أداء وظائفه الالهية، و اتباع أمره. أما الجسم المريض فهو فاقد لعناصر القدرة في طاعة الله، و لا يستطيع أن يخطو أقصر الخطوات لتحقيق ذلك، و هو عاجز عن أداء أقل الوظائف العامة المناطة بالبشرية، و يفشل في تحقيق المسؤوليات الجسام و الخطوات المهمة، و إيجاد التحولات الجذرية و الشاملة في تلك المجتمعات. فعلى هذا الأساس، سيزيل الله تعالى في أول خطوة لازدهار و توسيع استعداد و قدرات أصحاب الامام المهدي عليه السلام كافة الأمراض و الأوبئة عن المجتمعات البشرية. و قد شرح الامام السجاد عليه السلام كيفية رفع و إزالة هذه الآفات و الأمراض عن المؤمنين في قيام الامام المهدي عليه السلام فقال: «إذا قام القائم، أذهب الله عن كل مؤمن العاهة، و ردّ اليه قوته».^{٤٠}

و روى أبو بكر الحضرمي عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً تحسين أوضاع أصحاب الامام المهدي عليه السلام فقال: «من أدرك قائم أهل بيتي من ذى عاهة، برأ، و من ذى ضعف قوى».^{٤١} و قد وردت لفظة «عاهة» في هاتين الروايتين، و فسرت في اللغة: بأنها كل عيب و نقص بدني، و إصابة، و ألم المرض، و آفة الجسم و الروح.^{٤٢} و على هذا،

فسيراً المؤمنين وأصحاب الامام المهدي عليه السلام في عصر ثورته المباركة والظهور كافة الأمراض والأوبئة والابتلاءات والآفات النفسية والبدنية والروحية، ولا يكون المؤمن ضعيفاً هزليلاً وسينعم الجميع بالقوة والحيوية والنشاط، ولا يصيب المؤمنين وأصحاب المهدي عليه السلام أى ضعف وفقر وهن ومرض، وسيملكون أجساماً وأرواحاً سليمة وقوية، ليسيروا في ركب الامام المهدي عليه السلام ونصرته، وتنمو وتتكامل قواهم الجسمية والروحية، فتصبّ في خدمة توسيع الثورة المهدوية.

قوة المؤمن بأربعين رجلاً في عصر الظهور: وستنمو وتزدهر القوى البدنية والروحية لأصحاب القائم عليه السلام وتتضاعف قدرة كل رجل منهم أضعافاً كثيرة، وهذه القدرة هي زيادة أعداد المناصرين لثورته عليه السلام للمساهمة في توسيع الثورة المهدوية وتطويرها.

إن قدرة وقوة المؤمنين أصحاب المهدي عليه السلام ستزدهر وتنمو الى حدّ تصل فيه قوة الرجل آنذاك منهم بقوة أربعين رجلاً، كما ذكرت الاحاديث والنصوص المروية عن المعصومين عليه السلام في بيانها حول زيادة قوة كل مؤمن من أصحاب القائم عليه السلام. روى عن الامام السجاد عليه السلام في واصفاً حالات أصحاب الامام المهدي عليه السلام فقال: «إذا قام قائمنا، أذهب الله عز وجل عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً، ويكونون حكام الأرض و سنامها».^{٤٣} فقد بين هذا الحديث الشريف، نهاية هذه الأمراض والأوبئة الشائعة والمنتشرة في المجتمعات، والآلام والآفات في عصر ظهور القائم عليه السلام، وازدهار الاستعداد والقابليات الجسمية والروحية لأصحاب المهدي عليه السلام وعلى هذا ستزدهر وتتفتح الطاقات والقدرات البدنية في ذلك الزمان، ويكون لكل رجل قدرة أربعين رجلاً، وستنضج وتتكامل قدراتهم الروحية والنفسية أيضاً، فنكون لهم قلوب كزبر الحديد، ويمتلكون قدرات إيمانية عالية وقوية في

عصر الظهور و الثورة المهدوية، و في طريق التضحية و الفداء.

روى عبد الملك بن أعين عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً نمو و ازدهار أجسام و أرواح المؤمنين في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام و تكاملها، فقال: «إنه لو قد كان ذلك، أعطى الرجل منكم قوة أربعين رجلاً، و جعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعتها، و كنتم قوَّام الأرض و خزائنها».^{٤٤}

و روى سعد عن الامام الباقر عليه السلام حول تطور و نمو أجسام أصحاب القائم عليه السلام في عصر الظهور، فقال: «فاذا وقع أمرنا، و جاء مهدينا، كان الرجل من شيعتنا أجرى من ليث، و أمضى من سنان، يطاءً عدونا برجليه، و يضربه بكفّيه، و ذلك عند نزول رحمة الله و فرجه على العباد».^{٤٥}

و قد أكد الامام الصادق عليه السلام في أحاديث عديدة على ازدهار و نمو القدرات الجسمية و الروحية لأصحاب الامام المهدي عليه السلام و زيادة القدرات البدنية و الروحية لكل رجل بقوة أربعين رجلاً. روى أبوبصير عن الامام الصادق عليه السلام قال: «ما كان قول لوط لقومه: «لو إن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد»^{٤٦}، إلا تمّنياً لقوة القائم عليه السلام و لا ذكر إلا شدة أصحابه، فان الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً، و إن قلبه لأشد من زبر الحديد، و لو مرّوا بجبال الحديد لقطعوها، لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله»^{٤٧}، إن لكل رجل من أصحاب المهدي عليه السلام قوة أربعين رجلاً في عصر الظهور، و ستنمو هذه القدرة و تزدهر آنذاك، و سيحلّوا كافة المشاكل و الصعاب، لهم قلوب كزبر الحديد، فلو مرّوا بجبال الحديد لقطعوها، و لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله».^{٤٨} و روى أيضاً عن الامام الصادق عليه السلام قال: «كأنى أنظر الى القائم عليه السلام و أصحابه... و قد أثمر السجود مجباهم، ليوث بالنهار، رهبان بالليل، كأن قلوبهم زبر الحديد، يعطى الرجل منهم قوة أربعين رجل».^{٤٩}

و ستصل قوة أجسام و أرواح أصحاب المهدي عليه السلام ذروتها ازدهاراً و غوراً في عصر الظهور، الى حدّ تصل قوة كل رجل منهم قوة أربعين رجلاً، اما أرواحهم و نفوسهم فهي مفعمة بروح الايمان، و قد صيرهم إيمانهم الذي لا يتزعزع رهباناً بالليل، و أسوداً في النهار.

السير على الماء في عصر الظهور: يمكن للمؤمن المشي و السير حافياً على الماء دون استخدامه أى آلة أو وسيلة في ذلك. أما في عصر الظهور، فسيقوى استعداد أصحاب المهدي عليه السلام و تفتح قابليتهم و أفهامهم، حتى يمكنهم السير بأقدامهم على الماء. روى محمد بن جعفر عن أبيه الامام الصادق عليه السلام واصفاً قوة استعداد أصحاب المهدي عليه السلام و قواهم البدنية و الروحية فقال: «إذا بلغوا - أصحاب القائم عليه السلام - الخليج، كتبوا على أقدامهم شيئاً، فاذا نظر اليهم الروم - الاعداء - يشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يشون على الماء، فكيف هو؟! فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها، فيحكمون فيها ما يشاؤون».^{٥٠}

قوة البصر و السمع في عصر الظهور: يمدّ الله في قوة أبصار أصحاب المهدي عليه السلام و أسماعهم، و استعدادهم في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام، و تتكامل أفهامهم، لتشمل العالم بأسره، و يتقوى الارتباط بين قائد الثورة و أصحابه دون واسطة أو مبعوث، ليكون بينهم حوار طبيعي جاد و صريح، و يرى كل منهم الآخر في أقصى بقاع العالم. روى أبو الربيع الشامي عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً تفتح و ازدهار قوة السمع و البصر لأصحاب القائم عليه السلام فقال: «إن قائمنا إذا قام، مدّ لشيعتنا في أسماعهم و أبصارهم، حتى لا يكون بينهم و بين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون و ينظرون إليه و هو في مكانه».^{٥١}

و روى ابن مسكان أيضاً قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقول: «إن المؤمن في زمان

القائم عليه السلام وهو بالشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق».^{٥٢}

العمر الطويل لأصحاب الامام المهدي عليه السلام في عصر الظهور: لقد عمّر الكثير من البشر أعماراً طبيعية في هذا العالم، و سيتفتح و يزدهر استعداد الانسان هذا في عصر ظهور القائم عليه السلام فتطول أعمار الناس عموماً في عصر الظهور.

روى المفضل بن عمر قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقول: «إن قائمنا إذا قام، أشرقت الأرض بنور ربّها، واستغنى العباد من ضوء الشمس، و يعمر الرجل في ملكه، حتى يولد له ألف ذكر».^{٥٣}

العقل و الاخلاق الكاملة في عصر الظهور: يجتمع عقل عباد الله في عصر الظهور، و كذلك أفهامهم، و تتكامل أخلاقهم، و يحدث أكبر تفتح و ازدهار عقلي و أخلاقي آنذاك، و يحصل هذا التوسع في الفهم بقدرة الله تعالى، و يتحقق ذلك على يدى الامام المهدي عليه السلام.

روى أبو خالد الكابلي عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا، وضع يده على رؤوس العباد، فجمع به عقولهم، و أكمل به أخلاقهم».^{٥٤}

و روى مولى بنى شيبان أيضاً عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا، وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، و كملت بها أحلامهم».^{٥٥}

و تترادف لفظة «الاحلام» و «العقول» في هذا الحديث. و على هذا، سيتحقق جمع العقول و كمال أخلاق العباد في عصر الظهور على يدى الامام المهدي عليه السلام، و هذا هو ذروة تفتح قوة العقل، و عقلانية الانسان.

ازدهار العلم و تكامله في عصر الظهور: إن عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام هو عصر

ازدهار العلم و تكامله و انتشاره في العالم. و قد وصف النبي ﷺ الامام المهدي ﷺ في خطبة الغدير فقال: «ألا إنه وارث كل علم، و المحيط به».^{٥٦}

و رأى الامام علي عليه السلام: أن المهدي ﷺ هو من أكثر الناس علماً و فضلاً.^{٥٧} و روى أبان عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً العلم في عصر الظهور فقال: «العلم سبعة و عشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فاذا قام قائمنا، أخرج الخمسة و العشرين حرفاً، فبثها في الناس، و ضم إليها حرفين، حتى يبثها سبعة و عشرين حرفاً».^{٥٨}

و على ضوء هذا الحديث، فان تفوق و ازدهار العلم في عصر الظهور و علم القائم عليه السلام عبر التاريخ هو علم فذّ و فريد من نوعه، فان حرفان من العلم يصلان الى سبعة و عشرين حرفاً أخيراً، و هذا هو قمة النمو و التكامل.

و على هذا، فان عصر الظهور سيكون عصر المعرفة و العلم و العقلانية و كمال الاخلاق. فمن خلال العلم الالهى للامام المهدي ﷺ سيصل العلم ذروته. إن جميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم عشر هذين الحرفين، فاذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمسة و العشرين حرفاً، فبثها في الناس، و ضم إليها حرفين آخرين حتى يبثها سبعة و عشرين حرفاً، فتكتل كافة العلوم.

روى حمران عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً انتشار العلم و الحكمة في عصر الظهور فقال: «توتون الحكمة في زمانه، حتى أن المرأة لتقضى في بيتها بكتاب الله تعالى و سنة رسول الله ﷺ».^{٥٩}

إن اساس القضاء هو الاجتهاد، و إن الكثير من النساء يصلن الى مرحلة الاجتهاد في عصر الظهور و هن في بيوتهن، يحكمن بالكتاب و السنة.

الانجازات الكبرى في ثورة الامام المهدي عليه السلام ستتحقق آخر ثورة عالمية في تاريخ البشرية في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام و سينجز فيها آخر الابداعات، و ستتحقق آخر الخطط و المشاريع الكبرى، و هي كلها إنجازات فذة و فريدة من نوعها ستتحقق في عصر ظهور القائم عليه السلام و ستظهر إبداعات عالمية آنذاك. فعلى هذا، لا يمكن فصل هذه الانجازات عن الابداعات الأخرى في كافة الموارد و المصاديق.

و على هذا الاساس، فقد أخذت بعض التحولات و الانجازات في عصر الظهور موقعها و محلها في عنوان إبداعات و انجازات الثورة المهدوية، و بعضها أخذ موقعها و جهتها في عنوان مستجدات الثورة المهدوية. إن الابداعات الكبرى أو المستجدات نفسها ستكون هي المبدأ و المنشأ، و هذه الانجازات و الابداعات في الثورة المهدوية الكبرى اللامتناهية هي واسعة و متنوعة. و ان إعادة النظرة و التعرف و توصيف و تقرير هذه الابداعات هو أمر ضروري و لازم في معرفة طبيعة ماهية الثورة المهدوية الفذة.

إن معرفة إمام العصر عليه السلام و خصائص و صفات أصحابه و أنشطتهم، و التحولات العجيبة و المدهشة التي ستتحقق في عصرهم، هي من مظاهر «معرفة الامام عليه السلام» و بيان للتكاليف الشرعية لعموم المسلمين.

انتشار الاسلام في أرجاء العالم في عصر الظهور: الاسلام هو آخر و أكمل الأديان الالهية، و النبي محمد صلى الله عليه و آله هو خاتم الأنبياء و الرسل، و يتسم الدين الاسلامي وحده بثلاثة خصائص هي: طابع الجامعة و الشمولية، العالمية، و الخلود. و قد وصل خطاب الاسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه و آله الى يثرب، ثم انتشر في الحجاز، و من ثم الى أقصى بقاع العالم. و قد دعا نبي الاسلام على أساس رسالته العالمية قادة البلدان الكبرى في عصره الى الاسلام، و انتشر الاسلام منذ ذلك العصر، و سيصل في عصر ظهور الامام

المهدي عليه السلام الى أبعد قارّات العالم و عبر المحيطات و البحار، و كافة البلدان و المدن و البيوت في أرجاء العالم، و سيحكم الاسلام وحده على الكرة الأرضية و العالم بأسره، و ستتبع شعوب العالم نهج نبي الاسلام محمد عليه السلام و الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، و سيتحقق هذا الانجاز العظيم في ثورة الامام المهدي عليه السلام العالمية، و على يدى الامام المهدي عليه السلام نفسه.

روى الامام الحسن المجتبى عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام واصفاً إمام آخر الزمان فقال: «و يظهره على الأرض، حتى يدينوا طوعاً و كرهاً، يملأ الأرض عدلاً و قسطاً و نوراً و برهاناً، يدين له عرض البلاد و طولها، لا يبقى كافر إلا آمن». ^{٦٠} و روى عن الامام زين العابدين عليه السلام قال: «إن الاسلام قد يظهره الله على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام». ^{٦١}

و روى عدة أخبار عن الامام الباقر عليه السلام حول عولمة الاسلام في عصر ظهور القائم عليه السلام. و هذه النصوص و الأخبار تشير الى مدى انتشار الدين الاسلامي و اتساعه و شموليته في كافة أرجاء العالم، و هذا «الهدف الكبير» هو من منجزات الثورة المهديّة.

روى جابر بن يزيد الجعفي و أبو الجارود عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً معركة الثورة المهديّة المصيرية فقال: «يقتل الناس، حتى لا يبقى الا دين محمد». ^{٦٢} و يعنى «بالناس» في الرواية: الكفار و المشركين و المنافقين و أتباع الاديان المصطنعة و الكاذبة».

و روى محمد بن مسلم أيضاً قال: سمعت الامام الباقر عليه السلام واصفاً إنجازات ثورة القائم عليه السلام فقال: «يظهر الله عزوجل به دينه، و لو كره المشركون». ^{٦٣}

و روى أبو المقدم قال: فسّر الامام الباقر عليه السلام قول الله تعالى: «ليظهره على الدين كله

و لو كره المشركون». ^{٦٤} فقال عليه السلام: إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد عليه السلام، فلا يبقى أحد الا أقرّ بمحمد عليه السلام». ^{٦٥}

وقد صرح الإمام الباقر عليه السلام في هذا الحديث الشريف بإيمان و توحيد كل إنسان على وجه الأرض لله تعالى و في كل بقاع العالم، و الاعتقاد بنبوة محمد عليه السلام، و اقرار الشعوب بالدين الاسلامي في عصر الظهور. فلا يبقى حينئذ منكر لرسالة نبي الاسلام محمد المصطفى عليه السلام، و سيصل الاسلام الى كافة ربوع العالم، و تقر البشرية جمعاء بنبوة و رسالة نبي الاسلام عليه السلام كما ذكرنا آنفاً.

روى محمد بن فضيل في تفسير الآية المذكورة المتقدمة عن الإمام الهادي عليه السلام قال: «يظهره على الأديان عند قيام القائم عليه السلام».

و روى زرارة: أن رجلاً سئل الإمام الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: «و قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة»؟ ^{٦٦} فقال عليه السلام: لم يأت تأويل هذه الآية، و سيدرك كل من أدركه تأويلها إذا قام قائمنا». ثم قال عليه السلام: «و ليلغن دين محمد عليه السلام ما بلغ الليل و النهار، حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض كما قال الله». ^{٦٧}

و يعنى «بالليل و النهار» في الرواية؛ ظهر الأرض كلها، فسيصل الدين الاسلامي الى كافة ربوع العالم، و سيقضى على الشرك و الظلال و الزيف و الانحراف.

روى رفاعة بن موسى قال: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقرأ هذه الآية: «و له أسلم من في السماوات و الأرض طوعاً و كرهاً» ^{٦٨}، فقال عليه السلام في تفسيرها: «إذا قام القائم لا يبقى أرض إلا نودى فيها شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله». ^{٦٩}

و روى عبدالله بن سنان قال: سمعت أبي الإمام الباقر عليه السلام يصف خضوع أهل الأرض، و إيمانهم بأهل البيت عليهم السلام في عصر الظهور فقال: «فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع، و ذلت رقبته لها، فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء، ألا إن الحق

في علي بن أبي طالب عليه السلام و شيعته»^{٧٠}.

و بشرّ الامام الصادق و الرضا عليهما السلام شيعتهم بقولهما: «إن قائمنا إذا قام، أشرقت الأرض بنور ربّها»^{٧١}.

و روى في حديث المعراج عن الامام الرضا عليه السلام عن رسول الله ﷺ واصفاً إنجازات الثورة المهدوية فقال: «يجمع الخلق على توحيدى»^{٧٢}.

و قد صرح هذا الحديث المروى عن النبي ﷺ و النصوص و الاخبار المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بوضوح: «بعولة الاسلام» في عصر الظهور.

و على هذا، فان الدين الاسلامى سيصل الى أقصى بقاع العالم في نهاية تاريخ العالم و مصير البشرية، و سيكون من أكثر الاديان السماوية أتباعاً في العالم، و ستتجه كافة الشعوب و الأمم في العالم نحو الاسلام المحمدي الأصيل، و الاسلام الحقيقي الشيعي، يدخلون فيه زرافات و وحداًناً.

و لا شك في تشكيل هذا الانجاز العالمى الكبير و إيمان الشعوب في كافة أرجاء العالم بالاسلام، و عولة الاسلام في الثورة المهدوية.

انتصار الدين الاسلامى و إنهاء الاديان في عصر الظهور: سيتم القضاء على كافة الاديان التى انتهى مصرفها و تاريخها ببعثة نبي الاسلام محمد ﷺ في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام و سيحل الاسلام بدلاً عن اليهودية و المسيحية و الزرادشتية و غيرها من الديانات، و سيجد مسيحيو العالم باتباعهم المسيح بن مريم عليه السلام الذى ينصر القائم عليه السلام حاجتهم في الاسلام، و ستتهدى كافة الأديان و المذاهب الباطلة و الموهومة و المصطنعة و عبادة الأوثان، فلا يبقى لها أثر في الوجود و يكون الدين لله.

روى عن النبي ﷺ واصفاً عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام فقال: «و يهلك في زمانه الملل كلّها إلا الاسلام»^{٧٣}.

و روى ابن بكير عن الامام موسى بن جعفر في تفسير قوله تعالى «و له أسلم من في السماوات و الأرض طوعاً و كرهاً»^{٧٤} فقال: أنزلت في القائم عليه السلام إذا خرج باليهود و النصارى و الصابئين و الزنادقة و أهل الردة و الكفار في شرق الأرض و غربها، فعرض: فمن أسلم طوعاً، أمره بالصلاة و الزكاة، و ما يؤمر به المسلم، و يجب لله عليه، و من لم يسلم، ضرب عنقه، حتى لا يبقى في المشارق و المغرب أحد إلا وحّد الله»^{٧٥}، فلما سمع ابن بكير هذا الخبر عنه عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، إن الخلق أكثر من ذلك؟ فقال عليه السلام: إن الله إذا أراد أمراً، قلّل الكثير، و كثر القليل.

و على ضوء هذا الحديث النبوي الشريف، إما أن يسلم كافة أتباع الأديان الالهية السابقة و المذاهب المادية المصطنعة و الموهومة، و كافة الملحدين و الكفار و المرتدين الغربيين و الشرقيين في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام أو يعاقبوا و يقضى عليهم، و يكون جزاؤهم الموت، كما كان ذلك في عصر الرسالة. قال تعالى: «و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الكافرين».

و على هذا، ستتخلى البشرية في كافة القارات و بلدان العالم و منها أوروبا و أمريكا، عن المسيحية و اليهودية المحرفتان عند ظهور الاسلام، و تنهى أعمارهما، و يدخلون في الاسلام، أو يلاقوا جزاءهم العادل و مصيرهم المحتوم.

روى الشيخ المفيد عن علي بن عقبة عن أبيه واصفا عصر الظهور فقال: «لم يبق أهل دين حتى يظهر الاسلام، و يعترفوا بالايمان»^{٧٦}.

و قد أخبرت هذه الرواية عن فناء الأديان كلها إلا الاسلام في عصر الظهور. إقامة الحكومة العالمية: لم تطبق حكومة عالمية واحدة في تاريخ البشرية و على مر العصور و الأزمنة في حياتها أبداً.

إن من أهم انجازات الثورة المهدوية هو تشكيل الحكومة العالمية، بقيادة الامام

المهدي عليه السلام و ستمتع هذه الحكومة بنفوذ سياسي قوى فى العالم و ستكون حكومته ذا نطاق شمولى و غير محدود. فعلى ضوء الروايات و النصوص المروية عن المعصومين عليه السلام، سيما نفوذ الامام المهدي عليه السلام السياسى كافة أرجاء العالم، و أقطاب الأرض، و سيتحقق الوعد الالهى فى عولمة الاسلام مع حكومة إسلامية مهدوية عالمية.^{٧٧}

و على مشارف الظهور، سيسمع العالم كله نداء السماء الالهى و الدعوة الى اتباع القائم عليه السلام و سيعرض الروح الأمين جبرئيل شخصية الامام المهدي عليه السلام إلى العالم كما هى، كل إنسان بلغته، بصوت مسموع و مفهوم للجميع.^{٧٨}

لما روى عن الامام الباقر عليه السلام: «أنه يسمعه كل من فى المشرق و المغرب»^{٧٩}.
و ما روى عن الامام الصادق عليه السلام: «أنه يسمعه الثقلين -الجن و الانس- و الخافقين -الشرق و الغرب-»^{٨٠}، حتى تسمع الفتاة فى خدرها، و يسمع أهل المشرق و المغرب»^{٨١}.
و ما روى عن الرضا عليه السلام: «يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه»^{٨٢}.
و هذا الصوت العالمى و الشامل هو نداء و إعلان ببدء ظهور الامام المهدي عليه السلام و تشكيل الحكومة العالمية للامام المهدي عليه السلام.

روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى ذكره للأئمة عليه السلام قال: «آخروهم القائم الذى يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض و مغاربها»^{٨٣}.
و روى عن على عليه السلام واصفاً حدود الحكومة المهدوية فقال: «يملك ما بين الخافقين»^{٨٤}.
و روى عن الامام الباقر عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: «و قل جاء الحق و زهق الباطل»^{٨٥} فقال: «إذا قام القائم، ذهب دولة الباطل»^{٨٦}.

و عن الامام الباقر عليه السلام أيضاً فى تفسير قوله تعالى: «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الأمور»^{٨٧} فقال عليه السلام: «هذه الآية نزلت فى المهدي و أصحابه، يملكهم الله مشارق الأرض و مغاربها،

و يظهر بهم الدين، حتى لا يرى أثر من الظلم و البدع». ^{٨٨}

و روى عن الباقر و الصادق عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: «و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون». ^{٨٩} فقالوا: «القائم و أصحابه». ^{٩٠}

و عن الامام الباقر و الصادق و السجاد عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» ^{٩١} فقالوا: «أنه مهدي آل محمد و أصحابه». ^{٩٢}

و روى محمد بن مسلم قال: سمعت الامام الباقر عليه السلام يصف حكومة القائم عليه السلام و دولته فقال: «يبلغ سلطانه المشرق و المغرب». ^{٩٣}

و روى أبو الجارود و جابر بن يزيد الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام قال: «يفتح الله له شرق الأرض و غربها». ^{٩٤}

و روى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً فتوحات القائم عليه السلام فقال: «ثم يظهره الله عزوجل، فيفتح الله على يده مشارق الأرض و مغاربها». ^{٩٥}

و روى في حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً دور و تأثير راية رسول الله صلى الله عليه و آله في الثورة المهدوية فقال: «ثم ينشر راية رسول الله صلى الله عليه و آله، إذا نشرها أضاء لها ما بين المشرق و المغرب». ^{٩٦}

و عن ابن دراج قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يفسر قوله تعالى: «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا أيمانهم و لا هم ينظرون» ^{٩٧} فقال: «يوم تفتح الدنيا على القائم عليه السلام و لا ينفع أحداً تقرب بالايان، ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً». ^{٩٨}

و عن الرضا عليه السلام في حديث معراج النبي صلى الله عليه و آله واصفاً حدود سيادة المهدي عليه السلام فقال: لأملكته مشارق الأرض و مغاربها». ^{٩٩}

إن تشكيل أول حكومة عالمية تدعو إلى التوحيد على ضوء الشريعة الإسلامية و بيان الدور الشيعي، هو من أهم إنجازات و إبداعات الثورة المهدوية الكبرى، و ستكون حكومة الامام المهدي عليه السلام ذات نطاق شمولى و غير محدود، و ستحكم العالم بأسره.

الحكومة الخالدة في عصر الظهور: سيشكل الامام المهدي عليه السلام حكومة عالمية في آخر الزمان، و هى أول و آخر حكومة عالمية في تاريخ البشرية.

و من خصائص و سمات حكومة القائم عليه السلام و أصحابه كونها حكومة خالدة الى يوم القيامة.

إن كافة الحكومات لها استقرار و ثبات نسبي في أماكن عديدة من العالم، لكنها مؤقتة و غير خالدة، و هى زائلة و ستزول، إلا حكومة الامام المهدي عليه السلام فانها خالدة لن تزول الى انتهاء عمر الدنيا، و مجيء يوم القيامة، و نهاية التاريخ.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله في خطبة الغدير واصفاً الامام المهدي عليه السلام فقال: «ألا إن خاتم الأئمة منا: القائم المهدي... ألا إنه الباقي حجة، و لا حجة بعده».^{١٠٠}

لقد بين النبي صلى الله عليه و آله في هذا الحديث خاتم الأوصياء، و إمام البشرية، و الحجة الباقية و الخالدة، التي ليس بعدها حجة.

روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله عن الله تعالى في حديث المعراج واصفاً خاتم الأوصياء الامام المهدي عليه السلام فقال: «لأدين ملكه، و لأداولن الايام بين أوليائى الى يوم القيامة».^{١٠١} و روى أبو صادق عن الامام الباقر عليه السلام في واصفاً آخر دولة عالمية فقال: «دولتنا آخر الدول، و لن يبقى أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لثلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، و هو قول الله عز و جل: «و العاقبة للمتقين».^{١٠٢}

و قد ذكرت فلسفة الغيبة في هذا الحديث، حيث صرح فيه: بأن الحكومة المهدوية العالمية هى آخر الحكومات.

و روى الحسن بن هارون قال: «كنت جالساً عند الامام الصادق عليه السلام، فسأله المعلى بن خنيس: هل سيرة القائم عليه السلام تختلف عن سيرة الامام علي عليه السلام؟ فقال عليه السلام: نعم، وذلك أن علياً سار بالمنّ والكف، لأنه علم أن شيعته سيظهر عليهم من بعده. ثم قال: وإن القائم إذا قام، سار فيهم بالسيف والسبى، وذلك أنه يعلم أن شيعته لم يظهر عليهم من بعده أبداً». ١٠٣

لقد أكدت هذه الاحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام أن حكومة المهدي عليه السلام العالمية هي آخر الحكومات في العالم ونهاية التاريخ، حتى قيام الساعة، و سوف لن تأت بعدها حكومة، ولا يقضى عليها أبداً.

إن الحكومة العالمية لشيعة أهل البيت عليهم السلام ستظهر مع دولة القائم عليه السلام، وستبقى خالدة مستمرة أبداً.

القضاء على الكفر والشرك كله في عصر الظهور: ظهرت صفة الكافر والمشرک منذ نشوء الأديان الالهية والسماوية على الأرض، وكان الكفر والشرك مرافقاً للباطل في مواجهة الحق.

إن القضاء على الكفر والشرك والكفار والمشرکين هو من خصائص وسمات وإنجازات الثورة العالمية للإمام المهدي عليه السلام، فسيزول الكفر والشرك عن الأرض في عصر الظهور، وسيهلك الكفار والمشرکون، كما جاء ذكر هذه التنبؤات عن تلك الحقائق والأحداث المستقبلية في أحاديث عديدة عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل بيت عليهم السلام.

روى عن النبي صلى الله عليه وآله واصفاً صراع الامام المهدي عليه السلام مع الكفر والشرك في خطبة الغدير فقال: «ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك». ١٠٤

و روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «و يمحى الكافرين».

و روى عن علي عليه السلام في بيانه أهداف الثورة المهدوية فقال: «و يهلك الكافر». ١٠٥

و روى سلام بن المستنير عن الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها»^{١٠٦} فقال: «يحييها الله عز وجل بالقائم عليه السلام بعد موتها بموت كفر أهلها، والكافر ميت»^{١٠٧}.

و روى زرارة عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً إزالة الكفر و الشرك في عصر الثورة المهدوية، و بيانه أن دين محمد صلى الله عليه وآله سيصل الى كافة أرجاء العالم قال: «لا يكون شرك على ظهر الأرض»^{١٠٨}.

و روى معاوية الدهني أيضاً عن الامام الصادق عليه السلام في تفسيره قول الله تعالى: «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي و الاقدام»^{١٠٩} قال: «لو قام قائمنا، أعطاه الله السيماء، فيأمر بالكافر، فيؤخذ بنواصيه و أقدامهم، ثم يخطب بالسيف خطباً»^{١١٠}.
و روى أبو بصير عن الامام الصادق أيضاً واصفاً تحطيم الكافر و المشرك في عصر الظهور فقال: «فاذا خرج القائم، لم يبق كافر بالله العظيم، و لا مشرك بالامام، إلا كره خروجه، حتى لو كان كافر و مشرك في بطن صخرة، لقات: يا مؤمن، في بطني كافر، فاكسرنى واقتله»^{١١١}.

و روى ابن بكير عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «في زمن ظهور المهدي عليه السلام يعرض الاسلام على الشرق و الغرب، فان لم يسلموا، ضرب أعناقهم و قضى عليهم»^{١١٢}.

و وصف الامام الرضا عليه السلام ظهور القائم عليه السلام بأنه رحمة للمؤمنين، و عذاب للكافرين»^{١١٣}.

و روى عبد العظيم الحسني عن الامام الجواد عليه السلام واصفاً إزالة الكفر في دولة المهدي عليه السلام و ثورته فقال: «لكن القائم الذي يطهر الله عز و جل به الأرض من أهل الكفر و اليهود»^{١١٤}.

و تفيد هذه الأحاديث المروية عن المعصومين عليهم السلام: أن الشرك والكفر سيزول عن الأرض في نهاية التاريخ و عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام و لا يبقى مشرك أو كافر حياً على وجه الأرض، و سيقضى على الكفار و المشركين، و تمحى مظاهر و جذور الكفر و الشرك.

تخطيم عبادة الاوثان: سيقضى على الكفر و الشرك في عصر الظهور، و تمحى كل مظاهر عبادة الاوثان، فلا يبقى أثر لعبادة الأوثان، و هذه أيضاً من خصائص و سمات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام فسيحرق المهدي عليه السلام اللات و العزى، و هى أكبر أوثان الجاهلية عند العرب. روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «فيخرج اللات و العزى طريين، فيحرقهما».^{١١٥}

و روى محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت الامام الباقر عليه السلام واصفاً مصير عبادة الأوثان في عصر الظهور فقال: «فلا يبقى في الأرض معبود دون الله من صنم أو وثن و غيره إلا وقعت فيه نار فاحترق».^{١١٦}

و روى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام قال: «لا تبقى في الارض بقعة عبد الله فيها غير الله عزوجل إلا عبد الله فيها».^{١١٧}

بقية الله؛ الحجة و الامامة الالهية العالمية: إن الامام المهدي عليه السلام هو بقية الله، و خاتم الأئمة الأوصياء، و حجة الله تعالى في العالمين.

إن بعض خلفاء الله و أنبياءه و رسله و أوصيائه هم حجة الله المبعوثون على بقعة معينة من العالم، أرسلهم إليها لتبليغ رسالاته، و هداية الناس في هذا الجزء المحدد من العالم و دعوتهم إلى الله.

أما نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله و أوصيائه، فهم حجج الله على الناس في كافة أرجاء العالم، و الامام المهدي عليه السلام هو خاتم الأئمة الأوصياء و آخر المعصومين، و وصى

النبي ﷺ، وذخيرة أنبياء الله، وهو بقية الله و حجته العالمية على رؤوس الأشهاد.

روى جابر بن عبدالله الانصاري - الصحابي المعروف و الثقة من قبل النبي ﷺ - أنه دخل على فاطمة الزهراء ليهنيها بولادة الحسن ﷺ، فوجد في يدها صحيفة فيها أسماء الأئمة المعصومين و نسبهم، فلما نظر الى اسم الامام المهدي ﷺ قال: أبو القاسم محمد بن الحسين، هو حجة الله تعالى على خلقه القائم»^{١١٨}.

هذا ما جاء في الصحيفة. و قد وصفه النبي ﷺ في خطبة الغدير فقال: ألا إنه الباقي، حجة و لا حجة بعده»^{١١٩}.

و روى الامام علي ﷺ عن رسول الله ﷺ واصفاً نداء الوحي الالهي عند مشارف عصر الظهور فقال: «و مناد ينادي، هذا المهدي خليفة الله، فاتبعوه»^{١٢٠}.

و روى محمد بن مسلم قال: سمعت الامام الباقر ﷺ واصفاً عصر الظهور، و أول خطاب و كلام للامام المهدي ﷺ فقال: «إذا خرج، أسند ظهره الى الكعبة... و أول ما ينطق به هذه الآية: «بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين». ثم يقول: أنا بقية الله في أرضه»^{١٢١}.

و وصف الامام الصادق ﷺ في حوار مع المفضل بن عمر الامام المهدي ﷺ: «بأنه حجة الله»^{١٢٢}.

و قال لعمران بن داهر في كيفية السلام على المهدي ﷺ: «قل: السلام عليك يا بقية الله. ثم قرأ: «بقية الله خير لكم»».

و روى عن الامام الرضا ﷺ واصفاً النداء عند الظهور فقال: «ينادي من السماء، يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه يقول: «ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله، فاتبعوه، فان الحق معه وفيه»»^{١٢٣}.

و قد ورد في الرواية عن الامام الرضا ﷺ و النبي ﷺ في حديث المعراج: «أن الامام

المهدي عليه السلام هو خاتم الأوصياء، و آخر الخلفاء، و الولي و المنتخب عن الله، و آخر الحجج الالهية، على شعوب العالم و سائر الامم، و سيأتي لنصرة و إعلاء كلمة الدين و تحكيمه، و تطهير الأرض من أعداء الله». ١٢٤

و على ضوء هذه الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه و آله و الأئمة المعصومين، فإن الامام المهدي عليه السلام هو بقية الله، و الامام و الحجة على العالمين؛ يظهر ببدء من السماء، و خطاب له عليه السلام في بيت الله الحرام، و هو خطاب موجه الى العالم.

و هو عليه السلام حجة الله الوحيدة المتبقية في الأرض، الذي سيحقق نجاحات باهرة و كاملة في نهاية التاريخ، و يطبق التوحيد في العالم، و يحكمه في الأرض.

إنهاء الظلم في العالم في عصر الظهور:

لقد بدأ الظلم في العالم منذ بدء الخليقة، و في عصر آدم عليه السلام الى عصرنا الراهن، فقد كان و لا يزال أبداً الى عصر الظهور.

إن رفع الظلم عن البشرية في كافة أرجاء العالم هو من خصائص و سمات الثورة العالمية الكبرى للإمام المهدي عليه السلام، فهو عليه السلام الذي يقوم بإزالته عن كافة البلدان و المدن و الأمصار في العالم.

إن من أهداف بعثة الانبياء و الرسل و الأوصياء و المنظومة البشرية في الحياة الاجتماعية و السياسية هو: رفع الظلم و إزالته و الحرمان و المعاناة عن البشرية، و سيتحقق هذا الهدف الكبير في الثورة العالمية الكبرى للإمام المهدي عليه السلام.

فلم يقدر أى أحد من الرسل و الانبياء و الأوصياء، بل حتى نبي الاسلام محمد صلى الله عليه و آله و الامام على عليه السلام أن يرفع الظلم بمقياس عالمي عن البشرية، و لا يتم هذا الا في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام، فانه من خصائص و إنجازات ثورته العالمية الكبرى.

قال على عليه السلام: «في قيام المهدي عليه السلام سيظهر الله الأرض من الظالمين». ١٢٥

و روى جابر بن يزيد الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام في صراع المهدي ضد الظلم فقال: «فبعث المهدي جنوده الى الآفاق، و يميت الجور و أهله». ^{١٢٦}

و روى أبو الجارود عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً صراع المهدي عليه السلام و أصحابه مع الظلم و الاستبداد فقال: «يميت الله به و أصحابه البدع و الباطل، كما أمات السفهة الحق، حتى لا يرى أثر من الظلم». ^{١٢٧}

و روى المفضل بن عمر عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً منجزات الثورة المهديوية فقال: «و يطهر الأرض من كل جور و ظلم». ^{١٢٨}

و روى الشيخ المفيد عن علي بن عقبة عن أبيه قال: «إذا قام القائم، حكم بالعدل، و ارتفع في أيامه الجور». ^{١٢٩}

و اعتقد الامام الرضا عليه السلام أن ظهور الامام المهدي عليه السلام سبب لعنة و هلاك الظالمين. ^{١٣٠}
و روى الحسين بن خالد أيضاً عن الامام الرضا عليه السلام واصفاً منجزات ثورة القائم عليه السلام فقال: «يطهر الله به الأرض من كل جور، و يقدسها من كل ظلم». ^{١٣١}

لقد صرّحت الاخبار و الروايات المتواترة بل المستفيضة عن النبي صلى الله عليه و آله و المعصومين عليهم السلام بتطهير الأرض من الظلم في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام، فلا يبقى له أثر بعد عين، و ستحدث أمور عجيبة و مذهشة بموت الظلم في الأرض، و في كافة أرجاء العالم.

إرساء دعائم العدل و السلام في العالم: بعث الله الانبياء و الرسل لإرساء دعائم القسط و العدل في المجتمعات البشرية ^{١٣٢}. و لكن هذا الهدف الأقدس لم يتحقق على الصعيد العالمي أبداً، ولكنه سيتحقق في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام في العالم. إن تطبيق العدل الكامل في أرجاء العالم هو من خصائص و انجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام فقد اتسمت هذه الثورة المهديوية الكبرى بإرساء دعائم القسط و العدل في

و قد أكّد النبي ﷺ والأئمة المعصومين في ما روى عنهم من أقوال وأحاديث كثيرة في بيان هذه الحقيقة.

منها ما روى عنه ﷺ: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً»، وإخباره عن انتشار القسط و العدل، واستيلائه على العالم في عصر الظهور، وإنهاء الظلم، وإرساء دعائم القسط و العدل في الحكومة العالمية للامام المهدي ﷺ، وقد وصف الأئمة المعصومين عليهم السلام القائم ﷺ في كثير من كلماتهم وأقوالهم، وتواتر ذلك بل استفاد عنهم، و روى عنهم هذا التعبير القيم «أى القسط و العدل» المليء بالمعاني والمضامين العالية والراقية كثيراً عن النبي ﷺ^{١٣٣}، و الامام علي عليه السلام^{١٣٤}، و الامام الحسين عليه السلام^{١٣٥}، و فاطمة الزهراء عليها السلام^{١٣٦}، و الامام الباقر عليه السلام^{١٣٧}، و الصادق عليه السلام^{١٣٨}، و موسى بن جعفر عليه السلام^{١٣٩}، و الرضا عليه السلام^{١٤٠}، و الجواد عليه السلام^{١٤١}، و الهادي عليه السلام^{١٤٢}، و الحسن العسكري عليه السلام^{١٤٣}.

روى عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسوية، و عدل في الرعية»^{١٤٤}.

و روى الفضيل عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً نشر الامام المهدي القسط و العدل فقال: «أما و الله ليدخلن عليهم عدله جوف بيتهم، كما يدخل الحرّ و القر»^{١٤٥} و روى هشام بن سالم عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً عدالة المهدي عليه السلام فقال: «ما يكون هذا الأمر، حتى لا يبقى صنف من الناس إلا قد ولّوا على الناس، حتى لا يقول قائل: إنا لو ولّينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق و العدل»^{١٤٦}.

و روى عن الامام الصادق عليه السلام و موسى بن جعفر عليه السلام: «أن المهدي عليه السلام يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد أن ملئت ظلماً و جوراً»^{١٤٧}.

و عن الامام الرضا عليه السلام واصفاً عدالة المهدي قال: «وضع ميزان العدل بين الناس، فلا

يظلم أحد أحداً».^{١٤٨}

إن ما تواتر من أحاديث تواتراً معنوياً بل لفظياً أيضاً هو: أن الامام المهدي عليه السلام قائم آل محمد عليه السلام سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً، وسيحقق هدف الأنبياء والأوصياء في إقامة وإرساء دعائم القسط والعدل في ربوع العالم، وهذا هو من خصائص وإنجازات الثورة المهدوية الكبرى للامام المهدي عليه السلام، وانتصار العدل والايمن لشعوب العالم، وصولها الى السعادة والكمال.

تحطيم الشيطان في عصر الظهور: عندما أخرج الشيطان من الحضرة الالهية، بدأ أغواءه للبشرية وإضلالها، وسيستمر هذا الإغواء والإضلال حتى يخرج قائم آل محمد عليه السلام.

ولم يستطع أحد أن يحطم الشيطان ويقضى عليه في تاريخ البشرية، لكنه سيحطم في عصر ظهور المهدي عليه السلام، وهو من خصائص وإنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام.

روى عن الامام الهادي عليه السلام في تفسير «الشيطان الرجيم» فقال: «معنى «الرجيم» أنه مرجوم باللعة، مطرود عن مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلا لعنه، وأن في علم الله السابق أنه: إذا أخرج القائم، لا يبقى مؤمن في زمانه الا رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعة».^{١٤٩}

وعلى ضوء هذا الحديث، فسيلعن المؤمنون الشيطان، ويرجمونه بالحجارة في عصر الظهور، وسيؤدى صنيعهم هذا الى موت الشيطان، وتحطيمه والقضاء عليه.

روى جابر بن يزيد الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «و الليل إذا يغشى»^{١٥٠}، قال: «دولة إبليس الى يوم القيامة، وهو يوم قيام القائم عليه السلام.

وفي تفسيره لقول الله تعالى: «و النهار إذا تجلى»^{١٥١} قال: «هو القائم إذا قام».^{١٥٢}

و على ضوء هذا الحديث، فإن دولة إبليس و سيادته و سيطرته على العالم ستنتهي عند ظهور الامام المهدي عليه السلام و سيكون قيام القائم عليه السلام هو أول يوم القيامة لإبليس اللعين الرجيم.

و روى وهب بن جميع قال: سألت الامام الصادق عليه السلام عن قول إبليس: «رب انظرني الى يوم يبعثون». قال: فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم»^{١٥٢}، فقال عليه السلام: لا تظن أنه المراد به يوم البعث في يوم القيامة، و لكن الله عز و جل أنظره الى يوم يبعث الله عز و جل قائمنا، فاذا بعث الله عز و جل قائمنا، فيأخذ بناصيته، و يضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم»^{١٥٤}.

و روى إسحاق بن عمار أيضاً: أنه سأل هذا السؤال من الامام السجاد عليه السلام فقال عليه السلام: «الوقت المعلوم يوم قيام القائم، فاذا بعثه الله، كان في مسجد الكوفة، و جاء إبليس حتى يجثو على ركبتيه، فيقول: يا ويلاه، من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته، فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم، منتهى أجله»^{١٥٥}.

إن ما روى عن المعصومين عليه السلام يؤكد هذه الحقيقة و هي: أن المؤمنين أن سيلعنون الشيطان و يرمونه بالحجارة في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام و سيتم «تخطيم الشيطان و إماتته»، و هذا هو من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام و سيجازي الشيطان على أعماله، و يعاقب على أفعاله، على يدي الامام المهدي عليه السلام، بأمر من الله تعالى، فيأخذ الامام بناصيته، و يضرب عنقه، و سيخلص العالم من شروره و وساوسه و آثامه، و سيتحرر البشر من عنقه و ربقة و أسرته.

إن «الشيطان» هو مظهر عصيان الله تعالى، و سيادة الشرور و الفساد و الآثام، و انتشار الخيانة و التعدي و السرقة و الزنا و الربا و شرب الخمر و المسكرات، و قتل النفس و الحيلة و الخداع و الاضلال و المنكرات.

و إن تحطيم الشيطان و القضاء عليه يعنى انتفاء مظاهر الشر و الفساد و الممارسات و الاساليب الشيطانية و الأخلاقية فى عصر الظهور.

و سيؤدى تحطيم الشيطان الى استقرار و تثبيت القيم و المبادئ الالهية و الانسانية فى كافة الجهات و بشكل كامل.

الامن و السلام العالمى فى عصر الظهور: تعيش البشرية حالة من القلق و التوتر الامنى و الاضطراب و العنف عبر تاريخها، و قد رافقها هذا الخوف و القلق فى مسيرتها، و سبب لها كثيراً من المعاناة و المآسى.

فالأمن و الطمانينة و الشعور بالاستقرار و الراحة هو أمر محبب و مفضل لدى كافة الشعوب و الامم فى العالم.

إن الهدف من تطبيق و إقامة الأمن و الاستقرار لعباد الله و المؤمنين هو لأجل ممارسة وظائفهم و مسؤولياتهم تجاه ربهم، للوصول الى السعادة و الكمال الحقيقيين، و هذا الأمر هو من أهداف بعثة الأنبياء و الرسل و الأوصياء. إلا أن هذا الأمن لم ولن يتحقق أبداً للبشرية على الصعيد العالمى و الاقليمى، بل هو من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله راسماً الحدود الجغرافية لاتساع نطاق الأمن المهدوى فقال: «ييسط فى المغرب و المشرق الأمن من كرامة الحجة بن الحسن عليه السلام، حتى يرتع الأسد مع الغنم، و النمر مع البقر، و الذئب و الغنم، و تلعب الصبيان مع الحيات». ^{١٥٦}

و روى عن الامام على عليه السلام واصفاً استقرار الأمن بين الوحوش فى الفلاة فى عصر الظهور فقال: «تصطلىح فى ملكه السباع». ^{١٥٧}

و روى عنه عليه السلام أيضاً واصفاً الأمن المهدوى فقال: «لو قد قام قائمنا، لأنزلت السماء قطرها، و لصلحت السباع و البهائم، حتى تسمى المرأة بين العراق و الشام، و لا يهيجها

سبع ولا تخافه».^{١٥٨} و روى عن ابن عباس واصفاً عصر ظهور القائم عليه السلام فقال: «لا يبقى صاحب ملّة إلا صار الى الاسلام، حتى تأمن الشاة من الذئب، و البقر من الأسد، و الانسان من الحية، و... وذلك عند قيام القائم».^{١٥٩}

و روى عن قتادة قال: المهدي خير الناس... يطفى الله به الفتنة. العمياء، و يأمن الأرض، حتى أن المرأة لتحتج في خمس نسوة و ما معهن رجل، لا تنقى شيئاً».^{١٦٠}

و روى عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً منجزات الثورة المهديّة فقال: «يقاتلون و الله، حتى يوحد الله، و لا يشرك به شيئاً، و حتى يخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب، لا ينهاها أحداً أو لا يؤذيها أحد».^{١٦١}

و روى على بن عتبة الصحابي عن الامام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام واصفاً انتشار الأمن المهديّ فقال: «أمنت به السبل».^{١٦٢}

و روى أبو بصير عن الامام السجاد عليه السلام و عبدالله بن سنان عن الامام الصادق عليه السلام في تفسيرهما قول الله تعالى: «و لبيدّلتهم من بعد خوفهم أمناً»^{١٦٣}. فقالا عليهما السلام: إنها نزلت في القائم و أصحابه، و يراد بها ظهور القائم عليه السلام.

و روى عن الامام الصادق عليه السلام قوله لمن غفل عن منجزات الظهور، و لم يتمن الظهور و الحضور، واصفاً انتشار الأمن في عصر الظهور فقال: «سبحان الله، أما تحب أن يظهر العدل، و يأمن السبل، و ينصف المظلوم؟!».^{١٦٤}

و روى أبو بكر الحضرمي عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «و من دخله كان آمناً»^{١٦٥} فقال: «فمن بايعه، و دخل معه، و مسح على يده، و دخل في عقد أصحابه، كان آمناً».^{١٦٦}

و تشير الروايات عن المعصومين عليه السلام أن الأمن و السلام و انتشار الهدوء و الاستقرار سيتحقق في عصر الظهور و في ظل ولاية الامام المهدي عليه السلام فتعايش في هذا العصر

الحيوانات المفترسة والأليفة، ويتصالح الانسان مع الطبيعة في أعلى مستوى، و في هدوء كامل، و أجواء ودية و سلام تام، و أمن كامل. و سيسود الأمن و الاستقرار كل العالم و بشريه جمعاء، و سيعم الأمن و السلام الحقيقي كل السبل و البلدان و المدن، و يأمن الناس من الخوف و القلق، حتى العجوز الضعيفة التي تود السفر بين الشرق العالم و غربه.

إن وجود الأمن و الاستقرار الالهى بين الكائنات و المخلوقات في كافة أرجاء العالم هى من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام و الابداعات الخيرة و المدهشة التي تظهر على يدى قائم آل محمد عليه السلام.

الاعمار و التنمية في عصر الظهور: سيعمرّ العالم بأسره في عصر الظهور، و سيتم بناء وإعمار ما حلّ بالعالم من دمار و خراب على الأرض، و بناؤها من جديد، فلا يبقى أثر للخراب. و هذا من خصائص إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام.

روى محمد بن مسلم الثقفى عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً خصائص الثورة المهدوية فقال: «فلا يبقى في الأرض خراب إلا قد عمر». و يؤكد خبر عمران المذكور على ازدهار الأرض و إعادة إعمارها في عصر الظهور بعد ما لحقها من خراب و دمار، و لا يختص هذا الاعمار و البناء بمدينة أو بلد أو قارة من القارات، بل هو إعمار شامل يضم كافة القطاعات، و هو من خصائص و إنجازات الثورة المهدوية الكبرى بقيادة الامام المهدي عليه السلام.

التوزيع المتوازن للثروات العالمية في عصر الظهور:

إن تقسيم الاموال و الثروات العالمية التي تصل الى الأئمة عليهم السلام لا يكون رصيدها بمستوى أداء و رصيد ما يصل إلى الامام المهدي عليه السلام في عصر الظهور، و هذا هو من

خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للإمام المهدي عليه السلام

روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «يحثنى المال حثياً، لا يعده عدّاً، يملأ الأرض عدلاً».^{١٦٧}

و روى معمر بن قتادة عن رسول الله ﷺ قال: «إنه يستخرج الكنوز، و يقسم المال».^{١٦٨}

و روى عن النبي ﷺ واصفاً النعم الإلهية على الأمة في عصر الظهور فقال: «تنعم أمتي من المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قطّ، ترسل السماء عليهم مدراراً، و لا تدع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجه، و المال كدوس، يقوم الرجل يقول: يا مهدي، أعطني، فيقول: خذ».^{١٦٩}

و روى في حديث آخر عن النبي ﷺ واصفاً الحياة في عصر الظهور بأنه الحياة الأفضل في العالم فقال: تعيش أمتي في زمانه عيش لم تعشه قبل ذلك في زمان قطّ».^{١٧٠} و في حديث آخر عنه ﷺ واصفاً عصر ولاية الامام المهدي عليه السلام فقال: «تنعم أمتي في ولايته نعمة لم ينعموا مثلاً».^{١٧١}

و روى أبو سعيد الخدري في حديث آخر عن رسول الله ﷺ واصفاً كيفية تقسيم الأموال في عصر الظهور فقال: «يقسم المال صحاحاً، قلنا: و ما الصحاح؟ قال: بالسوية بين الناس، فيملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى و يسعهم عدله».^{١٧٢}

و روى عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً العطاء و الأرزاق في عصر الظهور فقال: «يعطى الناس عطايا مرتين في السنة، و يرزقهم في الشهر رزقين، و يسوّى بين الناس، حتى لا ترى محتاجاً الى الزكاة، و يجيء أصحاب الزكاة بزكواتهم الى المحاويع من شيعته، فلا يقبلونها، فيصرونها، و يدورون في دورهم، فيخرجون اليهم، فيقولون: لا حاجة لنا في دراهمكم».^{١٧٣} و روى في حديث آخر عنه عليه السلام متمماً للحديث السابق، واصفاً تكديس

الأموال و تخزينها عند الامام المهدي عليه السلام فقال: «يجتمع اليه أموال أهل الدنيا كلها من بطن الأرض و ظهرها... فيعطى عطاء لم يعط أحد قبله». ^{١٧٣}

و روى المفضل بن عمر عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً استغناء الناس و عدم حاجتهم و اكتفائهم في عصر الظهور، بسبب نشر العدالة، و توزيع الثروات بالتساوي، فقال: «يطلب الرجل منكم من يصله بماله، و يأخذ من زكاته، لا يوجد أحد يقبل منه ذلك، استغنى الناس بما رزقهم من فضله». ^{١٧٤}

و تشير هذه الأحاديث المروية في عصر الثورة المهدوية: أن كافة الأموال و الثروات و الزكوات و الاخماس تجبى الى الامام المهدي عليه السلام في عصر الظهور، فيصبح الامام المهدي عليه السلام أقوى سلطة و قدرة اقتصادية في العالم، فيقسم الأموال بالتساوي بين الناس، و يستغنون عنها، و لا يبقى فقير و لا معوز في العالم.

إن اجتماع الثروات و تخزينها عنده عليه السلام، و استغناء شعوب العالم عنها، و انتهاء الفقر و المشاكل المادية هي من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام و ستتحقق على يدى قائم آل محمد عليه السلام و ستحدث قفزة نوعية كبرى و تحسناً و انتعاشاً اقتصادياً ملموساً في العالم، و سيتم توزيع الثروات بشكل عادل و مطلوب من مواهب الأرض في عصر ظهور الامام المهدي عليه السلام و ثورته الكبرى، و تستخدم هذه التوسعة الاقتصادية العالمية لتحقيق أهداف الثورة العالمية الكبرى للامام المهدي عليه السلام و سيتبع النصر النهائي و النجاح الأخير في العالم إيجاد: الصلاح، التقوى، السلام، الصداقة، العدالة، العبادة، و الحرية المعنوية.

نتائج البحث

يتضح من خلال هذا البحث في ذكر خصائص و سمات و مظاهر الثورة المهدوية و

إنجازاتها: أن الثورة المهدوية الكبرى هي ثورة ذات طابع عالمي وجامع وشمولي، تتضمن كافة الابداعات، والنمو والتفتح والازدهار المادي والمعنوي في العالم، ستقع في نهاية التاريخ، وستتحقق في آخر الأديان التوحيدية، بعد هيمنة الاسلام وسيطرته و نفوذه على العالم، وانتشاره في مختلف الأصعدة وشئون الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية، والاقتصادية والعلمية والتنموية وسائر القطاعات. وستظهر الأرض كنوزها ومعادنها، وخيراتها وبركاتها، وتتعايش سباع الأرض، وسباع الطير، وتطيعه في أوامره وتدعمه، وتقف منظومة الشمس والقمر، والرياح والسحاب مواقف إيجابية إلى جانبه وتدعمه، وستزدهر وتتكامل كافة القطاعات، لتصب في خدمة الأهداف المقدسة والالهية للإمام المهدي عليه السلام، وستعافي أجسام وأرواح الخلائق من الآفات والأمراض والأوبئة، وستسير كافة القابليات والاستعدادات الجسمية والروحية باتجاه خدمة مصالح وأهداف الثورة العالمية المهدوية، وتخطو البشرية وسائر المؤمنين خطوات راقية ومهمة بقيادة قائم آل محمد عليه السلام، فيمد الله في أبصار الناس وأسماعهم في العالم، وتعيش البشرية حياة طويلة وهادئة، مستخدمة العقل ومكارم الاخلاق المتكاملة، وينمو العلم ويصل الى اكمل مراحل، ويحى الجهل والتخلف عن الناس، وتعيش الشعوب والأمم والبشرية جمعاء بروح عالية وهادئة ومطمئنة، ملؤها النشاط والحياة والقوة، لتحقيق أهداف الأنبياء والأوصياء والأولياء المبعوثين من قبل الله تعالى عبر التاريخ.

وسينمو هذا الازدهار وينتشر التطور والإبداع، وتتحقق الإنجازات الكثيرة والكبيرة في الثورة المهدوية العالمية بدهشة وإعجاب في كافة أرجاء العالم، وسيهيمن الاسلام على العالم، وتستقبل البشرية الاسلام المهدى الأصيل برحابة صدر، فيدخلون في دين الله أفواجا، أشتاتاً ووحداً، وسينتهي أعمار الأديان البشرية المادية المصطنعة

و الكاذبة، و الأديان الالهية المحرّفة، و سيقضى على الكفر و الشرك و عبادة الأوثان في العالم، و ستطبق حكومة العدل الالهية العالمية الواحدة، القائمة على الاسلام، بقيادة بقية الله في الأرضين، و الحجة و الامام على العالمين، الامام المهدي عليه السلام المهيم على القارات و المدن و البلدان، و سيزيل الله الظلم بكافة أشكاله و أنواعه إلى غير رجعة، و سيحلّ العدل و القسط في ربوع العالم دائماً و الى الأبد، و سيحطّم الشيطان، و يقضى عليه، و ينهى كافة المظاهر الشيطانية و أساليب الخداع و التضليل، و سيعمر الأرض و من عليها، و يوزّع الثروات و الأموال بالقسط بين الناس، و يعمّ الأمن و الاستقرار في أقصى بقاع العالم، و سيقندى قائد الثورة الامام المهدي بسيرة الأنبياء و الأوصياء و الأولياء الماضين و آثار السلف الصالحين، هو مع أصحابه الذين لا يشبههم سابق، و لا يلحقهم لاحق، مستخدمين أسلحة السماء، و الإمداد الغيبي و الدعم الإلهي، للقيام بحركات سريعة و خاطفة، و الارتقاء بالشعوب و الامم العالمية و الأخذ بها نحو النمو و الازدهار و السعادة الأبدية و الكمال.

اللهم عجل في فرج مولانا صاحب العصر و الزمان عليه السلام

و الحمد لله رب العالمين.

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين.

١. محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٣٠-٢٣١، الطبعة الثالثة: انتشارات مؤسسة الوفاء، لبنان ١٤٠٣ ق.
٢. النعماني، الغيبة، ص ١٧٥؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٣٥.
٣. المصدر السابق نفسه، ص ١٥٣.
٤. المصدر السابق نفسه، ص ١٥٢.
٥. المصدر السابق، ص ١٢٩ و ١٧٦؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٤٩.
٦. النعماني، الغيبة، ص ٢٢٠.
٧. الشيخ المفيد، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ترجمة هاشم رسولي محلاقي، ج ٢، ص ٣٥٩، الطبعة الثانية: الانتشارات العلمية الاسلامية، طهران، بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨.
٨. النعماني، الغيبة، ص ٢٢٠.
٩. المصدر نفسه، ص ٢٢٠.
١٠. بحار الانوار، ج ٥٤، ص ٣٣٢.
١١. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٥٧-٣٥٨.
١٢. المصدر السابق نفسه، ص ٣٦٠.
١٣. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.
١٤. السيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٧٥، الطبعة الثالثة: انتشارات مؤسسة الوفاء، لبنان.
١٥. المصدر السابق نفسه.
١٦. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٦٦، انتشارات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ١٣٠٣ ق؛ البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٧٥.
١٧. بحار الانوار، ج ٥١، ص ٤٧؛ البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٧٥.
١٨. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ١٩١ و ٣٩٠.
١٩. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٢٢.
٢٠. السيد هاشم البحراني، المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، تحقيق و تعليق محمد منير الميلاني، ص ٢٨، الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة الوفاء، لبنان ١٤٠٣ ق.
٢١. بحار الانوار، ج ٥١، ص ٦٦.

٢٢. المصدر السابق نفسه، ج ٥٢، ص ٣٢٣.
٢٣. علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي، ج ١٤، ص ١٢٢، الرواية ٣٨٦٩٧، الطبعة الأولى: انتشارات دارالكتب العلمية، لبنان ١٤١٩ ق.
٢٤. المصدر السابق نفسه، ص ١٢٢، الرواية ٣٨٦٩٨.
٢٥. المصدر نفسه، ص ١٢٣، الرواية ٣٨٧٠٥.
٢٦. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٠.
٢٧. المصدر السابق، ص ٣٤٥.
٢٨. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٥٦، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٧.
٢٩. الشيخ الصدوق، كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٦٩، الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٥ ق.
٣٠. المصدر السابق نفسه، ص ٦٧٣؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٧.
٣١. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٦٧٤؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٨.
٣٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٩١.
٣٣. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٦٩.
٣٤. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٨.
٣٥. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٩٠.
٣٦. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٢.
٣٧. كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، ج ١٤، ص ١٢٢، الرواية ٣٨٦٩٧.
٣٨. المصدر السابق نفسه، ص ١٢٣، الرواية ٣٨٧٠٥.
٣٩. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٠.
٤٠. المصدر السابق نفسه، ص ٣٣٣.
٤١. النعماني، الغيبة، ص ٢١٧؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٤٦.
٤٢. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٥.
٤٣. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٢٠، الطبعة الأولى: نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥، انتشارات مرتضوية، طهران؛ سعيد خورى الشرتوني اللبناني، أقرب الموارد في فصيح العربية و الشوارد، ج ٢، ص ٨٥١، الطبعة الأولى: انتشارات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٣ ق؛ ناصر على عبدالله، المعجم

- البسيط (اللغة العربية المبسطة و السهلة الى الفارسية)، ص ٢٢٣، الطبعة الثانية، انتشارات الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، مشهد ١٣٨١ ش.
٤٤. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٧.
٤٥. أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي ، الكافي؛ ج ٨، ص ٢٩٤، الطبعة الثالثة: انتشارات دارالتعارف للمطبوعات، لبنان ١٤٠١ ق.
٤٦. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣١٨.
٤٧. سورة هود، الآية ٨٠.
٤٨. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٦٧٣؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٢٧؛ المحجة في ما نزل في القائم الحجة ع، ص ١٠٦.
٤٩. الشيخ المفيد: الاختصاص، تصحيح و تعليق على أكبر غفاري، ص ٨، الطبعة الأولى: انتشارات جماعة مدرسي الحوزة العلمية، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٧٢.
٥٠. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٨٦.
٥١. النعماني، الغيبة، ص ٢١٩؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٦٥.
٥٢. الكافي، ج ٨، ص ٢٤١، الرواية ٣٣٩؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٦.
٥٣. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٩١.
٥٤. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٥٦؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٠ و ص ٣٣٧.
٥٥. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٦.
٥٦. الكافي، ج ١، ص ٢٥؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٦٧٥؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٢٨.
٥٧. أبو منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي، الاحتجاج، مع تعليقات محمد باقر الموسوي، ج ١، ص ٦٤، الطبعة الاولى: انتشارات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، و مؤسسة أهل البيت عليه السلام، لبنان ١٩٨١ م.
٥٨. النعماني، الغيبة، ص ١٤٣.
٥٩. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٦.
٦٠. المصدر السابق نفسه، ص ٣٥٢.
٦١. المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٠.
٦٢. سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، ينابيع المودة لذوى القربى، تحقيق على جمال أشرف الحسيني، ج ٣، ص ٢٤٠، الطبعة الاولى: انتشارات دارالاسوة للطباعة و النشر، ٤١٦ ق؛ هاشم البحراني، غاية المرام،

- ص ٧٥٣، الرواية ٩٩، انتشارات دارالقاموس، الطبعة الاولى، لبنان.
٦٣. الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٢٨٣، الطبعة الاولى: انتشارات مكتبة بصيرق، قم ١٣٨٥ ق؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٩١ و ص ٢٩٠.
٦٤. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٣٣١، بحار الانوار، ج ٥٢، ص ١٩١.
٦٥. سورة التوبة، الآية ٣٣.
٦٦. جمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٥، بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٤٦؛ المحجة فيما نزل في القائم المحجة ٤، ص ٨٧.
٦٧. الكافي، ج ١، ص ٤٣٢، المحجة فيما نزل في القائم المحجة ٤، ص ٨٧.
٦٨. سورة التوبة، الآية ٣٦.
٦٩. غاية المرام، ص ٧٣٠، الرواية ٢١؛ ينابيع المودة لذوى القربى، ج ٣، ص ٢٣٩، المحجة فيما نزل في القائم المحجة ٤، ص ٨٧، ٧٩، ٩٦.
٧٠. سورة آل عمران، الآية ٨٣.
٧١. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٤٠، ينابيع المودة لذوى القربى، ج ٣، ص ٢٣٦.
٧٢. النعماني، الغيبة، ص ١٧٣ و ١٧٤؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٩٢.
٧٣. الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٢٨٠، بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٢٢ و ٣٣٧.
٧٤. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣١٢.
٧٥. المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٣.
٧٦. سورة آل عمران، الآية ٨٣.
٧٧. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٤٠، المحجة فيما نزل في القائم المحجة ٤، ص ٥٠.
٧٨. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٥٩؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨.
٧٩. عبدالمهادي الفضلي، في انتظار الامام، الطبعة الثانية، انتشارات دارالزهراء، بيروت ١٣٩٢ ق، ص ٦٥ - ٦٦.
٨٠. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٤٤ و ٢٩٠.
٨١. النعماني، الغيبة، ص ١٧٠، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣٠.
٨٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٧٨.
٨٣. الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ١١١، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٥.
٨٤. النعماني، الغيبة، ص ١٢٠، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٢.

٨٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٢٨٢، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٧٨.
٨٦. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٠.
٨٧. سورة الاسراء، الآية ٨١.
٨٨. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٦٢.
٨٩. سورة الحج، الآية ٤١.
٩٠. البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٩٦؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ٢٤٤؛ ينابيع المودة لذوى القربى، ج ٣، ص ٢٤٤؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٤٧ و ٤٨.
٩١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.
٩٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٦٦؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ١٤١.
٩٣. سورة النور، الآية ٥٥.
٩٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٥٢؛ النعماني، الغيبة، ص ١٦٠؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ١٤٨ - ١٤٩.
٩٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٣٣١؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٩١.
٩٦. الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٢٨٣؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٩١.
٩٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٣٥.
٩٨. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٩١.
٩٩. سورة السجدة، الآية ٢٨.
١٠٠. ينابيع المودة لذوى القربى، ج ٣، ص ٢٤٦.
١٠١. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٢.
١٠٢. الاحتجاج، ص ٦٣ و ٦٤.
١٠٣. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٢.
١٠٤. كتاب الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٥٩؛ الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٢٨٢؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٢ و ٣٣٩؛ سورة الأعراف، الآية ١٢٧، و سورة القصص، الآية ٨٣.
١٠٥. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٥٣.
١٠٦. الاحتجاج، ج ١، ص ٦٤.
١٠٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٢٨٨.

١٠٨. النعماني، الغيبة، ص ١٨٤.
١٠٩. سورة الحديد، الآية ١٧.
١١٠. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٦٦٨؛ النعماني، الغيبة، ص ٢٢١؛ بحار الانوار، ج ٥١، ص ٥٤.
١١١. بحار الانوار، ج ٥١، ص ٥٥.
١١٢. سورة الرحمن، الآية ٤١.
١١٣. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٢٠ و ٣٢١.
١١٤. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٦٧٠؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٢٦ و ٣٢٤؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ٨٥ و ٨٦.
١١٥. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٤٠؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ٥٠.
١١٦. النعماني، الغيبة، ج ٢، ص ١٢٠.
١١٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٧٨؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٨٣؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ٢٧.
١١٨. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٧٩.
١١٩. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٣٣١؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ١٩٢.
١٢٠. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٣٣٥ و ٣٣٦.
١٢١. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٣٠٧.
١٢٢. الاحتجاج، ص ٦٤.
١٢٣. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٨٠.
١٢٤. المصدر السابق نفسه، ص ١٩٢.
١٢٥. المصدر السابق نفسه، ص ١٤٥.
١٢٦. المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٣.
١٢٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٧٢.
١٢٨. المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٢٥٦.
١٢٩. المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ١٨٣ و ١٨٤.
١٣٠. البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٤١؛ سعيد أبو معاش، الامام المهدي في القرآن و السنة، ص ٧٩.
- الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة البحوث و الدراسات في الحضرة الرضوية الشريفة، مشهد ٤٢٢ ق.

١٣١. المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ١٤٣.
١٣٢. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٣٦.
١٣٣. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٥٩؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨.
١٣٤. النعماني، الغيبة، ص ١٢٠.
١٣٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٧٢؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٢١.
١٣٦. سورة الحديد، الآية ٢٥.
١٣٧. النعماني، الغيبة، ص ٥٢ و ٥٩ و ١٦٥ و ٢٠٠؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٦٢ و ٢٨٥ و ٢٨٧؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ١٤٣ و ٢٦٧ و ٢٧٧ و ٣٠٤ و ٣٢٣ و ٣٦٣ و ٣٧٩.
١٣٨. النعماني، الغيبة، ص ٤١ و ٤٢؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٢٨٩؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٨٠؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ٢٤.
١٣٩. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٣١٨.
١٤٠. المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ٩٥.
١٤١. النعماني، الغيبة، ص ١٥٧؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٩١ و ٣٥١؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ١٢٩.
١٤٢. النعماني، الغيبة، ص ١٢٥ و ١٢٦؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٤٢.
١٤٣. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٦١ و ٣٦٩ و ٣٨٣.
١٤٤. المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣٧٢؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٢٢.
١٤٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٧٧؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٨٣.
١٤٦. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٨٣.
١٤٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٨٣.
١٤٨. المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٤ و ٤٠٩.
١٤٩. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٥١.
١٥٠. النعماني، الغيبة، ص ٢٠٠؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٦٣.
١٥١. النعماني، الغيبة، ص ١٨٣.
١٥٢. الكافي، ج ٧، ص ١٧٤، ج ٨، ص ٢٦٧.
١٥٣. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٧٢؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٧٢.

١٥٤. الشيخ الصدوق، معاني الاخبار، تحقيق على أكبر غفاري، ص ١٣٩، الطبعة الأولى: انتشارات جماعة مدرسي الحوزة العلمية في قم، ١٣٦١ ش؛ بحار الانوار، ج ٦٣، ص ٢٤٢.
١٥٥. سورة الليل، الآية ١.
١٥٦. سورة الليل، الآية ٢.
١٥٧. المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ٢٥٣.
١٥٨. سورة الحجر، الآية ٣٧ و ٣٨.
١٥٩. بحار الانوار، ج ٦٣، ص ٢٢١.
١٦٠. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٧٦.
١٦١. غاية المرام، ص ٦٩٧.
١٦٢. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٨٠.
١٦٣. الشيخ الصدوق، كتاب الحصال، ج ٢، ص ٦٢٦، الطبعة الاولى: انتشارات جماعة مدرسة الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٢ ق؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٢٩٠.
١٦٤. بحار الانوار، ج ٥١، ص ٦١؛ غاية المرام، ص ٧٣٢؛ ينابيع المودة لذوى القربى، ج ٣، ص ٢٤٠.
١٦٥. السيد بن طاووس، الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر: ٤، ص ٦٨-٦٩، الطبعة الأولى: منشورات الرضى، قم.
١٦٦. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٤٥؛ غاية المرام، ص ٧٢٣؛ ينابيع المودة لذوة القربى، ج ٣، ص ٢٤٠؛ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ٤، ص ٨٣.
١٦٧. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٣٥؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨.
١٦٨. النعماني، الغيبة، ص ١٦٠؛ بحار الانوار، ج ٥١، ص ٥٨؛ المحجة فيما يزل في القائم الحجة ٤، ص ١٤٨ او ٦٩؛ الاختصاص، ص ٢١؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ١٤٤.
١٧٠. سورة آل عمران، الآية ٩٧.
١٧١. الشيخ الصدوق، علل الشرايع، ص ٨٩ الباب ٨١، الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٨ م؛ بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٩٢.
١٧٢. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٣٣١؛ بحار الانوار، ج ٥٢، ص ١٩١.
١٧٣. الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ٤، ص ٦٩، الباب ١٤٧.
١٧٤. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٥٦، ص ٣٥٦. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٣٧.



ابوالم / قم شارع صفائية / زقاق ٢٣ / رقم الدار ٥ /
مؤسسة المستقبل المشرق
(مركز الأبحاث والدراسات المهدوية التخصصية) .

الهاتف والفاكس :

٠٠٩٨٢٥١-٧٨٤٠٩٠٥

البريد الإلكتروني :

md.scientific@gmail.com